جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مصر في القرن 18م خلال رحلات المغاربة " رحلات الدرعي والورثيلاني نمودجا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في التاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

- دحو نـوال

إشراف الأستاذة: قريزة ربيعة

المشرف المساعد الأستاذة: بيشي رحيمة

اللجنة المناقشة

تريعة موسى	رئيسا
زياني عامر	مناقشا
قريزة ربيعة	مشرفا

السنة الجامعية :(1437هـ -1438هـ /2016م-2017م)

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مصر في القرن 18م خلال رحلات المغاربة " رحلات الدرعي والورثيلاني نمودجا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في التاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

- دحو نـوال

إشراف الأستاذة: قريزة ربيعة

المشرف المساعد الأستاذة: بيشي رحيمة

السنة الجامعية :(1437 هـ - 1438هـ /2016 م – 2017 م)

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

بسم الله الرحمان الرحيم

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا

لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي

الصُّدُورِ ﴿الآية 46﴾

الإهداء

إلى من تشتاق إليه القلوب وتاقت لرؤيته العيون إلى معلم الأمة ورحمة الله للبشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم واله وصحبه ومن والاه .

إلى من احمل اسمه بكل فخرا إلى من جرع الكأس فارغا ليسقني قطرة حب إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير "والدي العزيز "

إلى من أفنت عمرها لأجلي حملتني ثقلا ووضعتني كرها وأرضعتني حبا إلى حكمتي وعلمي وأدبي ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل "أمي الغالية "

إلى كل إخوتي وأخواتي وزوجات إخوتي وأزواج أخواتي وأولادهم من أسامة وعبد النور وعماد

إلى انس عبد الجليل

إلى خطيبي "توفيق "وأهله

إلى صديقاتي "خيرة نعيمة و وهيبة "

إلى من أتمنى ان اذكرهم إذا ذكروني إلى من لم تسعهم مذكرتي وسعتهم ذاكرتي

إلى من كان لي سندا وعونا اهدي ثمرة جهدي إلى كل ساع في خدمة العلم ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ونرجو ان يتقبل هذا العمل بقبول حسنا .

الطالبة :دحو نوال

شكر وتقدير:

الحمد لله الذي أبدع الكون وخلق الإنسان وهداه إلى خير الطريق وعالج ضلاله بالهداية ،وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين .أما بعد :

قال صلى الله عليه وسلم "**من لم يشكر الناس لم يشكر الله** "فاشكر لله كثيرا كما ينبغي لجلال وجه وعظيم سلطانه على عونه وتوفيقه ،ثم أتقدم وبكل دواعي الاحترام والتقدير بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة الفاضلة المشرفة على هذا العمل الأستاذة "**قريزة ربيعة** "،وما قدمته من اهتمام ونصح وتوجيه وإرشاد وتصحيح ومجهودات في توفير مصادر البحث خلال مراحل كتابة هذا الرسالة ،جعله الله في ميزان حسناتها.

كم أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى الأستاذة المساعدة "**بيشي رحيمة** "،على ما قدمته من نصح وتوجيهات وأراء سديدة .

والشكر موصول إلى من كان لي عونا وسندا وإلى كافة الأساتذة الذين رافقونا في مسيرة دربنا وأناروا لنا طريق العلم والمعرفة والى كل من سهر على انجاز وإظهار هذا العمل المتواضع على حيز الوجود ولو بكلمة طيبة .

الطالبة :دحو نوال

قائمة المختصرات

الرمـــــز	المعـــــنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة متلاحقة
ط	طبعة
ج	جزء
تح	تحقيق
تر	ترجمة
" "	إقتباس حرفي
مج	مجلد
م	ميلادي
هـ	هجري
د ط	دون طبعة
دت	دون تاريخ
مر	مراجعة
تق	تقديم

مقدمة

عرف التراث الجغرافي العربي أنواعا عدة من أدب الرحلة ، حيث تميز بعضها عن بعض بسبب الدافع لها ومنها الرحلات الحجازية التي تميز بها المغاربة ، أين تركوا تراثا غنيا في الأهمية ودقة الوصف والإفادات الفريدة ،وهناك رحلات جغرافية مرتبطة باكتشاف المكان الآخر ، وتسجيل أوصاف المدن والجبال والعادات والتقاليد ... ،كما هناك مذكرات سجلها السفراء في بعثاتهم وتميزوا بالملاحظة الذكية التي تطرقت لجوانب مفيدة كتبوا عنها ، والجامع بين أنواع الرحلات كلها التطرق إلى المكان والإنسان ، ووصف الأرض وما عليها وما تنبته أو ذكر المتميزين من العلماء والأعيان الذين التقى بهم الرحالة في تلك الأصقاع .

ويأتي في ذكر هاته المدن التي كانت نقطة عبور الحجيج المغاربة مصر ، حيث كان الرحالة المغاربة الذين يتوجهون نحو الحجاز لداء فريضة الحج يمرون عليها قاصدين جامع الأزهر للقاء المشايخ ومحاورتهم ونيل الإجازات ونسخ أمهات المصادر واقتناءها ،فكانت محطة للتثقيف والإثراء الحضاري المتبادل و للنهل من العلم باعتباره منارة للعلم والمعرفة ، وموطن للراحة كونه يتوسط الطريق نحو الحرمين .

ومن أشهر الرحالة المغاربة الذين وقع اختياري على القيام بالبحث حولهم ،و عن رحلاتهم و ما دونوه عن مصر أثناء بقائهم بها برحلاتهم، وقع اختياري على رحلة الورثيلاني نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار و الرحلة الناصرية للشيخ ناصر الدرعي خلال القرن الثامن عشر ميلادي .

وعليه ارتأيت تسليط الضوء والبحث في موضوع: **مصر في القرن18 من خلال رحلات المغاربة " رحلات الدرعي والورثلاني " نمودجا**

دوافع اختيار الموضوع:هناك جملة من الأسباب جعلتني أختار التطرق إلى هذا الموضوع أذكر منها :

دوافع موضوعية وذاتية وهي :

يعود اهتمامي بالتاريخ الثقافي وخاصة و ميولي للرحلات الحجازية لما تحمله من مشاعر روحانية ، وصف دقيق لكل كبيرة وصغيرة بها دفعتني للخوض في هذا الموضوع ، والاهتمام بتاريخ مصر خاصة لما لها من أهمية كبيرة في الوطن العربي .

إثراء المكتبة الجزائرية بالتاريخ المصري من خلال المصادر المغاربية

توضيح مكانة وأهمية نصوص الرحلات المغاربة، والتي تعتبر مصدرا من مصادر التاريخية المهمة حيت تصور مشاهدات الرحالة لأحوال البلاد بدقة ونقلها لعادات المجتمع والمظاهر السائدة فيه وهي نتاج شخصية بكل قيمها الثقافية الاجتماعية والدينية .

الرغبة الكامنة لأخذ صورة عن مصر في عيون الرحالة المغاربة وتعدد دوافعهم ،وميلهم و ولعهم بالترحال والسفر ،ووصفهم للمجتمع المصري العثماني وعاداته ،ومن كل النواحي خاصة العلمية ،ولان مصر كانت مركزا لنشر العلوم وتلقينها ولاحتوائها على عدد كبير من العلماء والمشايخ.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة :

بالنسبة للإطار الزماني الذي حددته لهذه الدراسة هو القرن 18م الذي يوافق فترة زيارتهم الرحالة ورحلتهم لمصر في هذه الدراسة احمد بن ناصر الدرعي والحسين الورثيلاني .

الإطار المكاني يشمل منطقة لها مكانة جغرافية وتاريخية وعلمية ثقافية واقتصادية كبيرة وهي مصر

فكان اختياري للإطار المكاني والزماني، لكون هذه الفترة عرفت ازدهار في فن الرحلات، وتعلق المغاربة بالديار المصرية والشرق عامة ،وازدهار الحياة العلمية والأدبية ونشاط حركة التأليف .

هدف الدراسة:

أما الهدف من هذه الدراسة هو إعطاء صورة واضحة عن الأحوال العامة في مصر من خلال ما دونه الرحالة، من ذكر للأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والدينية والعمرانية السائدة خلال القرن 18م.

إشكالية الدراسة:

ومن خلال العرض السابق، ولكي يبلغ البحث الغاية والهدف المراد الوصول له، محورت إشكالية رئيسية التي ينطلق منها عرضنا هذا و هي :

إبراز الصورة التي بينها لناالرحالة المغاربة عن مصرفي رحلاتهم و تجسيد ملامح الحياة العامة بها خلال القرن 18م ؟

ولفك رموز هذه الإشكالية اعتمدت على مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تقودنا إلىالإجابة عن الإشكالية الرئيسية وهي على التوالي :

ـ من هم أشهر الرحالة المغاربة الذين زاروا مصر خلال هذه الفترة ؟

ـكيف تناول الرحالة المغاربة الأوضاع السياسية والاجتماعية والعمرانية لمصر في هذه الفترة ؟

ـوكيف جاءت صورة الحياة الاقتصادية والعلمية والدينية لمصر من خلال انطباعات الرحالة المغاربة ؟

خطة الدراسة :

ولمعالجة هذا الموضوع والإجابة عن التساؤلات السابقة ، أفردت خطة من ثلاث فصول ،تستهل بمقدمة منهجية احتوت على أهمية الموضوع ودوافع اختيار الموضوع والدراسات السابقة

وإشكالية،والمنهج المتبع مع ذكر بعض الصعوبات والخطة المعتمدة، وختمت بحوصلة فيها نتائج بحثي ،وألحقتها بملاحق وقائمة للمصادر والمراجع التي استندت عليها وفهرست الموضوعات.

فالفصل الأول تناولت فيه مفهوم الرحلة وتطورها عند العرب، وأنواعها ودوافعها، كما استعرضت بعض الرحالة في القرن 18م وهما النموذجين المعتمدين في الدراسة ،الرحالة المغربي احمد بن ناصر الدرعي والرحالة الجزائرية الحسين الورثيلاني وعن حياتهم وثقافتهم ومؤلفاتهم ودوافع رحلاتهم .

أما فيما يخص **الفصل الثاني** فقد سخرته للحديث على الأحوال السياسية في مصر، وطبيعة الحكم العثماني السائد فيها وعن كيفية انضمامها للحكم والفتح العثماني لها، والحياة الاجتماعية من طبقاتها وعاداتها واحتفالاتها وبعض المظاهر السلبية فيه، وعن الجانب العمراني كذكر بعض المساجد وبعض المدن وبعض المعالم الأثرية فيها وعجائبها وتاريخها .

أما**الفصل الثالث** فخصصته للحديث عن صورة مصر الاقتصادية فيما يخص الزراعة والتجارة الداخلية والخارجية، وبعض الأسواق فيها، والضرائب المطبقة على الرعية والعملة، أما الجانب الديني والعلمي كذكر مراحل التعليم بها وبعض المدارس والمساجد وأشهر العلوم والعلماء .

وفي الأخير ختمت بحثي بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها ثم أتعبتها بملاحق تخدم البحث

المنهج المعتمد:

اتبعت في دراستي هذه المنهج التاريخي الوصفي القائم على وصف المشاهد والوقائع التاريخية بكل دقة وتفصيل ،كما اعتمدت كذلك على الاسلوب التحليلي في تحليل بعض معطيات المادة العلمية المعتمد عليها وهي الرحلات ،وهذا لتقديم صورة عن بلاد مصر خلال هذه الفترة باعتبارها مصدرا هاما من مصادر تاريخ مصر الحديث .

الدراسات السابقة :

أما فيما يخص الدراسات السابقة لهذا الموضوع ومن خلال بحثي وتطلعي ، وجدت دراسات سبقتني للموضع ، منها دراسة الأستاذة قريزة ربيعة في دراستها " علماء جزائريون بمصر خلال القرن 17و 18 (المقري الورثيلاني و أبي راس الناصري) " رسالة لنيل شهادة الماجستر ، ساهمت هاته الدراسة بإعطائنا نظرة عن الواقع العلمي من علماء و المراكز العلمية وعلاقة العلماء بأقرانهم المشارقة.

ودراسة للأستاذ عبد القادر حليس" المشرق العربي من خلال رحلات المغاربة (رحلة المقري، رحلة الورثيلاني، رحلة العياشي) " رسالة لنيل شهادة الماجستر ساهمت هده الدراسة بالتعريف برحلات المغاربة وأصحابها والمسار الذي سلكه كل رحالة بإعطائنا نظرتهم وتصورهم لمصر وأحولها.

التعريف بالمصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

أما في ما يخص المصادر والمراجع المعتمدة في انجاز هذا العمل المتواضع فهي على غرار المصادر العربية تتركز أساسا على كتابات الرحلات المغربية والجزائرية كونها تحوي المعلومات المراد الوصول لها في الدراسة إضافة الى مصادر عربية أخرى سجلت لنا واقع مصر العام، وبعض كتب التراجم والسير إضافة إلى بعض المراجع المختلفة، ومن أهم المصادر نذكر :

"**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** "والتي تعرف بالرحلة الورثيلانية لحسين بن محمد الورثيلاني المتوفى سنة (1193هـ/1779م) والتي تعتبر أهم الرحلات التي اعتمدت عليها، لاحتوائها على المعلومات في مختلف محاولات الدراسة، وقد أفادتني في كل الفصول باعتبارها نموذج لدراسة ،وتوفرها على مختلف الجوانب الحضارية لمصر .

"**الرحلة الناصرية** "لأحمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة (1028هـ/1716م) وهي كذالك من أهم الرحلات المعتمد عليها نموذج لدارسة ، ولتوفرها على معلومات مست جميع جوانب الحياة في مصر .

"**ماء الموائد"للشيخ أبي السالم عبد الله العياشي المغربي** وتعرف بالرحلة العياشية: جمع فيها المؤلف مشاهدات وملاحظات ثلاث رحلات حجازية, وبالأخص رحلة سنة 1073و1074هـ. وأثناء رحلاته هذه عبر الصحراء الجزائرية عدة مرات، وسجل انطباعاته حول قراها وزواياها ومساجدها وعلمائها وتأتي أهمية الرحلة في كون مؤلفها لقى في مصر العديد من العلماء و قد سجل وصور لنا كل ما رآهعنها، كما أخد عنه الورثيلاني وناصر الدرعي في تدوين رحلاتهم

"**تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار** "لعبد الله الجبرتي الذي يتضمن تاريخ مصر في هذه الفترة وهو أهم المصادر، كما تضمن التراجم وسير الحكام والعلماء حيث يسرد فكل في كل سنة الحوادث التي عرفتها مصر خلال هذه الفترة .

أما عن أهم المراجع المعتمدة :

"**الرحلة المغربية والشرق العثماني** "لمصطفى الغاشي وقد الذي أفادني في كل الفصول ،عن حياة بعض الرحالة ووصفهم لكل ملامح الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية في مصر .

"**المجتمع المصري تحت الحكم العثماني** "لميكل ونتر يتضمن تاريخ مصر السياسي والاجتماعي والعلمي والديني لمصر خلال القرن 18م .

الصعوبات:

لكل موضوع متعته البحثية التي يمكن أن تعترضها جملة من الصعوبات والعقبات العلمية في سبيل إنجازه، أين اعترضتني جملة من الصعوبات، والتي كانت في غالب الأحيان بمثابة المحفز الأول لمواصلة البحث أذكر منها :

قلة المصادر والمراجع التي تناولت مصر في هذه الفترة، مع قلة الدراسات في هذا الموضوع.

تركيز نصوص الرحلات على الجوانب الدينية والعلمية مع إهمال الجوانب السياسية والاقتصادية إلا بعض الإشارات والمعلومات القليلة، مع تركيزها على ركب الحجيج ودروب والمسالك، أضف الى ذلك صعوبة الاستنباط النص التاريخي من الرحلة، صعوبة الإلمام بكل جوانب الحياة في مصر خلال قرن وذالك لضيق الوقت، اقتباس وتدوين الرحالة عن رحالة أخر حيت لا يوجد تنوع في المعلومات وفي الوصف إلا بعض الإضافات.

وعلى الرغم من هذا فقد تجاوزت هذه الصعوبات وذلك بالاطلاع على الدراسات السابقة والتي تطرقت لمواضيع مشابهة، صعوبة الحصول على المادة العلمية أين اتصلت بأساتذة مختصين بالموضوع من أجل تسهيل ما صعب عليا والاستفادة من المواقع الالكترونية التي حملت منها العديد من المصادر والكتب.

وفي ختام مقدمة موضوعي لا يسعني بعد شكري لربي إلا أن أشكر الأستاذة المشرفة التي كان لها الفضل الكبير في وصول مذكرتي إلى هذا المستوى، كما لا أنسى الأستاذة المشرفة المساعدة والتي لم تبخل يوما عن إرشاداتها وتصحيحاتها.

وفي الأخير فإنني بدلت ما في وسعي لإخراج عملي هذا في أحسن صورة راجية من الله أن يجعل هذه المذكرة بداية لدراسات أخرى.

الفصل الأول

التعريف بالرحلة والرحالة

تعتبر الرحلة سلوك إنساني فطري، حيث خلق الإنسان راحلا منذ تكوينه البشري، وهي الانتقال من مكان إلى أخر، او السفر الذي يتوخى من ورائه الاطلاع على أفاق جديدة من مناطق مجهولة، ترتبط بغريزة حب المعرفة وبالنشاطات الإنسانية، ولأسباب متعددة كالبحث عن الماء أو الكلأ وكذلك بحثا عن أماكن خصبة للزراعة أو التجارة، فهي تعتبر سجلا زخما بالحياة الاجتماعية، الاقتصادية، الصحية والسياسية وغيرها.

I- تعريف الرحلة وتطورها وأنواعها وأهميتها:

1-تعريف الرحلة لغة:

جاء في معجم لسان العرب: رحل: الرحل: مركب للبعير والناقة وجمعه أرحل ورحال والترحل والارتحال وهو الرحلة ،والرحلة واسم الارتحال المسير ورحل الرجل: منزله ومسكنه والجمع أرحل، ويقال: رحل الرجل أذا سار و أرحلته أنا ورجل رحول وقوم رحل أي يرتحلون كثيرا[1] ، وفي معجم تاج العروس وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري وردت كلمة رحالة على سبيل الإفراد والجمع، ورحلة بضم الراء اذا أريد بها الوجهة التي يقصدها، وفي حالة كسرها فللدلالة على الارتحال [2] ، وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس في مادة رحل "رحل :الراء والحاء واللام اصل واحد ،يدل على مضي في سفر ،يقال يرحل رحلة ،وجمع رحيل :ذو رحلة بضم الراء وكسرها اذا كان قويا على الرحلة ،والرحلة :الارتحال، وجاء في القاموس المحيط للفيروزبادي في نفس المادة: الرحل مركب البعير كالراحول ،جمع ارحل ،والرحالة ككتابة :السرج اومن جلود لا

[1]-ابن منظور جمال الدين: **لسان العرب**، اعداد وتصنيف: يوسف خياط ،د.ط، دار لسان العرب، بيروت . د ت ، م 1 (1141. 1143) مادة رحل.

[2]-محمد ماكامان: **الرحلات المغربية في القرنين (11. 12 هـ/ 17. 18 م)**، ط1،كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 2014 م، ص 19.

خشب فيها يتخذ للركض الشديد، ويعبر ذو رحلة بالكسر والضم :قوي وجمل رحيل قوي على السير :ارتحل البعير. [1] ويلاحظ على هده المادة "رحل "ما يلي:

- ان مشتقات المادة جميعا تدور حول محور واحد هو الحركة، والرحلة في جوهرها حركة وانتقال.
- ان التقلبات المختلفة للمادة مثل :حرل –لرح –لحر ...الخ غير مستعملة في العربية ،ولعل هذا يعود استئثار تلك المادة –بهذا الترتيب –بالنصيب الاوفر من حيت الاستخدام ،مما ادى الى الجور على التقليبات الاخرى.
- اسم الفاعل من رحل :راحل ،وصيغة المبالغة رحال ،وهده الصيغة كانت اسما او لقبا لبعض الجاهلين ،وقد تزاد التاء للمبالغة ،فيقال :"فلان الرحالة "ولكن هذه الصيغة تختلط مع جمع التكسير حيت تقول :"الرحالة المسلمون "ولذا يفضل الاكتفاء بالصيغة الاولى دون زيادة التاء حتى لا تختلط بجمع التكسير [2]

– الرحلة في القرآن والسنة:

الإسلام بدوره شجع وحث الإنسان على الرحلة، لكونها تعود بمنافع على حياته العلمية والعملية والذاتية ،وقد تنوعت المفردات الدالة على نشاط الترحال في القرآن الكريم، فجاءت كالتالي: الظعن والإسراء والمعراج والهجرة والسير ، علما أن لفظ الرحلة ورد مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في سورة قريش، يقول الله تعالى: " لإيلاف قريش الفهم رحلة الشتاء

[1]–الطاهر حسيني :**الرحلة الجزائرية في العهد العثماني** ،أطروحة لنيل الدكتوراه في الأدب العربي ،كلية الآداب واللغات ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة 2014/2013،ص18.

[2]–ناصر عبد الرزاق الموافي :**الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري)**، ط1 ،دار النشر للجامعات المصرية ،مكتبة الوفاء ،1995م ،ص24.

والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"[1]، حيث ارتبطت الرحلة بعادة أهل مكة في القيام برحلتي الشتاء والصيف إلى الشام واليمن بغرض اقتصادي حيوي وهو التجارة[2]، ورد في القرآن الكريم عدة آيات تقول:" فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين" [3]، وقال تعالى:" قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين"[4]حيث دعا سبحانه وتعالى الناس إلى الترحال والتنقل، سواء في سبيله أو سبيل حياة آمنة من الظلم والجوع ،قال سبحانه:" ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا أو سعة"[5]، أما في السنة النبوية فقد كان صلوات الله عليه، يحث الصحابة على الرحلة في سبيل طلب العلم ،فقال صلى الله عليه وسلم:" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة"، يسر وسهل على أمته أسباب السفر وبعض التكاليف مثل اللجوء إلى الجمع والقصر في صلاة المسافر، وأباح التيمم بدلا من الوضوء.[6]

[1]–**القران الكريم** :سورة قريش الآيات 1 . 4.

[2]–سميرة أنساعد: **الرحلات الجزائرية الى المشرق دراسة في النشأة والتطور والبيئة** ،دط ،ارتياد الأفاق ،2008م،ص 20

[3]–القران الكريم :سورةآل عمران: الآية 138.

[4]–القران الكريم :سورة الأنعام: الآية: 11.

[5]–القران الكريم :سورة النساء: الآية 100.

[6]–محمد بن سعود بن عبد الله الحمد :**موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة معجم ببليوغرافي** ،ط1، دار الكتب والوثائق القومية أثناء النشر ،القاهرة ،2008،ص 7.

2- الرحلة اصطلاحا:

وهي قطع مسافة معينة بين نقطتين في فترة زمنية محددة وغرض محدد، ما يؤكد ما يحرص عليه الكثير من المهتمين بدراسة الرحلات[1].

تعرف الرحلة انتقال أو ارتحال أشخاص من مكان لأخر وذلك طلبا لكسب العيش ،واغلب الرحالة يرتحلون في مساحات غير محددة تبعا لما تقوم عليه أنشطتهم وحسب فصول السنة.

يعرفها بطرس البستاني في دائرة المعارف بأنها: "انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة."[2]

أما الدكتور صلاح الدين الشامي يعرفها بأنها :"انجاز أو فعلا او مباشرة لما يعنيه ويقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة ،وإسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه والمكان الذي تنتهي اليه ،وقد تكون انجازا صعبا وشاقا على الطريق بين المكان والمكان الأخر ،ولكنها تجاوب- بكل تأكيد –حاجة الحياة. " [3]

و يعرفها حسني محمود حسين بأنها: "منابع ثرية لمختلف مظاهر الحياة ومذاهب أهلها على مر العصور واعتبر الرحالة ناقلا للظواهر ليقدمها لمختلف الباحثين"[4]

---

[1]-الطاهر حسيني :المرجع السابق ،ص18

[2]-بطرس البستاني :**دائرة المعارف الإسلامية** ،مج8،مطبعة المعارف ،ط بيروت ،1884م،ص 564.

[3]- صلاح الدين الشامي :**الرحلة عين الجغرافيا المبصرة** ، ط2،منشاة المعارف للنشر بالإسكندرية ،مطبعة رمضان وأولاده ،مصر ،1999م،ص11.

[4]-محمد ماكامان :المرجع السابق ،ص19.

والرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجا ذلك انطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم ،وانجاز الرحلة كتابتها، يتطلب ان يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره إلى كتابة.[1]

والرحلة بهذا المعنى أي بما هي كتابة وخطاب، يواكب هذا الخطاب انتقال الرحالة من أماكن متعددة ومختلفة، واصفا إياها جغرافيا وعمرانيا واجتماعيا وبشريا، وذاكرا ما لقيه من رحلات العلم والأدب وما دار في مجالسهم من مناقشات إضافة إلى ذكر الكثير من الفوائد العلمية والتاريخية الأدبية والرسائل والإجازات .[2]

وكل هذه التعريفات تجمع على ان الرحلة في جوهرها حركة، وهذه الحركة ذات هدف، منها اكتساب خبرات عملية وفكرية ناجمة من المخالطة وبذلك يتم التقابل بين الرحلة في اللغة والاصطلاح حيت يجمعهما انهما "حركة"[3]

د- نشأة وتطور الرحلة عند العرب :

1_في العصور القديمة :

كان الإنسان القديم يظل ولفترة طويلة من الزمن يتأمل ويفكر بما حوله من الأراضي ،وهو يتطلع الى معرفتها ويتحسس الى مكانه في الأرض ،ويحاول التعرف على الواقع الجغرافي الذي يحيط به ،ومع إبداعه لوسائل الكتابة أتيح له تسجيل إبداعاته وتدون تراثه ،وكتابة خلجات فكره، بقدر ما اتاح للخلف ان يرث ويستوعب وينتفع بتراث السلف ،وبالتطرق الى الرحلات

[1]-جميلة روباش: **أدب الرحلة في المغرب العربي**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الادب الجزائري القديم ،كلية الآداب ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة 2015/2014م،ص08.

[2]-نفسه ص08.

[3]-ناصر عبد الرزاق الموافي: المرجع السابق ،ص25.

والكشوف الجغرافية القديمة لوجدانها تعتمد على الملاحظة والتعرف على ما يحيط بموقع الحضارة، لإقامة علاقات مع من يحيط بموقعه من الناحية السلمية او الحربية او لمعرفة مواقع الخطر والاستعداد والتأهب ضد اي هجوم، ويمكن حصر الرحلات القديمة بالنسبة للحضارة العراقية القديمة ،بحيث برز الاهتمام المعرفة الجغرافية من خلال التجارة والفتوحات الخارجية التي مكنتهم من التعرف على مناطق واسعة من الشرق[1]،ومن اقدم الرحلات التجارية رحلات القدماء المصريون عام 1493ق.م،ورحلات الفينيقيون التي مكنتهم من الوصول الى اقصى الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 12ق.م[2]،حيت خاضوا في رحلاتهم عباب المحيط الأطلسي وحطوا رحالهم في الجزائر البريطانية ،تم خلفهم الإغريق بإقامة مستعمرات لهم في البحر الأسود وفي بحر الروم ،وقد عنوا عناية واسعة بوصف البلدان والأقاليم التي زاروها ،واكبر رحالة عرفه الإغريق "هيرودوت " الذي زار مصر وقبرص وفينيقيا وإيران وغيرها من البلدان، ومن بين المؤرخين القدماء يوليوس قيصر الذي دون في كتابه "التعليقات "حروبه مع ألغال، وفي القرن الثاني للميلاد بطليموس الاسكندري وهو اغرقي الأصل ،ترك كتابين في الجغرافيا والفلك [3].

2)- العصور الوسطى :

عرفت الرحلة تطورا كبيرا خاصة بمجئ الإسلام ،فبدأت الرغبة في اكتشاف ثقافة الغير تتبلور في عصر الفتوحات الكبرى، فطاف العرب وفتحوا الأرض من الهند والصين الى المحيط

[1]-أزهر حسين زروقي:(**الرحلة في الثرات العربي ودورها في رفد المعرفة الجغرافية**)،**مجلة اسرمون** ،المجلد 6، العدد19 ، السنة السادسة ،نيسان 2010م ،ص183.

[2]-عمر علوي أمرني واخرون :**ادب الرحلة في التواصل الادبي** ،سلسلة ندوات 5،جامعة المولى إسماعيل ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،مكناس ،المغرب ،ص26.

[3]-شوقي ضيف : الرحلات،ط4 ،دار المعارف ،القاهرة ،1987م ،ص ص7-8.

الاطلسي ،ومن جبال البرانس ومن التركستان وجبال القوقاز إلى السودان ،فأصبح كل ذلك عالما واحدا مشتركا في الدين والثقافة ،فوصفوا مؤرخو هذا العالم وبلدانه ،كما وصفوا سكانه ،وكان ذلك ارهاصا لما قام بها علماؤهم وأدبائهم من رحلات في المستقبل [1]،واخذت الرحلة طابعا أخرا وصارت فن عربيا أصيلا بسماته التاريخية والجغرافية، واهتمامه بحياة الناس، وتقاليدهم وأنماط عيشهم بمضمونه الفكري والاجتماعي وأسلوبه الأدبي المتميز.[2]

وعرفت الرحلة نشاطا وتوسعا في القرن الرابع الهجري وبشكل لم يسبق له مثيل فيما قبل ،[3]

حيت شرع العرب في تأليف رحلاتهم من القرن الثالث الى التاسع هجري ،ومن بين الرحالة احمد بن جعفر اليعقوبي (ت 284هـ) مؤلف كتاب "البلدان "،والمسعودي [4]صاحب كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر "، وكذلك الرحالة المقديسي صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم "حيت عده اكتر الباحثين والمستشرقين على الخصوص ،من اكبر الجغرافيين العرب آنذاك ،وقد قيل فيه "اخر ممثل للمدرسة الكلاسيكية الإسلامية بالمعنى الدقيق"[5].

---

[1]-شوقي ضيف :المرجع السابق ،ص8.

[2]-يسمينة شرابي :**الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائرية** ،مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة والادب العربي ،كلية الآداب واللغات ،جامعة اكلي محند اولحاج ،البويرة ،2013/2012م،ص40.

[3]-حسين محمد فهيم :**أدب الرحلات** ،عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية ،الكويت ،1989م،ص174.

[4]**-المسعودي** :هو علي بن الحسين بن علي ابو الحسن المسعودي من ذرية عبد الله بن مسعود ،مؤرخ ورحالة من اهل بغداد ،رحل في طلب العلم الى اقصى البلاد وطاف فارس وكرمان سنة 309م،وبلاد الصين وطاف البحر الهندي الى مدغشقر ،ثم عاد الى عمان ،جمع من الحقائق التاريخية والجغرافية مالم يسبقه إليه احد وألف كتب في مواضيع شتى ،أهمها التاريخ ،اشتهر بكتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر "،توفي سنة 363م ....ينظر الى ابي الحسن بن علي المسعودي :**مروج الذهب ومعادن الجوهر** ،مر :كمال حسن مرعي ،ط1، ج1،المكتبة العصرية ،بيروت -لبنان ،2005م ،ص5-6.

[5]-سميرة أنساعد :المرجع السابق ،ص.32

واضافة الى هذا اعتنى جغرافي رحالة أخر بالتأليف حول البلدان والممالك ،وتعيين مسافة الطرق والمسالك، وهو الرحالة ابن الفقيه الهمداني ،الذي ألف كتابه "البلدان "في نهاية القرن الرابع الهجري [1]،ومن اكبر الجغرافيين كذلك ابي عبد الله محمد الإدريسي[2] صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق "،كتب هذا الكتاب بالعربية في صقلية في بلاط ملكها روجر الثاني سنة 1154م،وصاحبه لم يزر جميع الممالك الإسلامية الشرقية، لكنه كتب عنها مما حصل عليه من كتب الرحالات ورسائل الزوار ،وهو يمثل مدرسة جغرافية خاصة [3]،وغيرهم من الرحالة امثال ابن بطوطة [4]والعبدري وغيره ،ولكن عرفت الرحلة في الوطن العربي تراجع ملحوظ خلال القرنين 9و10هـ،وذلك لشدة وطأة الحروب وتزايد هجمات الأوربيين على السواحل المغربية على الخصوص، ومن بينهم الرحالة ابن خلدون [5].

[1]-سميرة أنساعد: المرجع السابق ،ص32.

[2]-**الإدريسي** :هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس ،المدعو بالحمودي الحسني القرطبي والمعروف بالشريف الادريسي ،اعظم جغرافي في الاسلام ،ولد سنة 1100م ،له ملكة قوية في رسم الخرائط وصنف كتب في الصيدلة والنباتات ،اكسرها في بلاط بالرمو النورمندي ،ونظرا إلى إقامته في لبلدان المسيحية ونشاطاته في صقلية ،كانت بياناته عن هذه البلدان اعظم دقة من سائر الجغرافيين من العرب ،وهو من العلماء المسلمين الذين نقلوا كنوز العلم العربي الى الغرب ،من اشهر كتبه "نزهة المشتاق في اختراق الافاق "توفي سنة1166م ....ينظر الى محمد عبد الرحمان مرحبا:**الموجز في تاريخ العلوم عند العرب** ،تح :جميل صليبا ،ط1 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1981م ،ص102.

[3]-نقولا زيادة: **الجغرافية والرحلات عند العرب** ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1962م،ص14.

[4]-**ابن بطوطة** :هو محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ،وليد سنة 403هـ/1304م ،في مدينة طنجة بالمغرب ،وهو رحالة مسلم زار المغرب ومصر وبلاد الشام والحجاز ،دامت رحلته 30سنة ،وكان الفراغ في تقييدها في عام 756هـ/1355م ،التي سماها "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار "،توفي سنة779هـ/1378م ،....ينظر الى ابن بطوطة :**تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار** ،ط4 ،دار الكتب العلمية ،بيروت -لبنان ،2007م ،ص ص9-10.

[5]-**ابن خلدون** :هو عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ابو زيد ،من ذرية عثمان اخي كريب المذكور في نبهاء ثوار الاندلس ،ولد بتونس سنة 732هـ/1332م ،حفظ القران صغيرا ودرس النحو والفقه والتوحيد والشريعة وغيرهم من العلوم ،رحل إلى فأس وغرناطة وتلمسان والاندلس ،ثم عاد الى تونس ليتوجه الى مصر ،حيث القى دروسا في الازهر ،يعتبر مؤرخ وعالم اجتماعي ،من أشهر مؤلفاته "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر "،وهو ثلاث كتب في سبعة مجلدات

3)_في العصور الحديثة :

وفي العصر الحديث اتجه الرحالة الى أوربا يصفون مشاهداتهم فيها ،من بينهم الرحالة حسن الوزان المعروف "بليون الإفريقي "[1]،ومن رحلات القرن 17م نذكر احمد المقري التلمساني [2]،وهي رحلة غير مطبوعة (مخطوطة)تحمل عنوانا "رحلة في المشرق والمغرب " والرحالة العياشي [3]،اما اذا انتقلنا الى القرن 18م(12هـ)فنجد ان نشاط الرحلة سرعان ما أخذت في البروز أكثر

=توفي سنة 808هـ .....ينظر الى عبد الرحمان بن خلدون :**مقدمة ابن خلدون** ،تق :عبد الباري محمد الطاهر، ط1 ،دار الغد الجديد ،القاهرة ،2008م ،ص ص5-7.

[1]– **الحسن الوزان** :هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،رحالة ومؤرخ القرن 16م ،ينتسب الى قبيلة زيان الزناتية ،اختلف الباحثون في سنة ولاته بين 1495م و1500م ،رحل الى المغرب والسودان والحجاز وتركيا وغيرها ،درس اللغة العربية في ايطاليا لرجال الكنيسة ،كتب مؤلفات باللغة الايطالية في التاريخ والجغرافيا ،من مؤلفاته معج عربي –عبري لاتيني وكتاب في التراجم وكتاب الجغرافيا العامة ،اشتهر بكتابه "وصف إفريقيا "وهو القسم الثالث من كتاب الجغرافيا العامة ،ومقسم الى تسعة أقسام ،توفي حسن الوزان سنة 1550م ....ينظر الى الحسن بن محمد الوزان الفاسي :**وصف إفريقيا** ،تر :محمد حجي و محمد الأخضر ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت –لبنان ،1983م ،ص ص 5-14.

[2]–**المقري التلمساني** :هو احمد بن محمد بن احمد المقري التلمساني ،المكنى بابي العباس ،ولد سنة 986هـ ،بمدينة تلمسان ،اصل سرته من مقرة ،طلب العلم وعمره 24سنة ورحل الى فاس ومراكش ،وحين عودته كتب رحلته "روضة الأس العاطرة الأنفاس "،ثم اتجه الى المشرق 1027هـ،من مؤلفاته كذلك "أزهار الرياض في أخبار غياض "له حوالي 28 مؤلف ،منها "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب "توفي سنة 1041هـ ،...ينظر الى احمد بن محمد المقري التلمساني :**نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** ،تح :إحسان عباس ،دط ،مج 1،دار صادر ،بيروت –لبنان ،1988م ،ص ص 1-5.

[3]–**العياشي** :هو أبو سليم عبد الله بن محمد بن ابي بكر العياشي المالكي ،ولد بقيلة ايت عياش قرب تافلالت في شهر شعبان 1037هـ/1628م ،كان ابوه شيخ زاوية وهو الدي اشرف على دراساته الاولى ثم تتلمذ لمحمد بن الناصر في وادي درعة ،ثم عاد الى فاس ،وانتقل بعدها الى المشرق طلبا للعلم ثلاث مرات ،من مؤلفاته :منظومة في البيوع واخرى في التصوف ،سماها "تنبيه الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية "وله كتاب في التراجم عنوانه "افتقاء الآثار بعد ذهاب اهل الاثار "اشتهر العياشي برحلته المسماة "ماء الموائد "لما تتضمنه من اخبار وحوادث مختلفة شاهدها أو سمعها أثناء سفره ،توفي العياشي بالمغرب الاقصى سنة 1090هـ/1679م.....ينظر الى زهير حدادن

،ومن رحلات القرن 18م رحلة ابن عمار[1] المعروفة ب"نحلة اللبيب في أخبار الرحلة الى الحبيب"، وكذلك رحلة ابن حمادوش[2]الجزائري المسماة ب"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"،[3]ومن اشهر ما كتب عن الرحالة الذين اتجهوا إلىأوربا، رحلة رفاعة الطهطاوي [4]الى فرنسا وقد سماها "تخليص الإبريز في تلخيص باريز "وفيها وصف رحلته إليها مع البعث العلمي الأول من بعوث محمد علي ،وكان في سنة 1824م مصورا ما شاهده في باريس من جوانب الحياة المادية والسياسية وغيرها ،وقد قام بهذه الرحلة كمرشد وإمام ديني للبعثة العلمية

[1]**–ابن عمار** :هو احمد بن عمار عبد الله لقب بابي العباس ،وعرف بابن عمار ،اديب وشاعر ورحالة ،اهتم بالتاريخ والتراجم ،ولد سنة 1119هـ ،تولى وظيفة الافتاء المالكية مرتين 1180هـ والثانية 1184هـ ،اشتهر برحلته "نحلة اللبيب في اخبار الرحلة الى الحبيب "،اهتم فيها بأخبار المغاربة والمشارقة ،أتمها بالحجاز في حجته الأولى ،وهي مفقودة لم يبقى منها الى جزء يسير من المقدمة ،ومن مؤلفاته "لواء النصر في فضلاء العصر "وغيرها من مؤلفات ،عاش الى ما بعد سنة 1205م ،....ينظر إلى زهير أحدادان وآخرون :مرجع السابق، ص ص341-383.

[2]–**ابن حمادوش**:هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد ،المعروف بابن حمادوش الجزائري ،ولد في مدينة الجزائر سنة 1107هـ/1695م ،بدا رحلته وعمره 20سنة بداها بالحج ثم المغرب الاقصى والمشرق عاصر بعض الحملات الاسبانية على الجزائر مثل غارة اوريلي سنة 1775م ،والحرب الاهلية بالمغرب الاقصى ،كانت له ثقافة علمية بالجانب الشرعية ،فكان صيدلي وطبيب وحساب وفلكي وله تأليفات في هذه العلوم منها كتاب "الجوهر المكنون "واشتهر برحلته "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال "عاش حوالي تسعين سنة حيت تاريخ وفاته مجهول .....ينظر الى عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري :**رحلة ابن حمادوش**، تح :أبو القاسم سعد الله ،دط ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011م ،ص9-10.

[3]–يسمينة شرابي :المرجع السابق ،ص45.

[4]**– رفاعة الطهطاوي** :هو رفاعة بك بن بدري بن علي بن محمد بن علي بن رافع يلحق نسبه الى محمد الباقر بن علي

زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء، ولد في مصر ثم رحل إلى أوربا مع البعث العلمي الاول من بعوث محمد علي ،لتلقي العلوم الحديثة سنة 1241هـ ،درس اللغة الفرنسية واهتم بالتاريخ والتراجم والجغرافيا ،فترجم وهو في باريس كتابا سماه "قلائد المفاخر في غرائب الاوائل والاواخر "سنة 1247هـ ،ثم عاد الى مصر وتولى منصب مترجم ،ومن مؤلفاته "خلاصة الإبريز والديوان النفيس "توفي سنة 1290هـ ،...ينظر إلى جرجي زيدان :**مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر** ،ط3،ج2،مطبعة الهلال ، ص ص22-26.

،وعن المغرب العربي نخص بالذكر خير الدين التونسي (ت1308هـ/1890م) الذي قام برحالات ذات أغراض سياسية إدارية نحو الكثير من البلدان الأوربية واوجز أخبار رحلته الى فرنسا التي كانت عام 1853م في كتاب سماه "اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك "، وهكذا تعددت الرحلات في القرن العشرين وتنوعت في الاتجاهات والمقاصد ومن بين الرحالة المعاصرين في الوطن العربي نذكر :محمد لبيب البتنوني (ت.1357هـ/1938م)المعروف برحلته الحجازية وغيره الكثير ألف ولا يزال يؤلف في فن الرحلة.[1]

✓ **تعريف أدب الرحلة :**

تندرج الكثير من التعريفات لأدب الرحلة من قبل الباحثين ،حيت جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب "ان ادب الرحلة هو مجموعة الآثار الأدبية ،التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة ،وقد يتعرض فيها ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ،ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعة التي يشاهدها ،او يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ،أو يجمع بين كل هذا في ان واحد "[2]

ويعرفه ناصر عبد الرزاق الموافي بأنه «ذلك النثر الذي يصف رحلة —او رحلات واقعية قام بها رحال متميز، موازيا بين الذات والموضوع ومن خلال مضمون وشكل مرين بين بهدف التواصل مع القارئ والتأثير"[3]،ويذكر الدكتور عماد الذين خليل "ان أدب الرحلة ليس بحتا في التاريخ ولا وصفا جغرافيا، ..كما انه ليس قصة قصيرة او رواية او قصيدة، وانما هو هذا وذاك ،ومن ثم يكتسب خصائصه المتميزة وطعمه العذب ..وقدرته في الوقت نفسه على تلبية مطالب المؤرخين

[1]- سميرة أنساعد :المرجع السابق ،ص35.

[2]- يسمينة شرابي :المرجع السابق ،ص32.

[3]-ناصر عبد الرزاق الموافي :المرجع السابق ،ص41.

والجغرافيين والادباء ،الدين يطمحون لمعاينة الوقائع،..أنها تجوال في جغرافية الأماكن والظواهر والأشياء والتعرف على تكوينها "[1]،ان هذا الفن من فنون الأدب العربي لم يظهر تحت مسمى أدب الرحلات وإنما كان يظهر احيانا تحت خانة كتب التاريخ او الجغرافيا او السيرة الذاتية أو كتب الاعتراف، وهكذا فان التسمية أدب الرحلات "تسمية وليدة هذا العصر ،فهو نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى احد البلدان .[2]

✓ دوافع الرحلة وأنواعها:

الرحلة فعل طبيعي لدى الإنسان، حيت عرفها منذ نشأته والخروج إليها على سبيل الهواية او الاحتراف ،خروج يبتغي الهدف وبلوغ الغاية ،بل ويكون تنفيذ المهام المنوط بالرحلة تطوعا يقبل به المغامرون وعشاق الرحلة ،او تكليفا يقبل المكلفون ومحترفو الرحلة ،ولكن في كل الحالات وعلى كل المستويات تكون الرحلة استجابة لحوافز معينة أوامتثالا لدوافع . [3]

فيحرك الرحلة ويخرجها شيئان :دوافع ذاتية وهي الاساس التي تبنى عليه الرحلة، تم الاسباب الظاهرية والعامة لتكون مبررا مقبولا للقيام بهذه الرحلة ،فنذكر اهم دوافع واسباب الرحلة دون ادعاء حصرها :

-الكشف عما يجمع ولا يفرق ، عما هو أصيل غير عارض عن حقيقة الكون

-الرغبة في العزلة والتأمل لأنهما من الحاجات اللازمة والضرورية لأي شخص مفكر .

---

[1]-عماد الدين خليل :**من ادب الرحلات** ، د ط ،دار ابن كثير ،2005م،ص06.

[2]-محمد رضي الرحمان ألقاسمي :(**الرحلة وآدابها في اللغة العربية**) ،**مجلة الداعي**، الشهرية الصادرة من دار العلوم ،1434هـ/2013م،العدد6-7.

[3]-صلاح الدين الشامي :المرجع السابق ،ص12.

-البحث عن الجمال المفقود ، والسلام المنشود ،والفوضى الفطرية .

-الوعي والالهام من اجل الابداع ،وقد كان بعض الشعراء العرب يرحلون الى البادية اذا تعذر عليهم قول الشعر ،فتعمل الصحراء على تصفية الذهن[1] .

-وقد يكون الملل الناجم عن الحياة الرتيبة التي يحياها الإنسان دافعا للرحلة.

دوافع دينية : وذلك بتعدد انواعه :

ا-الهجرة :الخروج من دار الحرب الى دار السلام لما نهى عن العمل بالشريعة وعن القيام بالشعائر

ب-اداء فريضة الحج: وهي فرض بالنسبة لحجة العمر لمن استطاع اليه سبيلا

ج-الرحلة للجهاد او الرباط في سبيل الله .

د-تبليع الدعوة الى اقطار العالم ،او الرحلة بقصد العبرة والاتعاظ.[2]

_دوافع علمية و ثقافية :بغرض الاستزادة من العلم في منطقة اخرى ، ذاع صيت ابنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها ،وتذكر كتب الحديث والسير ان من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الانهار طلب لحديت،[3]ورغبة للسفر ذاته وحب

[1]- ناصر عبد الرزاق الموافي :المرجع السابق ،ص26.

[2]-محمد رضي الرحمان ألقاسمي :المرجع السابق ،ص6.

[3]-فؤاد قنديل :**ادب الرحلة في التراث العربي** ،ط1 ،مكتبة الدار العربية للكتاب ،القاهرة ،مصر ،2002م،ص19.

التنقل والمعرفة الجديدة في خلق الطبيعة والبشر ،وقد تكون لمعرفة المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات وغيرها .[1]

_دوافع سياسية :وذلك من اجل القيام بأعمال رسمية، خدمة للدولة التي ينتمي إليها الرحالة[2]كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام الى ملوك وحكام دول اخرى .

_دوافع اقتصادية :من اجل التجارة والمكسب المادي ،ولفتح اسواق جديدة لمنتجات محلية او لجلب سلع تتوافر في بلاد اخرى ،وتنذر في بلد المسافر ،وقد تكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص والسير والوفرة والعمل [3].

_دوافع سياحية استطلاعية: قد يخطر لمحب التجوال والمغارة ان يرتحل لمدة ،كثيرا ما تستغرق شهورا وسنوات يدون أثناءها ما يعجبه او يجلب انتباهه [4]،رغبة في حب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر ،وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة واكتساب الخبرة بالمسالك .

_دوافع صحية :كالسفر للعلاج او الاستشفاء، او راحة النفس من ألوان العناء ،وتخليصها من الكدر، كالارتحال الى المناطق الريفية ونحوها ،او هربا من وباء او طاعون او تلوث[5].

---

[1]-صفية بوشرف و نسمة مكي :**الرحلات المغاربة الى المشرق خلال العهد العثماني (939-1251هـ/1518-1830م)**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم العلوم الانسانية ،جامعة الدكتور يحي فارس ،المدية ،2015/2014م،ص11.

[2]-ناصر عبد الرزاق الموافي :المرجع السابق ،ص28.

[3]-فؤاد قنديل :المرجع السابق ،ص20.

[4]-مولاي بالحميسي :**الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العتماني** ،ط2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981م،ص.11

[5]-فؤاد قنديل :المرجع السابق ،ص 20

وقد تكون ظروف تاريخية معينة داعية للرحلة، او تكون الظروف مواتية وتسهيلات ممنوحة للرحلة وأصحابها دافعا للقيام بها ،او قد تكون الرحلة داء لا يمكن الخلاص منه ،فيطلق على صاحبها اسم الجوال .

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة الى وجود فارق أساسي بين دوافع الرحالة القدماء والرحالة المحدثين ،ويمثل هذا الفارق في انبهار القدماء بكل ما هو من عمل الإنسان وإغفالهم في الأغلب للطبيعة البكر، بينما يغفل الرحالة المحدثون كل ما قد تدخلت فيه يد الإنسان بالتعديل او التحريف ، يبحثون عن كل ما هو بكر وفطري وبدائي [1].

✓ **أنواع الرحلة عند العرب :**

عرفت الرحلات عند العرب عدة أنواع حيث ذهب الدارسون إلى تصنيفها أو حصرها في أنواع هامة، لكن بقي الاختلاف في تصنيفاتهم لها، حيث حصرها صلاح الدين الشامي في ستة أنواع، منها ثلاثة ظهرت قبل الإسلام وتمثلت في رحلة الحج ورحلة الحرب ورحلة السفارة ،وثلاثة الأخرى بعد ظهور الإسلام، منها رحلة الحج كذلك ورحلة طلب العلم ورحلة التجوال ،كما يصنفها الدكتور محمد الفاسي إلى أنواع اخرى وعددها 15 نوع منها الرحلات الحجازية والسياسية و المقامية والعلمية والاقتصادية والرسمية [2]، ويمكننا التركيز أكثر على هذه الأنواع:

1-الرحلات الحجازية:

تعد رحلات الحج والعمرة من الدوافع الأساسية التي يتمناها الإنسان، شوقا لزيارة الأماكن المقدسة واستكمالا لدين او لطلب المغفرة او لتوبة، وقد يكون منها التبشير بدين

[1]-ناصر عبد الرزاق الموافي: المرجع السابق، ص29.

[2]-سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص27.

الإسلام والدعوة إليه، والرحلة في طلب حديث او أية بدراية[1]، ويحدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله " لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى"[2].

فالحج ركن من أركان الإسلام وخير مناسبة للتعرف على المجتمعات الإسلامية وملتقى حجاجها ،مجال لتبادل المعارف بالتدريس والإجازات ،حيث عادت نتائج هذه الشعيرة الدينية على المكتبة، ويتجلى الباحث الروحي في الرحلات الحجازية من خلال أشعار الشوق والحنين إلى زيارة بيت رب العالمين، وفي هذا يقول ابن ناصر الدرعي:" تتابعت زفراتي وأنيني وكثر اشتياقي وحنيني إلى تكحيل إنسان العينين بمشاهدة مشاهد الحرمين".

فالحج من أغلى الينابيع التي زودت المسلمين بالمعلومات حيث يصاحب الحجاج بعد عودتهم الى بلدانهم الكثير من القصص الأخبار التي سمعوها في طريقهم [3]،وتعود نتائج هذه الشعيرة الدينية على مكتبة الرحلات بالفوائد الجمة ، حيث جمع الرحالون بين اداء الفريضة والتحصيل العلمي ومعرفة الطرق، واستكشافها للبلدان ،وكذلك بالإضافة الى المشاهد المتنوعة [4]، ويقول محمود الصياد في هذا: "ان الحجاج كانوا يجتمعون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو كلما تقدمت بها الطريق لما ينضم اليها من وفود حتى يصبح في النهاية للعراق حجيجه والشام حجيجه وتسير القافلة في ألفة ونظام وتعاطف شامل ،يحميها جنود الحكام ويرحب بها سكان

[1]-محمد بن سعود بن عبد الله الحمد: المرجع السابق ص13.

[2]-مسلم بن الحجاج النيسابوري :**صحيح مسلم** ،ط1،مج،2م،ص159.

[3]-إسماعيل زردومي :**فن الرحلة في الادب المغربي القديم** ،اطروحة دكتوراه دولة في الأدب القديم ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة باتنة ،2005،ص18.

[4]-محمد ماكامان : المرجع السابق،ص24.

المدن والقرى في معظم الأحيان ويزداد الترحيب كلما زاد في القافلة عدد العلماء ورجال الدين"[1]

2-الرحلات العلمية:

تعتبر من أشهر الرحلات ، وهي رحلة تشوق الى العلم والجلوس في مجالسه ،[2]حيث ان الدارس إذا ما ثم تعلمه في بلاده يسافر بعيدا ويغترب طويلا لينزل بإحدى عواصم العالم العربي، حيث يجالس أشهر علماء العصر ويحضر دروسهم ويسعى في إجازاتهم، يقيد ما حدث ويلخص ما اقتطف لتصبح هذه التقاليد هيكل كتاب يعرف فيما بعد بالرحلة في طلب العلم ، حيث يعتبر طلب العلم[3]، من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام برحلات ،والإسلام بدوره كان دائما مشجعا لشد الرحال لطلب العلم[4] ،حيث ركز القران والسنة على الترغيب في العلم وبيان فضله ،فهان بعد المسافة في أعين الطلاب وشدو الرحال في طلبه ،وقد اثر عن الصحابي عبد الله بن مسعود قوله: "لو اعلم لو اعلم أحدا اعلم بكتاب الله مني لرحلت إليه "، ولعل أول تدوين للرحلة العلمية ما نسبه الربيع بن سليمان إلى شيخه الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة 204 هـ مما رواه قوله:" وأقبلت أطوف العراق وارض فارس وبلاد العجم والقي الرجال حتى كتبت وانأ ابن إحدى وعشرين سنة"[5]

[1]-حسين محمد فهيم : المرجع السابق ،ص80.

[2]-صفية بوشرف ونسمة مكي :المرجع السابق ،ص11.

[3]-مولاي بالحميسي : المرجع السابق ،ص10.

[4]-عبد الله كروم :**الرحلات بإقليم توات** ،دار دحلب للنشر ،الجزائر ،2007م،ص39.

[5]-محمد ماكامان :المرجع السابق ،ص21.

وتدخل ضمن هذه الرحلات الاستكشافية التي الغرض منها البحث عن المجهول حيث تساعد على اكتشاف مواطن الناس على هذه الأرض وعرفت الإنسان بمدى انتشاره فيها ومدى الاختلاف الواقع بينه وبين الآخرين في لغاتهم وعاداتهم وطقوسهم الدينية وطريقة عيشهم[1] .

3-الرحلات الاقتصادية:

يتضح في هذا المجال التجارة خصوصا، حين كان العرب يقومون بدور الوساطة التجارية بين المشرق المتمثل في الصين، الهند وفارس وبين الغرب المتمثل في سوريا ، مصر وروما حيث بلغت أوجها في ظل الخلافة الاسلامية وامتدت الى الغرب الإسلامي وإفريقيا السوداء[2]، وقد كانت الأسواق الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها مرتبطة ببعضها البعض كل الارتباط، وكان التجار يحملون متاجرهم وسلعهم الى حيث يرجون الربح الوفير[3]، وهو الغرض من هذه الرحلات الربح وجمع الاموال بجميع الطرق ،حيث اجتاز التجار الأوائل حدود البلاد الإسلامية فمهدوا طريق البحث للرحالة المسلمين ،وسعوا الى نشر الإسلام في كثير من الأقطار، مثل اندونيسيا وأقاليم الفليبين وغيرها، لتخلق هذه الرحلات مظهرا دينيا حضاريا[4] ، والرحلة الاقتصادية هدفها اليوم معرفة المواقع الإستراتيجية ،لتسهيل حركة نقل البضائع ومعرفة المرافق والهياكل القاعدية في البلدان لتسهيل الاستثمار والسيولة المالية[5].

---

[1]-سميرة أنساعد :المرجع السابق ،ص25.

[2]-محمد ماكامان: المرجع السابق ،ص23.

[3]-نقولا زيادة :المرجع السابق ،ص15.

[4]-محمد ماكامان : المرجع السابق ،ص23.

[5]-نقولا زيادة : المرجع السابق ،15.

4-الرحلات السياسية:

حيث اتسعت رقعة العالم الإسلامي بين القوة والسياسة، فكان عليهم تبادل الرسل والهدايا مع ملوك الأمم المجاورة ، فقام الوزراء بدور بارز في السياسة الخارجية ،وفي نقل صور عن الشعوب التي زاروها وهكذا وأصبح اختيار السفير ضروري [1]،لنقل الأخبار والمعلومات الخاصة، ليضمن استقرار الدولة، ويذهب بعض الدارسين الى ان التجسس كان سببا في قيام بعض الرحلات القديمة اما العصر الحديث فأصبح التجسس السبب الحقيقي لكثير من الرحلات[2].

ونضيف الى أنواع الرحلة، رحلة الرسل المترددين بين الملوك والأمراء، خاصة بعد خضوع العالم الإسلامي برقعته الواسعة لدولة واحدة، بادئ الامر، ونذكر في هذا طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من علي بن ابي طالب وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم الرحلة لغرض التجسس واستطلاع امر الماء في غزوة المسلين للكفار في بدر.[3]

✓ أهمية الرحلات في التدوين التاريخي:

يعتبر نص الرحلة مصدر من مصادر المعرفة العامة المبرزة للظواهر الفكرية، ويعتبر أيضا رابطة ثقافية تصور جوانب شتى من النشاط الفكري والسياسي في العالم، من خلال مرئيات الرحالة ،ومن الجانب التاريخي فيحمل علما غزيرا ودقة وصف وحسن اختيار للأخبار[4] ،وهو ما يجعل النص التاريخي الجديد المستند في فحواه على النص ألرحلي نصا ذا قيمة تاريخية عالية ،حيت

[1]-محمد ماكامان : المرجع السابق،ص22.

[2]-عبد الله كروم :المرجع السابق ،ص40.

[3]-سميرة أنساعد :المرجع السابق، ص 22.

[4]- محمد ماكامان : المرجع نفسه :ص22

وصف الرحالة لجغرافيا معينة بكل ما شاهده غالبا ما تكون تلك المشاهدات اقرب للصحة اكثر من غيرها من النصوص.[1]

وتتجلى القيمة العلمية لكتب الرحلات، في المعلومات التي تقدمها في جميع نواحي الحياة، فهي من المصادر التاريخية المهمة التي ترصد الحياة الثقافية والاجتماعية للشعوب، الى جانب الاهمية الجغرافية التي تتجلى من خلال مصنفات الرحالة العرب الأوائل، فتنضم الى التراث العربي الجغرافي والتاريخي، بما ساهمت به من مادة غزيرة كانت نتاج نظر ومعاينة واستقصاء وقراءة من قبل العلماء الرحالين ،أمثال المقديسي والإدريسي ،حيث عرفوا قومهم ومن جاء بعدهم من الشرق والغرب بالعالم الاسلامي[2]، خاصة وقد وقف الابتكار العربي في الجغرافية ايام الإدريسي، اذا لم يقم بعده من جاء بجديد سوى الرحالين، وتجدر الإشارة هنا الى ان مؤرخي الأبحاث الجغرافية متفقون على ان فضل العرب على الفلك كان عظيما[3] .

فالرحلة بمثابة مدونة يلجا اليه الكثير من الدارسين، لاستخلاص العديد من المعارف بكل اطمئنان وارتياحية، في مجال التاريخ تنقل الاختصاص بواقعية وبكيفية حية ،فاذا كان التاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان وتاريخها بمختلف مظاهرها ،فان الرحلات أعطت كل ذلك بعده المناسب ،وتطرقت الى تحليل جوانب لم تتطرق الى تحليلها الوثائق التاريخية ،فقامت الرحلات بوضع كل ذلك في دائرة الإشعاع التي تواجه اليها لاستجلاء الواقع وإخراج

[1]- سليمان دهان :**ركب الحج الجزائري في العهد العثماني من خلال نصوص الرحلة 1515-1830م**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم العلوم الإنسانية ،2013/2012م،ص09.

[2]-نقولا زيادة :المرجع السابق ،ص ص14-15.

[3]-نفسه ،ص ص14-15

التاريخ من حدوده الطبيعية [1]،حيت ويعود الفضل لكتب الرحلة في انها حفظت جانبا عظيما من التاريخ ،أودعت الكثير مما شاهده مؤلفوها من أحوال الدول ووقائعها، كما انها ساهمت في توطيد الصلات بين الشعوب وحصول التعارف بينها، كما ان الرحالة في حد ذاته يكتسب التجربة والتنويع الأسلوبي، بالنسبة لمجال التعبير الأدبي وتنويع للثقافة الشخصية و التعدد في الاختصاصات والموضوعات والمسائل المختلفة مما يدفعه للبحث والتحقيق والتأكد من صحة اقواله[2] .

و من الاهمية كذلك، وصفها لرئتين يتنفس عبرهما الإنسان للهواء الطلق والنسيم العليل، وبها يغتسل القلب من الأدران، وتمنح ايضا صاحبها عيونا جديدة تحسن الرؤية والتأمل، وتدفعه للعمل والإتقان ، وبها تنتقل الخبرات والمعارف والعادات والتقاليد ،كما تتعمق العلاقات ويسود السلام والتعاون والتعايش، و حوار الحضارات والثقافات [3]،حيت ساهمت في إيصال فن من الفنون او علم من العلوم إلى قطر من الأقطار لم يعرفه قط، وذلك بالمكتسبات العلمية للرحالة [4]، ويقول في ذلك ابن خلدون:" والرحلة لابد منها في طلب العلم في اكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال".[5]

وهكذا فأدب الرحلات ارتياد لمناهل الثقافة والأدب والعلم والمعرفة، اذ تبدو البلاد امامة كتابا مفتوحا ،يقرا المرء بين ثنايا سطوره دقائق حياة الامم وتاريخها وثقافتها ومآثرها.

---

[1]-يسمينة شرابي :المرجع السابق ،ص56.

[2]-سميرة أنساعد: المرجع نفسه ،ص ص30-31.

[3]-محمد بن سعود بن عبد الله الحمد :المرجع السابق ،ص13.

[4]-سليمان دهان :المرجع السابق ،ص16.

[5]-ابن خلدون :المصدر السابق ،ص542.

ومما سبق فنستنتج ان للرحلات دور كبير في وصف الأقاليم والعناية بها، فتعتبر الرحلة الأب الشرعي للجغرافيا ،حيت تقدم إسهامات في نشأة وتطور علوم إنسانية اجتماعية ،من اهم إسهاماتها معرفة الانسان للإنسان ،فقد كانت الرحلة دائما بمثابة آلة التصوير، التي تسجل ما ألفه الناس واعتادوه، بحيث حسبوه غير جدير بالملاحظة وهو ما يعني ان الرحلة قدمت لنا الكثير من المادة الخام التي قامت على أساسها دراسات التاريخ الاجتماعي بمختلف فروعه، كما عرفت بالبلدان ووصف الطرق والمسالك والأسواق ،وذكر أخبار الأمم والجماعات البشرية ماضيا وحاضرا وعرض محاسنها ومساوئها وعاداتها وتقاليدها وطقوسها الدينية ،والتاريخ للإحداث المتنوعة، وتقديم المعلومات موجزة او مفصلة عن الأحوال السياسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها ،للبلدان المختارة او المقصودة من الزيارة [1]،كما انها تجود بالمكاسب العلمية والأدبية التي يتعذر الإحاطة بها، يقول الكاتب الفرنسي سافاري الحقيقة عندما قال :"ان الرحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان"؟

II–التعريف بالرحالة الحسين الورثيلاني واحمد بن ناصر الدرعي :

تعددت الرحالات المغاربة إلى المشرق بتعدد الدوافع والأغراض ،ممثلة من اهم المظاهر الحضارية في مختلف العصور الاسلامية ،وذلك لان المشرق يضم اماكن مقدسة ومراكز علمية وثقافية ،كما ان المغاربة كانوا على اتصال دائم بالمشرق، سواء عن طريق التجارة أو السياحة وطلب العلم ،فتعددت الأهداف والدوافع إما علمية أو دينية أو صحية واقتصادية وغيرها ،وكذلك الحال بالنسبة للرحالة المغاربة في القرن 18م ،والتي سنخص بالذكر في بحثنا هذا الرحالة الجزائري الحسين الورثيلاني والرحالة المغربي ابو العباس احمد ابو ناصر الدرعي .

[1]- صفية بوشرف ونسمة مكي :المرجع السابق ،ص ص 24-25.

1-التعريف بالرحالة الحسين الورثيلاني1125هـ/1713م-1193هـ/1779م:

✓ **نسبه وحياته :**

هو الحسين بن محمد بن السعيد الورثيلاني نسبة إلى بني ورثلان بالقبائل الصغرى ،ولد سنة 1125هـ/1713م،وتوفي سنة 1193هـ/1779م،في شهر رمضان عن سن تناهز الثمانية والستين سنة ودفن بموطنه قرية انو .[1]

ينتسب إلى أسرة علم وصلاح ،تعود أصولها حسب الروايات المتداولة إلى شرفاء تافلالت ،جنوب المغرب الاقصى ،ثم استقرت ببجاية[2] ،في عهد جده علي البجائي ببني ورثلان، حيت ظهر من هذه الأسرة العديد من الفقهاء والمتصوفة ،فوالده محمد السعيد عالم في التوحيد ،مدرك للتصوف وفقيه .

هذا وقد إجتمع في أصول الورثيلاني الدين والدنيا ،فلدين عن طريق جده ووالده اللذين كانا من المرابطين ،والدنيا عن طريق أخواله أولاد أمقران الدين كانوا حكاما ورجال سيف[3]، حيث كان جده الحسين مدرسا ومطلعا وباحثا وحافظا لمختلف الكتب، التي تتناول علوم الظاهر والباطن، كما اشتغل مفتيا، فيذكر الحسين الورثيلاني في أن جده هذا درس في جامع الأزهر بمصر وأن محمدا "محمد بن عبد الباقي الزرقاني الشارح الموطأ وشارح المواهب اللذنية" ومن أجداده أيضا يحيي الورثيلاني الذي كان يملك خزانة من الكتب، وهذا الرجل كان فقهيا

---

[1]-رقية شارف :**الكتابات التاريخية الحديثة خلال القرن18م وبداية 19م** ،ط1،دار الملكية ،الجزائر ،2007م ،ص65.

[2]- ناصر الدين سعيدوني : **من الثرات التاريخي والجغرافي في الغرب الإسلامي**،د.ط، دار البصائر ،الجزائر ،2012م ،ص452.

[3]- أبو عبد القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1998م،ص 394.

ومتصوفا وعالما بالتوحيد، ومشرفا عن الزاوية، التي كان يقصدها الطلاب من مختلف انحاء الجزائر، أما جده الشريف الذي استقر ببجاية ثم انتقل إلى بني يعلى، ويتصل أحمد الشريف جد الورثيلاني بنسب ينتهي الى الحسين بن علي بن ابي طالب.[1]

نشأ الورثيلاني نشأة فقيرة أساسها التقشف الصوفي، وفى المدرسة القرآنية التي كان يديرها والده[2]،

وتزوج الورثيلاني حوالي خمس مرات على الأقل، وقد اصطحب بعض ازواجه إلى الحج مثل عائشة بنت الشيخ السعدي بن المسعود وعويشة بنت(الشيخ السعدي) عبد الله بن رحاب من أولاد دراج، وتزوج أيضا من بنت الشيخ سيدي بركات من بني يعلى، ولعل مصاهرته المتنوعة هذه قد أكسبته شهرة وسعت من نفوذه الديني والاجتماعي.[3]

✓ **شيوخه وثقافته:**

حفظ الورثيلاني القرءان الكريم وهو في سن مبكرة، وبعد أن أصبح شابا ذهب إلى طلب العلم في مختلف الزوايا[4]،فكان والده أول أشياخه ثم أشياخ بلدته، بعدها انتقل إلى زوايا ومعاهد العلم بالقرقور وجرجرة ودلس والجزائر[5]،فتعلم الفقه والنحو والتوحيد و،لم يكتف بالعلوم الشرعية فحسب بل اعتنى بدراسة الأدب والتأليف وبالتاريخ كذلك[6] ،فحرص على توسيع معارفه وتنمية معلوماته وثقافته، سواء داخل بلده أو خارجه ،فدرس على يد مجموعة من

[1]- عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص233

[2]-ابو القاسم سعد الله :المرجع السابق ،ص394 .

[3]- عبد الله صحراوي :المرجع السابق، ص ص239-240.

[4]-ابو القاسم سعد الله :المرجع السابق،ص394.

[5]-رقية شارف :المرجع السابق ،ص65.

[6]-سميرة أنساعد :المرجع السابق ،ص46.

الشيوخ، ففي بلدته أخذ العلم على يد والده وكذلك على يد أحمد بن عبد الله والشيخ اليعلاوي وهو تلميذ جده ،إضافة إلى الشيخ زروق بن احمد الشيخ العنابي[1]،نال حظا من العلم والمعرفة في مجال الفقه والنحو والتصوف والتوحيد والأدب والعروض[2]، إلا أن تلهفه إلى المزيد جعله يتوجه نحو مراكز علميه أخرى خارج وطنه الجزائر، وهكذا استفاد من حجاته المتعددة إلى أرض الحجاز، للاتصال بالعلماء في تونس وليبيا وطرابلس ،ففي تونس درس على يد محمد بن عبد العزيز وعبد الله السوسي ويحي بن حمزة، وذكر العلماء الذين إلتقى بهم في مصر من أمثال الشيخ الحفناوي الذي أجازه[3] في علم المعقول والمنقول،[4]فقال فيه الشيخ الحنفاوي "هو الإمام العالم العلامة ،الكامل الاستاذ الهمام ،شيخ المشايخ ،الورع الصالح العابد ،المتتبع لأثر الرسول صلى الله عليه وسلم ،الجامع بين المعقول والمنقول ،بحر الحقائق ،وكنز الدقائق ،مفيد الطالبين ومربي السالكين ،وقدوة العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين .."[5]

[1]-عبد القادر صحراوي : المرجع السابق ،ص ص236-237.

[2]-عبد القادر حليس :**المشرق العربي من خلال رحلات المغاربة** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر ،2011م ،ص ص101.

[3]- **الإجازة:** هي ما يقابل اليوم الشهادات الجامعية وشهادات الكفاءة التي تؤهل حاملها لتدريس الفقه أو المنطق أو علم من العلوم الكثيرة أو تخوله حق الرواية وتلقين المعارف على الصورة التي تلقاها بها ...ينظر إلى محمد عبد الرحمان مرحبا :المرجع السابق ،ص120.

[4]-عبد القادر صحراوي :نفسه ،ص236.

[5]-أبي القاسم محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف** ،تح :خير الدين شترة ،ج2،ط1،دار كردادة ،2015م ،ص826.

وقد اخذ العلم عن الشيخ الصعيدي والجوهري والنفراوي والعفيفي والسيد البليدي والملوي والضباغ والعمروسي وخليل الأزهري وعمر الطحلاوي، والزياتي والاشبيلي وأبي القاسم الربيعي والهاشمي والفيومي وغيره من العلماء [1]

✓ **مكانته وتصوفه:**

تمتع الحسين الورثيلاني على غرار العلماء والمرابطين بمكانة دينية وسياسية مهمة، سواء عند السلطة او عند عامة الناس[2]، وتجلى وصف هذه المكانة" بانه لذا العالم العامل المحقق الكامل العارف بالله تعالى امام المحققين والمريدين ....." كما اعطى الورثيلاني مكانه علمية، فقد كان ينظر اليه على انه عالم من أعلام المذهب المالكي، وقد نعته مترجموه بذلك، ولعل ما يؤكده ذلك، تلك الحلقات الدراسية التي كان يعقدها، سوء في بلاد المغرب ومن المشرق، و أصبحت له مكانه سياسية حيث دخل السياسة من باب الاستنجاد به من طرف الحكام، لتهدئة الأوضاع والاضطرابات وتسوية الخلافات ،كما كانت له سلطة في القضاء على التمردات، وعن الدين خرجوا من الشريعة الإسلامية، هذه ما جعله يقوم بتأديب بعض الاعراش ،كعرش بنو عشاش وطائفة من بني إبراهيم[3] ،

غلبت عليه الروح الصوفية أكثر من الفقهية ،حيث كان يجمع بين علوم الظاهر والباطن ويسير في مذهبه على مبادى الشاذلية[4] ،ومما يؤكد تصوفه الاهتمام الكبير الذي أولاه لكتب

---

[1]-الحسين الورثيلاني: **الرحلة الورثيلانية "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**، تح :محمد بن ابي شنب ،ج1،ط1،دار الأبحاث ،الجزائر ،2013م ،ص12 ، كما تطرقت للحديث عن لقاء الورثيلاني بعلماء مصر بالأزهر بالتفصيل في الفصل الثالث.

[2]- عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص255.

[3]- عبد القادر حليس :المرجع السابق ،ص104.

[4]-ناصر الدين سعيدوني :المرجع السابق ،ص452.

التصوف، قراءة وتأليفا وتدريسا ،كما يبرز في رحلته حبه للأولياء، وتصريفهم في العوالم والاكوان، ونفوذهم الباهر وقوتهم ويصل الامر بالورثيلاني الى اعتبارهم أبواب الله في الأرض، ولا سبيل للوصول الى الله الا عن طريقهم، وتدرك من هذا ان مذهبه في التصوف هو ابتاع الطريقة الشاذلية،[1]ودراسة علم الباطن وانتقاد الفقهاء الذين اعتبراهم اعداء للصوفية والاولياء واعتبرهم من خاصة الله، إلا أنه لم يتوان عن الاهتمام بالأمور الدنيوية ، وهو في هذا لم يختلف عن بقية الشاذلين[2] .

✓ **رحلاته ومؤلفاته:**

أدى الورثيلاني فريضة الحج ثلاث مرات:

- الأولى صحبته أبيه وهو ابن الثامن عشر (1153هـ/1740م)
- الثانية عندما بلغ الواحد والاربعين (1166هـ/1752م)
- الثالثة استغرقت ثالثة سنوات (1179هـ_1181هـ/1765_1767م) أتمها في الرابعة والخميس من عمره [3]

زار خلال رحلاته إلى المشرق تونس وطرابلس ومصر والحجاز للسياحة وطلب العلم وأداء فريضة الحج ،فجرب المسالك الصعبة والسهلة المؤدية إلى الحجاز، واتصل بالعلماء في كل

[1]–**الطريقة الشاذلية** : تنسب إلى أبي الحسب الشاذلي ،المدفون بصعيد مصر، وتتلمذ على يد اكبر اتباع سيدي ابي مدين الغوث ،وهو العلامة عبد السلام بن مشيش ،وقد فضل الشاذلي الهجرة الى المشرق ،مخلفا وراءه عددا من الاتباع ،ومال في تصوفه إلى الورع والزهد ،تركز هذه الطريقة على التقوى واتباع السنة قولا وفعلا والاعراض عن الخلق في الاقبال والادبار والرضى بالقسمة الربانية والرجوع الى الله في السراء والضراء ،انتشرت بشكل كبير خلال القرن تاسع هجري ،وتفرعت إلى= حوالي عشرين فرعا في المغرب ،وثمانية فروع في مصر ،وتميز كل فرع بسلسلته وقطبه ...ينظر الى عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص ص45-46.

[2]–نفسه ،ص ص 251-253.

[3]–ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ،ص ص452-453.

البلدان المجتازة[1] حيث يذكر الحنفاري في هذا " ثم رحل إلى المشرق فحج واجتمع بالخضر عليه السلام بمكة المشرفة واجتمع بالشيخ الهماق صاحب الطريقة المشهورة بالمدينة المنورة ،ودخل مصر القاهرة فوجدها طافحة بالعلم والعلماء نيرة زاهرة ،فكرع واستفاد ، وأخذ العلوم العالية من أولائك الأسود والأسياد ... ثم رجع إلى من المشرق بعد أن امتلأ وطابه ، وفاضة عبابه ،فعلم وأفاد وألف وأجاد ودعى إلى الله العباد ، وقهر الجهلة أهل التعصب والعناد "[2]

كما قام الورثيلاني برحلات داخلية زار فيها أغلب مناطق الجزائر وتميزت رحلاته الداخلية بطابع ديني تعليمي استطلاعي حيث لم يشر الورثيلاني أن هناك هدف مادي ماعدا كرم الضيافة الذي تلقاه من مديريه وتلامذته إلا أن المعروف أن صاحب الزاوية دائما تقدم له الهدايا النقدية والعينية.

وقد دفع طموح الورثيلاني وشغفه بالأسفار وطلب العلم واكتساب الشهرة إلى الصبر والجد، على تحمل المشقة واتعاب السفر، وقطع هذه المسافات المحفوفة بالمشاكل، وقد بين أن للرحلة وتاريخها من اثر على تحصيل العلوم في قوله "إن المرتبة الخاصة بالعلماء تزيد وتنقص بعلم التاريخ "[3] وبعد رجوعه إلى وطنه أقام فيه استقر بمسجد أسرته، معتكفا للعبادة منقطعا للتدريس والوعظ [4]،فكان كثير التردد على بجاية خاصة في شهر رمضان ،من اجل الرباط والتدريس ،وبسبب شهرته قصده الطلاب والزوار من داخل الجزائر وخارجها ،طلبا للعلم والبركة ،ومن الدين درسوا عنده محمد بن الفقيه ومحمد السكلاوي الجزائري ،ومحمد خروف وأبو القاسم بن مدور من بني عباس الذي اشتغل قاضيا ببجاية ،وابن عمه الشيخ محمد الصالح

[1]-سميرة أنساعد :المرجع السابق ،ص46.

[2]-أبي القاسم محمد الحنفاوي :المرجع السابق ،ص 827.

[3]- عبد القادر حليس :المرجع السابق ،ص ص105-106.

[4]- ناصر الدين سعيدوني :المرجع السابق ،ص453.

[1]،ونتيجة لنشاطه العلمي تمكن الورثيلاني من تأليف عدة كتب ومصنفات منها: حاشية على كتاب" المرادين" "وشرح على خطبة الصغرى "وحاشية على السكتاني"[2]، و "الكواكب العرفانية والشوارق الانسية في شرح ألفاظ القدسية. "و رسالة في شرح (خضنا بحر وقفت الأنبياء بساحله) [3]،ويعتبر شرحه لقصيدة القدسية لعبد الرحمان الأخضري من أهم أعماله التي خصصها للتصوف ،وكذلك شرح على وظيفة الشيخ يحي العيدلي ،الذي ذكر له بعض الكرامات، كما له وصف لمدينة برقة ضاع منه خلال إحدى رحلات حجه، كما فسر لغزا صوفيا لأحمد بن يوسف المليانى عجز عن تفسيره علماء خاس ،كما شرح كتابا عن الصلاة وقد أوصاه مؤلفه الشيخ السمان القرشي المدني بشرحه [4]،ومن مؤلفاته كذلك قصيدة ميمية في نحو 500 بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم[5]، وأكبر عمل ألفه في التاريخ، الأخبار هي الرجلة الورثيلانية

✓ التعريف بالرحلة «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار":

كان للورثيلاني شعور قوي بالتاريخ، خلافا لبعض علماء عصره، فعزم أن يكتب عملا ضخما يضاهي به أو يفوق عمل الدرعي والعياشي وغيرهما ،من كتاب الرحالة المغاربة، فهي تدخل ضمن الرحلات الحجازية حيث تقسم الرحلات خلال العهد العثماني إلى علمية

[1]- عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص238.

[2]- عادل نويهض:**معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام الى العصر الحديث** ،ط2، مؤسسة نويهض ،بيروت -لبنان ،1982م ،ص340.

[3]-عبد المنعم القاسمي الحسيني :**أعلام التصوف في الجزائر** ،ط1،دار الخليل القاسمي ،المسيلة -الجزائر ،1427هـ ،ص144.

[4]-عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص241

[5]- عادل نويهض :المرجع السابق ،ص340

وحجازية ، وقد سميت رحلته تسمية تلفت نظرنا ونحن بصدد دراسة التاريخ وهي "نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار [1]" ،والتي امتدت من موطنه "الجبل المثقوب " أزرو إيفلان بمنطقة بني ورثيلان ،إلى مختلف البلاد أولا ثم في إتجاه مكة ثانيا، بدءا من مسقط رأسه ثم نحو شرق الجزائر ، مرورا بزمورة وبسكرة وتبسة ثم إلى تونس إلى أن إصطدم ببحر الروم المسمى حاليا البحر الأبيض المتوسط، ثم ليبيا و مصر ثم دخل الحجاز بمحاذات بحر القلزم" البحر الأحمر حاليا"،إلى أن وصل إلى مكة المكرمة حيث موعد الحج ،وقد أخذت الرحلة تقريبا نفس المسلك في العودة، إذ مر على المدينة المنورة ثم تحرك في اتجاه الحجاز وسيناء ومصر، و بالإسكندرية ثم ليبيا وتونس، ثم إلى مدينة قسنطينة قبل أن يعود إلى مسقط رأسه بني ورثلان مرة أخرى[2]

دامت الرحلة حوالي ستة أشهر في الذهاب وسنة في العودة ويبدوا أنه أكمل كتابة رحلته بعد سنتين من عودته ثم أردها وثيقة إخبارية للخلف عن تجربة الرحلة إلى الحج بما تحمله من معاني إيمانية عظيمة وتجربة روحية عميقة، إضافة إلى ما يتخلل هذه الهجرة الظرفية في سبيل الله من عجائب ومخاطر ،و التفاصيل في نص الرحلة الذي يقع في حدود 800 صفحة .[3]

تضمنت الرحلة في مقدمتها ذكر الأهداف من تأليفها، فهي عبارة عن تراجم لحياة عدد من العلماء والأولياء اللذين ذكر أوصافهم ودعى إلى الإقتداء بهم، بإعتبار أن هد النوع من الآثار المنعدم في الوطن،[4]كما ذكر كذلك عدم بإهتمام بلاده بالتاريخ وسخريتهم من دراسته ،بينما

[1]- ابو القاسم سعد الله :المرجع السابق ،ص395 .

[2]- عبد الرحمان عزي :**التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية**، دط ،دار الحكمة للنشر والتوزيع ،الابيار –الجزائر ،2011م ،ص09.

[3]- عبد الرحمان عزي :المرجع السابق ،ص10.

[4]- عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص245.

علم السيرة النبوية جزءا منه ، و اعتبر علم التاريخ من العلوم التي تزيد في فضل الأنسان وتبعده عن القبائح، فكان هذا رأيا غريبا من الورثيلاني الذي كان مهتما للتصوف وعلوم الباطن أيضا، وهذا ما راه الدكتور أبو القاسم سعد الله. [1]

بدأ الورثيلاني في كتابة رحلته قبل رحلته إلى المشرق العربي سنة 1179هـ/ 1765م ،إذ لاشك أن القسم الكبير الذي خصصه لجولاته الداخلية من رحلته، يدل على أنه دونه قبل سفره حيث أن كتاب الرحلة قد إنتهى من تدوينه في شكله النهائي مباشرة بعد عودته بقليل[2]، فأشتهرت منذ أن إنتهى من كتابتها، وقد نسخها سعيد بن حمد بن يدير العباسي القلعي في سنة 1182هـ/ 1768م ،وقد صدرت أول طبعة حجرية لها في تونس سنة 1903م [3] ،وبهامشها تعليقات الشيخ ابن مهنا القسنطيني، صححها الشيخ علي الشنوني والشيخ الامين الجريدي ،في ثلاثة اجزاء في الاول 250صفحة والثاني 213صفحة والثالث 260 صفحة [4]،اما الطبعة المعتمدة بمطبعة فهي بير فونتانا الشرقية في الجزائر عام 1327هـ/1908م ،والتي قدم لها ونشرها محمد ابن أبي شنب إعتمادا على أربعة نسخ[5] ،حاول المحقق أبي شنب جاهدا مقارنتها وتسجيل ما ورد فيها من اختلاف أو حذف أو تحريفا او إضافة ، وقد كانت هذه الرحلة موضوع تعليق أضافة ودراسة تحليلية، نشرها الحاج الصدوق في المجلة الإفريقية تحت

[1]- أبو القاسم سعد الله :المرجع السابق ،ص395.

[2]- عبد القادر حليس: المرجع السابق ،ص107 .

[3]- عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،245.

[4]- محمد بسكر :**اعلام الفكر الجزائري** ،ج1،د ط، دار كردادة للنشر والتوزيع ،2013م ،ص225.

رقية شارف :المرجع السابق ،ص66

عنوان "مع الرحالة الورثيلاني عند المغرب الأدنى في القرن 18م "[1]، تحتوي النسخة المطبوعة بتونس والتي صححها محمد ابن أبي شنب بطلب من الحاكم الفرنسي جونار ،على 713 صفحة بالإضافة إلى خمس صفحات، تشمل مقدمة الناشر والمصحح مع ذكر ترجمة للمؤلف ، وهناك 105 صفحات من الفهارس الخاصة بالإعلام وأسماء الأماكن والقبائل والأعراش، وأخيرا أسماء المصادر التي تزيد عن 330مصدر في مختلف العلوم ،وتوجد حاليا بالمكتبة الوطنية في الجزائر عدة نسخ منها 3 تحت رقم 2171و 2743 و2968[2].

والطبعة الثالثة سنة 1974م بدار الكتاب العربي في بيروت ، والطبعة الرابعة في مكتبة الثقافة الدينية ،والطبعة الخامسة في دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع (الجزائر) سنة 2011م ،في ثلاث مجلدات ،على هامشها حاشية ابن مهنا [3]

[1]- ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دارسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت -لبنان ،2000م،ص573.

[2]- عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص246.

[3]- محمد بسكر :المرجع السابق ،ص226

✓ **الأهمية العلمية للرحلة الورثيلانية:**

تعتبر رحلة الورثيلاني مصدرا تاريخيا لا يمكن الاستغناء عنه، لمعرفة أوضاع الجزائر وتونس وليبيا ومصر والحجاز في منتصف القرن 18م، وذلك لما تضمنته من أوصاف دقيقة وما احتوته من معلومات كثيرة عاشها المؤلف وعاينها وحاول التثبت فيها بالرجوع إلى الرحالة السابقين [1].

فهي موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن 18م ،والمفيد للتاريخ العثور على كناشاته التي كان يسجل فيها ملاحظاته وأحكامه لجدير لنا بالدراسة والبحث أكثر مما درس حتى الآن يقول الدكتور أبو القاسم سعد[2]،كما تبرز القيمة التاريخية الكبيرة للرحلة بفضل ما اشتملت عليه من معلومات مهمة ،لها علاقة بالحياة السياسية والاقتصادية وأسلوب العيش ومستوى الثقافة والعادات والتقاليد والاهتمامات الشعبية للمدن والبلدان التي زارها خلال رحلته إلى الحج .

ومما يظهر القيمة التاريخية لرحلة الورثيلانية اتسامها بالمميزات التالية:

- الالتزام بالصدق في كل ما أورده من أحداث ويعبر عن رأيه بصراحة، وينتصر للحق اذا رأى في ذلك مصلحة عامة[3]
- اتصافه بالورع والتصوف والتواضع، فكان يكثر ذكره للأشخاص الذين تعرف عليهم من عبارات الشكر والمديح.
- تحريه وبحثه غن الحقيقة في كل ما عاينه أو سمعه[4]

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ،ص ص 574-575.

[2]-ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 398.

[3]- عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص ص247-248.

[4]- ناصر الدين سعيدوني :المرجع السابق ،ص473.

- ابتعاده عن الخرافات والأوصاف المبالغ فيها، فهو لا يميل إلى تسجيلها وإن اضطر إلى التعرض لها والإشارة إليها.
- تميزه بأسلوب تغلب عليه المحسنات اللفظية ويكثر فيها ترادف الكلمات وتوارد العبارات في شكل موزون[1]
- اعتباره التاريخ وسيلة تعليمية تهذب النفس، وتحث التمسك بالعقيدة الإسلامية وتحث على الأخلاق الكريمة، فالغاية في كتابة الأخبار وتسجيل الروايات عند الورثيلاني تكمن في كونها عبرة وموعظة للإنسان[2]

كما اعتمد الورثيلاني على مصادر كثيرة، فالنسبة للجزائر اعتمد على مشاهداته الخاصة، وما رواه العلماء، أما عن البلدان التي زارها فأخذ عن الرحالة الدرعي بالخصوص ثم العياشي، وكذلك ابن الشماع "الأدلة السنية" واعتمد كذلك المقريزي والبكري والعبدري. .... الخ[3]

وتدخل الرحلة الورثيلاني في أدب الرحلات ،التي تمثل نوعا من الفن التواصلي الذي جمع بين الربورتاج الصحفي والمذكرات الشخصية، وللاستطرادات والدراسة الانتربولوجية وتاريخ حالة البلاد والعباد في تلك الفترة.[4]

ويمكن الاستفادة من المادة التاريخية الغزيرة للرحلة، في إعادة صياغة تاريخ هذه الفترة للجزائر مثلا، وذلك بفضل التغطية التاريخية الشاملة للبلاد[5]

[1]- أبو القاسم سعد الله :المرجع السابق ،ص398.

[2]- ناصر الدين سعيدوني :ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،المرجع السابق ، ص575.

[3]- ابو القاسم سعد الله :المرجع السابق ،ص398.

[4]- عبد الرحمان عزي :المرجع السابق ،ص10.

[5]- عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص249.

وقد وصفها الحنفاوي بما يلي: "الرحلة السنية التي سارت بها الركبان وقد دعا لناسخها ومالكها وناظرها، فهي حصن حصين ودرع متين.."[1]

2-التعريف بالرحالة: أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي:

✓ نسبه ونشاته :

هو أحمد بن الشيخ سيدي محمد فتحا بن محمد بن أحمد بن الحسين محمد ابن ناصر الدرعي ،أبو العباس المدعو بالخليفة، ولد في منتصف ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان سنة 1057هـ/1647م[2], في قرية تمكروت[3].

أمه حفصة الأنصارية بنت عبد الله بن محمد بن علي، وأبوه هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين[4] ،ويتصل نسبه إلى جعفر بن أبي طالب وهاجر اجداده الى درعة في القرن العاشر هجري [5]، ولد ابوه ابن ناصر الدرعي سنة 1011هـ/1602م، وكان من صلحاء المالكية وعلمائهم في المغرب ،كان له زاوية واتباع كثيرون ،وهو الممدوح بالقصيدة لليوسي ،كان من أهل درعة قرب سجلمانة ،وهو شيخ العياشي صاحب الرحلة [6]، تصدر للمشيخة الصوفية بزاوية تمكروت بعد قتل أبيه على يد أحد الزعماء درعة. أصله من دادس ' واستقر بدرعة في

---

[1]- أبي القاسم الحنفاوي :المرجع السابق ،ص827.

[2]-ابو العباس احمد بن محمد بن ناصر الدرعي :**الرحلة الناصرية (1709-1710م)**،تح :عبد الحفيظ ملوكي ،ج1-2،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع ،الامارات العربية المتحدة ،2001م ،ص19.

[3]**- تمكروت**:قرية على ضفاف وادي درعة جنوب مراكش في المغرب الاقصى ...ينظر إلى مصطفى الغاشي :**الرحلة المغربية والشرق العثماني** ،ط1 ،مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت -لبنان ،2015م ،ص185.

[4] -ابو العباس احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص19.

[5]- محمد حجي :**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ،د.ط، المطبعة الوطنية ،الرباط ،1965م ،ص57.

[6]- الدين الزركلي :**الاعلام**،ج7،ط5،دار العلم للملايين ،بيروت -لبنان ،2002م ،ص 63.

زاوية أغلان[1]،ولوالده عدة تصانيف، منها فتاوى في الفقه ،وهو فهرسة لشيوخه ،وكتاب الاجوبة الناصرية وسيف الناصرية لكل ذي بغي ومكر ،والممتع بشرح المصنع في علم الفلك وغيرها [2]، فيعتبر ابو العباس احمد بن ناصر الدرعي أغلاني الولادة و المشنأ دادسي الأصل و درعي الإقليم، تمجروني الدار. جعفري النسب، مقدادي الجد[3]

تربى في أحضان أسرة عرفت بصيتها العلمي و الديني، فنشأ في محيط علمي له مكانة اجتماعية عالية داخل المغرب وخارجه, وهذا ما يفسر الاحترام والعناية الفائقين اللذين كانا الناس يكنهما له في كل المناطق[4]، فاقترنت الأسرة الناصرية بالإشعاع الحضاري و الفكري لوادي درعة ،فكان لها دور بارز في الحياة الاقتصادية و الثقافية و السياسية و الروحية ،ذاع صيتهم كعلماء و جماع الكتب بالنسخ أو الشراء أثناء رحلاتهم، و اشرافهم على الزاوية التي عملت على إحياء السنة و نشر مبادئ الشاذلية.[5]

إن الاطلاع على ترجمة أفراد أسرة الشيخ الدرعي يبين ما لهذه الأسرة من وسع في العلم، وشرف في النسب وامتداد عميق في جذور المجتمع المحيط[6] ،ويتضح أن الرحالة كان يحظى بمكانة

[1]-ابو العباس احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق،ص19.

[2]-الدين الزركلي :المرجع السابق ،ص64.

[3]-أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي : المصدر السابق ،ص19.

[4]-مصطفى الغاشي: المرجع السابق ، ص 185.

[5]- محمد ماكامان : المرجع السابق، ص 215.

[6]-أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي : المصدر السابق:ص 19.

اجتماعية مرموقة ،فهو ينتمي إلى الأسرة كان لها موقع خاص في المغرب خلال القرن 17م، وهو ما يشكل جزء من شخصيته و بالتالي الطريقة التي يفكر بها [1]

✓ **ثقافته وشيوخه :**

أقبل الدرعي على العلم منذ نعومة أظافره ،فختم صحيح البخاري في السابعة من عمره ،وانصرف لمطالعة الكتب و لا سيما كتب الحديث، فأخذ العلم عن جمع غفير من علماء وقته، وكان أول من تتلمذ على يدي والده الشيخ الإمام محمد بن أحمد بن ناصر الدرعي ، حيث تلقى عنه التفسير و الحديث و العربية وأصول الدين و غير ذلك ،وما تلقاه عن أبيه لاشك أنه هله لا يكون الخليفة بعده في علمه و مكانته [2]، ومن مشائخه أبو سالم العياشي ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن فتوح التلمساني, وكذلك من المشارقة إبراهيم بن حسن الكوراني ، وغيرهم من العلماء ،وهكذا أصبح احمد بن ناصر عالما و فقهيا متمكنا من علوم شتى وشيخا متصوفا متمسكا بالسنة[3] .

وقد نعم الدرعي ببحبوحة من العيش دل عليها كترة ما انفقه في رحلته الاخيرة، وشراؤه نوادر الكتب ،كما كان له اعتناء خاص بشراء الكتب واقتناء النادر منها مهما ارتفع تمنه فهو الذي اثرى زاويته بنوادر الكتب التي سعى لجلبها من المغرب ومما احضره معه من المشرق [4]

وقد كانت للمكتبة الناصرية وما تختزنه من مؤلفات وكتب علمية ، الدور الكبير في تنمية ثقافة أحمد بن ناصر الدينية والعلمية، والتيابتدأ تأسيسها منذ أيام ابي عبد الله بن ناصر، وبذل

---

[1]-عواطف بنت محمد يوسف نواب :**كتب الرحلات في المغرب الاقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11و12هـ**،دط،دارة الملك عبد العزيز ،الرياض ،2008م ،ص77.

[2]- نفسه ،ص77.

[3]- مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص ص188 -189 .

[4]- عواطف بنت محمد يوسف نواب :المرجع السابق ،ص77.

مؤسسها مجهودا في جميع كتبها الاولى والى جانب المؤلفات التي اقتناها بالشراء ،نسخ بنفسه واستنسخ العديد من الدواوين العلمية ومن مستنسخاته بخطه قاموس للفيروز ابادي والامالي لابي علي القالي وبعض كتب العقد الفريد لابن عبد ربه ،كما اعتنى ابو عبد الله بن ناصر بتصحيح الكتب ومقابلتها وتقييد الفوائد بهوامشها[1]

وبذلك توافرت لهذا العالم الكبير ظرف استثنائية خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار نذره الكتب في ذلك العصر، فارتبط كونه بواقع مجتمعه الثقافي ،فحصل على أهم علوم عصره المتداولة واحتل مكانة هامة بين طلبة عصره وعلماء عصره ، وهو ما دفعه إلى طلب المزيد، وذلك بالرحيل إلى الشرق خصوصا مصر والحجاز، فأخذ من علمائهم وأجازوه، مثل الشيخ إبراهيم بن الحسن الكوراني الذي أجاز أحمد بن الناصر في جميع مروياته ومقروءا ته، ومن بين شيوخه بالمشرق عبد الله بن سالم البصري الذي أجازه بروايته كتب السنة، وكذلك الشيخ إسماعيل الذي أجازه وأسند له قراءة القرءان والحديث عن الشيخ علي البراملسي و الجلبي ،والتقى في مصر بالشيخ علي بن محمد الزعتري وقرا عليه من كتب التوقيت ،وأبي الفتح في العمل بنصف الدائرة ،إلى غبر ذلك من العلماء ،وكونه عالما وفقيها ومتمكنا بشتى أنواع العلوم بدرجة أكثر العلوم الشريعة، كالفقه والحديث وعلم التوقيت والتحقيق ،ومما زاد من مكانته كذلك تزعم الطريقة الصوفية، وقد تصدر لمشيخة الزاوية راجعا الى الخصال والأخلاق العالية التي كان يتميز بها ،والتي حسب ما يروي في رحلته كان والده قد توسمها فيه ،وقد أصبحت بفضله أغنى زوايا المغرب ، وعرفت هذه الطريقة باسم الناصرية تستقي مبادئها مباشرة من الشاذلية، وتسعى إلى إحياء السنة وإماتة البدع[2]

[1]-محمد المنوني :**دليل محطوطات** ،دط ،دار الكتب الناصرية ،تمكروت ،وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ،المملكة المغربية ،1985م ،ص ص20-22.

[2]-مصطفى الغاشي: المرجع السابق، ص ص189-188.

✓ **رحلاته :**

بالنسبة لرحلاته داخل المغرب حيث زار سجلمانة ومكناسة والزيتونة ،كما زار فاس ونواحيها ،كما أشار في رحلته دخوله إلى مراكش، أما رحلاته الحجازية فيشير صاحب الذرة الجليلية إلى أن الشيخ أحمد الناصر حج أربعة حجات :

_الأولى صحبة والده وعمره 19 عام وذلك سنة 1076 هـ

_والثانية سنة 1096هـ وعمره 39 سنة ،فقال عن رحلته الثانية بعد وفاة والده أولاه "وله فيها رحلة جليلة صغيرة الحجم غزيرة الفوائد" .

_ أما الحجة الثالثة سنة 1109 هـ ،وله فيها أيضا رحلة عجيبة أكبر من الأولى.

_ والحجة الرابعة سنة 1121 هـ ،وله فيها رحلة عجيبة تكون في سفرين جمع فيها الأولى والثانية وذكر فيها عدة من شيوخه الدين أخذ عنهم في وجهته تلك ،وبحجته الرابعة يكون أحمد الناصري بلغ الرابعة والستين من عمره.[1]

✓ **مؤلفاته :**

أجمل الباحث احمد عمالك ذكر هذه المؤلفات وسردها على النحو الأتي:

1_الرحلة الناصرية وهي من أشهر مؤلفاته .

2_فهرسة الشيخ الخليفة سيدي أحمد بن ناصر، وقد كتبها في شكل إجازة أجاز بها تلميذه الشيخ عبد الله .

3_الرحلة الشامية وتتعلق برحلة أخيه محمد بن محمد إبن الناصر

4_أجوبة فقهيه بعنوان :" تنبيه السائل ببعض ما هو عنه سأل "

5_كتاب في السيرة النبوية بعنوان " تجديد المراسيم البالية في السيرة الحسنة العالية "

[1]-محمد ماكامان :المرجع السابق، ص 216.

6_رسالة في الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم

7_كتيب في الطريقة

8_إشفاء المريض في بساط القريض وهو مجموعة أشعار [1]

9_ترجمة والدته السيدة حفصة

10_مجموعة رسائل وفهرست

✓ **وفاته :**

اختلفت بعض المراجع في سنة الوفاة، في ما بين 1128هـ و1129هـ فبرجوع الى كتاب الروض الزاهر لمحمد مكي الناصري يذكر عام 1129هـ/1716م وعمره 72سنة .

اما كتاب "الترجمان المغرب في دول المشرق والمغرب "فيذكر سنة وفاته عام 1128هـ،حيت ترجع اغلبية المراجع سنة 1128هـ/1716م،ودفن بروضة الأشياخ بزاوية تامكروت مع والده.

✓ **الأهمية العلمية للرحلة الناصرية :**

جاءت الرحلة الناصرية شبيهة برحلة العياشي والذي اعتمد عليه كثيرا ، تتضمن الرحلة معلومات قيمة ،وترجمته لعدد وافر من علماء مصر والجزيرة العربية الذين اشتهروا في مستهل القرن الثامن عشر ميلادي .[2]

تحتوي الرحلة الناصرية على فوائد علمية كبيرة ، حيت مزج فيها ما راه في رحلاته السابقة عند حديثه عن المدن والأحداث ،ولخص فيها كثيرا مما ورد في رحلة العياشي ،اذ وجد فيها كثير من المعلومات التاريخية القديمة، وتلك الاحداث التي عاصرها كضرب الاسبان وحصارها لطرابلس الغرب عام 1096هـ/1684م .

[1]- أبو العباس احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص ص 33-34.

[2]- مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص ص190-191.

ومن الفوائد التاريخية تعتبر الرحلة كتراجم لمشاهير العلماء ،واستخراج القصائد الشعرية التي ابدعتها قريحة شعراء تلك المرحلة ،علاوة على استنباطها للأحكام الفقهية لمسائل مستحدثة ،واراء الفقهاء فيها كمسالة شرب الدخان والقهوة ،اضافة الى المعلومات الجغرافية والعمرانية

كما تحتوي الرحلة على معلومات غزيرة يعود تاريخها الى الربع الأول من القرن الثاني عشر، كما انتهج الرحالة الأسلوب القصصي في رحلته المحتوية على الإثارة والتفخيم والمبالغة أحيانا[1]

استخلاص:

نستخلص من هذا الفصل بعض النقاط، وهي كالتالي:

_تعد الرحلة فن من فنون الأدب، وهي انتقال الرحالة من مكان لأخر، وتدوين كل ما شهده وسمعه على البلدان التي اجتازه ،وقد عرفت الرحلة تطور عبر التاريخ ،حيت كنت عبارة عن وثيقة تاريخية جغرافية ،إلا أنها تطورت الى تاريخية سياسية اجتماعية ثقافية، بل ومست جميع جوانب الحياة ،وقد تنوعت دوافعها وأنواعها، فمنها رحلات حجازية دينية و رحلات علمية ثقافية ،او رحلات اقتصادية تجارية ،او رحلات سياسية ،وهو ما يبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف ثقافات الإنسانية ورصد جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين .

_ رحلات المغاربة نحو المشرق من أهم المظاهر الحضارية ،وتعتبر مصدر تاريخي لبلدان المشرق منذ القديم ،وقد اقتصرت في دراستي هذه على الرحالة الذين زاروا مصر خلال أواخر العهد العثماني في القرن 18م ،وهما الرحالة احمد بن ناصر الدرعي والورثيلاني ،ومما يتضح ان انتماء الرحالة لأسر عريقة ،وذا مكانة اجتماعية علمية ،من المؤثرات على شخصيتهم وثقافتهم وهو ما توضحه نصوص رحلاتهم .

[1]-عواطف بنت محمد نواب :المرجع السابق ،ص81.

الفصل الثاني

الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية لمصر في القرن 18 م من خلال رحلات المغاربة

نظر الموقع مصر الذي يربط العالم الأسيوي والمتوسطي، بالعالم الإفريقي ووجودها بالطرف الشرقي من القارة الإفريقية، ونظرا لتاريخها العريق ومركزها الثقافي الذي ظل على مر العصور والحقب ، جعلها نقطة التقاء وجدب الكثيرين من الرحالة والعلماء والتجار وغيرهم ، خاصة المغاربة منهم ، حيث أن المتتبع للعلاقة المصرية المغاربية، من حيث الرحلات والتراجم والتواريخ يتضح مدى قوة هذه العلاقة، ومما يدل تعلق الرحالة المغاربة بالديار المصرية ما تعكسه لنا نصوص رحلاتهم .

I-الوضع السياسي لمصر من خلال رحلات المغاربة في القرن 18م:

قبل التطرق للأوضاع السياسية لمصر خلال القرن18م يجب أخد خلفية تاريخية عن الفتح العثماني لمصر حيث كانت خلال هذه الفترة إيالة عثمانية .

✓ مـصر تـحت العهـــد العثماني :

أخذت الدولة العثمانية سياسة توسعية منذ أن إستبثت سلطانها بآسيا الصغرى[1]، حيث كانت بدايتها مقاطعة رعوية في الأناضول في نهاية القرن 13م وما لبثت أن أخذت تتوسع على حساب الإمبراطورية البيزنطية التي كانت أخذت في التدهور منذ فترة طويلة ،وباعتبارها اكبر قوة وذات موقع استراتيجي هام ،مما أتاح لها فرصة التوسع أكثر[2] ، فتمكنت من السيطرة على شبه جزيرة بلقان، وجميع شواطئ البحر الأسود الشمالية فضلا من الأناضول، وأخذوا يتجهون بأطماعهم نحو الشرق العربي في بداية القرن 16م[3]،وفي هذه الأثناء كانت العلاقات المصرية

[1]- عمر الاسكندري وسليم حسن :**تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر** ،د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،مصر،2014م،ص13.

[2]- احمد زكريا الشلق :**العرب والدولة العثمانية من الخضوع الى المواجهة 1516-1916م** ، ط1،مصر العربية للنشر والتوزيع ،2002م ،ص19.

[3]- كمال حامد مغيث :**مصر في العهد العثماني 1518-1798م المجتمع والتعليم**،تق :روء ف عباس ،ط1،مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الانسان ،القاهرة 1998م ،ص21.

العثمانية ،على تصادق ومصافاة مع دولة المماليك الجراكسة[1] المصرية ،حيث تدور بين سلاطينها رسائل الوداد وعقود المهادنة، وابتدأ ذلك في عصر السلطان الظاهر برقوق المصري [2]ومعاصرة السلطان بايزيد العثماني[3]، وبقيت هذه الحالة إلى زمن السلطان بايزيد الثاني،نازعه إخوة الأمير "جم" في الملك فقاتله بايزيد وهزم جيوشه وفر "جم" إلى الأشرف قايتباي[4] ،سلطان مصر ملتجئا، فأجره وطلب بايزيد تسليمه إليه فلم يجبه قايتباي فحقد عليه ، وانضم ذلك إلى النزاع القائم بينهما على إمارة ذي الغار[5] ، التي كانت في حماية مصر، ثم تدخلت الدولة العثمانية في شؤونها وادعت حمايتها [6]، فأتخذ السلطان العثماني بايزيد الثاني الذريعة

[1]–**المماليك الجراكسة**: هي مماليك السلطان قلاوون وأصلهم أرقاء مملوكين صار الحكم لهم ،وهم أتراك كانوا جنودا في الدولة العباسية ثم وصلوا للحكم ،أما الجراكسة وهم جنس من أهل أسيا يخالف الأتراك ،اصلهم من جهات سيبيريا ونواحي بحيرة" بيقال "هاجروا إلى غربي بحر قزوين للاتجار ،ثم استعملوهم المماليك البحرية لحماية الحصون حتى تاقت نفوسهم الى تسلق كرسي الملك ،يجعلونه ارثا في نسلهم .....ينظر إلى جرجي زيدان :**مصر العثمانية** ،دار هنداوي ،د ط، مصر ،2012م،ص28.

[2]–**برقوق المصري** :هو احد المماليك الجراكسة ،وصل إلى منصب اتابك العسكر سنة 780هـ ،وبذالك اصبح على جانب كبير من القوة في عهد السلطان علاء الدين علي (1376-1381م)،واعلن سلطانا سنة 1381م ،وهو في 11سنة ،وتولى الحكم 1382م حتى سنة 1389م بعد ان زحف الثوار من شمال الشام بزعامة منطا ش نائب ملطية ونائب حلب استيلائه على القاهرة ،حيت نفي الى الكرك ....ينظر الى سعيد عبد الفتاح عاشور :**مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك** :د ط،دار النهضة العربية ،بيروت –لبنان ،،د ت ،ص245-249.

[3]–**بايزيد العثماني** :بايزيد الاول(792-802هـ/1389-1403م)تتولى في عام عرش السلطة وجعل همه الشئون العسكرية حتى لقب بيلديرم ،لشجاعته في الحروب ...ينظر محمود السيد :**تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها** ، د ط ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،2006م ،ص21

[4]–**الاشرف قايتباي**:873-902هـ/1468-1496م،أطول حكم في ملوك هذه الدولة ،زاد في الضرائب لكثر حروبه ،نشبت حروب بينه وبين بايزيد انتهت بمهادنة الاثنين ووباء شديد أعقبه قحط ،ومن اثاره تربة في الصحراء وتعرف بجامع =قايتباي ...ينظر إلى عمر الإسكندري والميجراسقدج :**تاريخ مصر إلى الفتح العثماني** ،ط1،مطبعة المعارف ،مصر ،1338هـ،ص245.

[5]–**ذي الغار** :هي إحدى الدول التركمانية التي أسست على أنقاض دول التتار ورأسها قراجا بن ذي الغار ،وقد استولت على اكتر ارمينية وكردستان وديار بكر ،وخضعت اخيرا لمصريين ،فكان يتولى أميرا منها الا بإذن صاحب مصر ...ينظر الى عمر الاسكندري وسليم حسن :المرجع السابق ،ص13.

[6]–ناصر الانصاري :**المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية**، دار الشروق ،ط1،القاهرة ،1997م،ص87.

لإعلان الحرب على الدولة المصرية ، وكان النصر للجيوش المصرية وأعقبه عقد صلح بينهما ، ولكن هذا الصلح لم يدم طويلا فقد عمد العثمانيون إلى التحرش بطرق التجارة المصرية، ووصل الأمر إلى امتناع وصول السلع تماما في عهد السلطان الغوري[1]، وفي المقابل كان السلاطين في مصر يجيرون من يلجأ إليهم من أبناء السلطنة العثمانية ، وذلك وبعد أن علم السلطان المصري بتأهب سلطان آل عثمان لمحاربته ،فأرسل إليه رسولا يعرض عليه أن يتوسط بينه وبين العجم لإبرام الصلح ،فلم يقبل وطرد السفير بعد إن أهانه، وسار بجيشه إلى بلاد الشام قاصدا وادي النيل ولذلك أستعد قانصوه الغوري لمحاربته[2]، فتقدم نحو الحدود الشمالية العثمانية بمثابة خطوة غير عادية حتى ولو كانت دفاعية فحسب، وكان لسلطان مبرره في اعتباره عملا حربيا، فألتقي الجيشان في الموقعة التي حدثت في يوم الأحد 25 رجب 922هـ/ 24 أغسطس عام 1516م على سهل مرج دابق[3] فمات السلطان المسن في ميدان القتال[4] وسنه ثمانون سنة ،وكان سبب انهزام الغوري حيث تآمر عليه أمراؤه خاير برك والغزالي فخذلوه وفقدوه[5] ، ووقع الخلاف بين فرق جيشه ، وتمكنت الأسلحة النارية العثمانية من التفوق التام على المماليك، ،وكما ذكرنا غدر خايربك الذي كان حاكما على إمارة هامة من الناحية الإستراتيجية ،من حيث الموقع وهي حلب ،والذي كان عليه أن يقود مفرزة من المماليك العثمانيين ،إلا أنه في لحظة حرجة انحاز إلى

---

[1]–**السلطان الغوري** :هو الملك الاشرف أبو النصر سيف الدين قانصوه الغوري الظاهري الاشرفي ،أصله من مماليك الاشرف الظاهر خشقدم ،ثم انتقل الى الاشرف قائد بآي ،بويع بالملك سنة 906هـ، من اثاره بناء سور جدة ....ينظر الى محمد فريد بك المحامي :**تاريخ الدولة العلية** ،تح :احسان حقي ، ط1 ،دار النفائس ،بيروت ،1981م ،ص192

[2]_

[3]–**مرج دابق** :قرية صغيرة تحمل اسم مرج دابق ،تقع في سهل شمال حلب ...ينظر الى عبد الرحمان بن حسن الجبرتي :مصدر سابق ،ص36.

[4]–ميكل ونتر :**المجتمع المصري تحت الحكم العثماني** ،تر:إبراهيم محمد إبراهيم ،د ط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،2007م،ص 43.

[5]– عبد الرحمان بن حسن الجبرتي :**عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ،تح :عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ،ج1،مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1997م ،ص36.

العثمانيين،[1]ولما قتل الغوري التف أكبر رجاله حول السلطان سليم ،وصاروا من أتباعه واخذوا يتقربون إليه بذكر مساوئ مولاهم، ولم يذكر شيئا من إحسان الغوري إليهم[2]، أما سائر الجند والأمراء هربوا الى مصر ،وحال وصولهم طلبوا تعيين طومانبأي سلطانا محل عمه الغوري ،فأجبر على تولي السلطة، ولما كان رجلا مخلصا وشجاعا، فقد حاول إعادة تنظيم ما بقي من المماليك ومساعديهم من البدو، وفي هذه الأثناء بدأ سليم يتقدم بجيشه عبر صحراء سيناء وقام ببعض محاولات تتسم بالتردد، للتفاوض والوصول إلى تسوية بدلا من أن يحاول فتح مصر ،فأقترح على طومانباي الاستمرار في حكم مصر، بعد الاعتراف بسيادة سليم ،وهو ترتيب لم يكن بحال مناقضا للسياسة العثمانية العامة، و حين فشلت المفاوضات بسبب إصرار خاير بك على سحق المماليك ،أو لأن تحركات سليم الدبلوماسية لم تكن مخلصة ،أو لأن مستشاري طومان باي قتلوا مبعوثي سليمان، فصار القضاء على السلطنة المملوكية أمرا حتما [3]،وبعد كتاب السلطان سليم الذي أرسله إلى طومان باي وتهديداته له ،أصر طومان باي على المقاومة فعسكر هناك، وفي هذه الأثناء سار السلطان سليم إلى مرج دابق، وافتتح غزة والعريش والقطيعة ،فعلم بمقر الجيوش المصرية في الصالحية فعرج بجيشه تاركا الصالحية عن يمينه وسار حتى أتى الخانكاة على بعد ساعات من القاهرة ،فعلم طومان باي بهذا التقدم ، ليعود بجيشه لمهاجمة الجيش العثماني من الوراء فالتقى الجيشان في سهل قرب" بركة الحج" يوم الجمعة في 29 ذي الحجة سنة 922هـ [4]عند الصحراء الريدانية، الضاحية الشمالية لعاصمة المماليك [5]،فتمكن السلطان سليم من دخول القاهرة وظل القتال دائرا في أحيائها الأربعة من بولاق إلى الناصرية والقناطر السباع

[1]- ميكل ونتر : المرجع السابق ،ص43.

[2]- جرجي زيدان ومحمد حرب :**مصر العثمانية** ، د ط ،دار الهلال ،الإسكندرية ،1994م ،ص84.

[3]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص ص43-44

[4]-جرجي زيدان ومحمد حرب :المرجع السابق ،ص.87

[5]- نيقولاي ايقانوف:**الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574م** ،تر:يوسف عطا الله ،تح: مسعود ضاهر ،ط1 ،دار الفارابي ،بيروت -لبنان ،1988م ،ص68.

(بالسيدة زينب)[1]، ونزل السلطان سليم بمعسكره الخاص على ساحل بولاق والجزيرة الوسطى[2]،ولم يدخل المدينة وبقي كذلك إلى يوم الثلاثاء الرابع محرم سنة 923هـ واشتد القتال أربعة أيام بلياليها من ليلة الأربعاء إلى صبيحة يوم السبت 7محرم[3]انتهى بإستلاء السلطان سليم على القلعة ، وتحت قنطرة بوابة القاهرة شنق أخر المماليك طومان باي كمجرم عادي[4] ،وبذلك وقعت مصر في قبضة العثمانيون وأصبحت إحدى ولايات الدولة العثمانية ، لتستمر هذه السيادة على مصر لمدة تصل 3 قرون بعد هذا التاريخ أي حتى 1805م حيث تولى محمد علي حكم مصر وأتجه بها اتجاها معارضا للسيادة العثمانية [5]

✓ نظام الحكم في مصر خلال القرن 18م كم صوره الرحالتين الدرعي و الورثيلاني :

تتفق الرحلات المغربية خلال القرن 18 على السيطرة العثمانية على مصر، من خلال المؤسسات السياسية والعسكرية والإدارية والعثمانية فيها، إلا أن العلاقة التي كانت تربط بين هذه المؤسسات والأهالي في مصر كانت مبنية على الظلم والاستبداد [6]وهذا ما يؤكده كل من الرحالتين الورثيلاني واحمد بن ناصر الدرعي، حيث أن مصر تشتمل على طائفتين إحداهما في غاية العتو والاستكبار والأخرى في غاية الذل والاحتقار.

وقبل عرض الممارسات السياسية ومظاهر الظلم والاستبداد في مصر خلال هذه الفترة، نوضح أجهزه الحكم للوضع السياسي في مصر خلال القرن 18م:

---

[1]-ناصر الأنصاري :المرجع السابق ،ص.189

[2]-**الجزيرة الوسطى** :هي جزيرة امام قصر النيل ...ينظر الى عمر الاسكندري وسليم حسن :المرجع السابق ،ص18

[3]-نفسه ،ص ص18-19

[4]-نيقولاي ايقانوف :المرجع السابق ،ص80

[5]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص.21

[6]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص495

✓ أجهزة الحكم :

كانت أجهزة الحكومة المركزية في الأستانة[1] هي السلطة التنفيذية في الدولة، ويرأسها السلطان العثماني ،يعاونه الصدر الأعظم بمثابة رئيس الوزراء الذي يعاونه مجموعة من الوزراء من ذوي الرتب العالية ،وكان والي مصر بمثابة وزير السلطة العثمانية والشؤون المصرية[2] .

وقد أشار الرحالتين احمد بن ناصر الدرعي الورثيلاني إلى أجهزة الحكم في ذكرهم ذلك" فباشاواتها وسناجقتها وولاتها وحكامها وسائر جندها وعسكرها" [3]"..وأهل شرطتها وجنودها وعساكرها وأمرائها وكثرة خلقها .."[4]

ا-البـــــاشا أو الـــــوالي :يشير الورثيلاني إلى جهاز الحكم في مصر الذي كان يرسه حاكما يلقب بالباشا[5] الذي يتم تعينه من الباب العالي ويشير إلى الذين تقلدوا الحكم في مصر كان من المماليك[6] وقد أشار إلى ذلك في قوله"... وما ملك إلى المماليك الذين أسلموا فكل من ملك مصر إلى كان مملوكا"[7]،و يعين الباشا من قبل السلطان العثماني، وهو رأس الإدارة المدنية والمالية للبلاد، وهو يأتي من تركيا حيث يكون قد سبق له ممارسة بعد السلطات هناك، وأحيانا قد يكون وزيرا في السلطة وعادة ما يكون تعيينه لمدة قصيرة سنة أو سنتين، وذلك مرهون برغبة

---

[1]-**الأستانة**: الاسم القديم لاستانبول ،ويعني عتبة الباب والمركز والثكنة الكبيرة .....ينظر الى سهيل صابان :**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ،د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ،2000م ،ص15

[2]-ناصر الأنصاري :المرجع السابق ،198

[3]-احمد ابو ناصر الدرعي :مصدر سابق ،ص279

[4]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص472

[5]-**الباشا**: كلمة باشا معناها في الأصل قدم الملك او الشاه ،ثم صار معناها مستخدما واستعملت بعد ذالك كلقب لحاكم الولايات وأصبحت أعلى لقب تشريفي في الدولة ،وهو لقب عثماني أطلق على رتب متعددة عسكرية ومدنية ،وفي النصف للقرن 19م،ارتقى الى درجة وزير وأمير الأمراء....ينظر الى سهيل صابان :المرجع السابق ،ص52

[6]-عبد القادر حليس :المرجع السابق ،ص128

[7]-الحسين الورثيلاني: المصدر السابق ،ص432

السلطان[1] ،غير أن المدة عادة ما تحدد إلى عامين أو ثلاث ، وكان الباشا أعلى مسؤول من حيث الرتبة، فهو الذي يدير الولاية باعتباره ممثل السلطان، وكان مسئولا عن حماية مصالح الحكومة المركزية ،بما في ذلك جمع الضرائب وتسليمها والحفاظ على القانون والنظام وحماية مصالح الدولة الإستراتيجية في مصر والأقاليم الداخلة في مجالها السياسي ،ومن بين مسؤولياته تنظيم وحماية قافلة الحج إلى مكة ،وتزويد مكة والمدينة بالحبوب من مصر وقد منح عدة باشاوات رتبة وزير[2]، وكان ينبغي على الوالي الذي يرغب في أن يكون محبوبا من الرعية، أن يهتم ببناء وإصلاح المرافق العامة كالقنوات والجسور والأرصفة والمنشآت الدينية ،وإنشاء الأوقاف واصطناع الحيادة حيال المنازعات المحلية العنيفة والعداوات الشخصية الناشبة[3]، وعلى لسان أحد الباشاوات في القرن 18م تتضح مهام الباشا ،وهو علي باشا ابن الحكيم الذي كان والي على مصر في 1193هـ/1740م قوله "إنا ما أتيت إلا خلاص المال فقط في الديون، ومال صرة الحرمين والخزينة العامرة ثاني يوم توت وأصرف الجوامك الشهرية ثالث يوم في المهلول والغلال كذلك دخل الشون العامر وأرسل غلال الحرمين، ومن له شيء يأخذه من الشؤون".[4]

أما لقب حاكم مصر فهو" الوالي" كان ساريا في الدولة العثمانية قبل فتحها لمصر وكان يستعمل في مصر قبل حكم المماليك لكن بمفهوم مختلف حيث كان يعني مسؤول الشرطة[5] ومن مهام الباشا كذلك ترأس أهم المراسيم والاحتفالات في العام ،وكانوا يلتقون أجور سنوية ولم يكونوا

[1]-ناصر الأنصاري :المرجع السابق ،ص198

[2]ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص ص87-88

[3]كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص98

[4]-عبد الله غزباوى :**الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد** ، ط1،دار الشروق ،القاهرة ،2006م،ص125

[5]-ناصر الأنصاري :المرجع السابق ،ص198

يحوزون إقطاعات عسكرية بما أن مصر لم تكن تدار من خلال نظام التيمار[1]واستفادوا بالإضافة لذلك من مصادر مختلفة للحصول على الدخل[2]،وقد وصف احمد بن ناصر الدرعي الورثيلاني الباشا في مصر قولهم:" ولعل ذلك الوصف فباشاواتها وسناجقتها وولاتها، إلا من أعماه حب الدنيا وأهمه وختم على سمعه وقلبه لا يرحمون ضعيفا ...."[3]

ب–الـديـــوان: إلى جانب الوالي كان هناك الديوان ،الذي لم يتم تنظيمه ولا تحديد اختصاصاته إلا بصدور القانون "نامه مصر"[4] سنة 1525م في عهد سلطان سليمان القانوني ،حيث قسم إلى قسمين الديوان الكبير المكلف بالأعمال الهامة ، وكان يتلقى الأوامر من الباب العالي ، ومشكلا من ضباط الوجاقات[5] وأمير الحج[6] وقضاة المذاهب الأربعة، أما

---

[1]–**نظام التيمار** :وهي اقطاعات زراعية ،يتصرف باراديها شخص يسمى (تيمارجي)،وتتراوح مساحتها ما بين 300–500فدان...ينظر الى محمد عرابي نخلة :**تاريخ العرب الحديث** ،الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ،ط1،القاهرة ،2010م ،ص45

[2]–ميكل ونتر : المرجع السابق ،ص81

[3]–الورثيلاني :المصدر السابق ،ص 327

[4]–**نامه مصر** :قانون أداري أصدره إبراهيم باشا سنة 1525م،..ينظر ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص85

[5]–**الوجاقات** :مفردها اوجاق وهو اسم يطلق على الموقد ثم الفرقة العسكرية ،وهو لقب لأصناف جند السلطنة الدين تشكت منهم القوات العثمانية البرية والبحرية ،أو اصطلاح يقصد به الجيش العثماني وبحصب التشكيلات العسكرية العثمانية المذكورة في قانون نامه فان هذا الجيش كان مقسم إلى 7 اوجاق وكل وجاق له وظيفة خاصة ..ينظر الى الجبرتي :المصدر السابق ،ص و41 وينظر الى مصطفى عبد الكريم الخطيب :**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1997 م ،ص ص53 –54

[6]–**أمير الحج**:كان يعرف ب"أمير ركب المحمل "في العصر المملوكي ،ثم تغير في العصر العثماني إلى أمير الحج ،يعين كل عام ويخرج على رأس القافلة بحكم وظيفته كائد أعلى لها ،وعليه تسلم وتنقل الإعانات النقدية والعينية المرسلة إلى أهالي الحرمين الشريفين سنويا من الخزانة المصرية ،له وظائف قضائية مثل فض النزاعات بين الحجاج ،واجتماعية مثل النظر في امر الفقراء بالقافلة وحماية الحجاج أثناء القافلة .....ينظر الى سميرة فهمي علي عمر :**إمارة الحج في مصر العثمانية 1517–1798م**دط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،2001م ،ص ص69–106

الديوان الصغير وهو مكلف بالأعمال المحلية وكان مشكلا من الكتخدا[1] أو وكيل الوالي الدفتردار[2]والرزنامجي[3]وممثل عن كل وجاق [4]

وقد اختلف الباحثون حول حقيقة الدور الذي كان يلعبه الديوان ، وما إذا كانت قراراته ملزمة أو غير ملزمة فهناك من يرى أن الباشا كان عليه أن يحصل على موافقة الديوان على كل إجراءاته حيث كان لأعضاء الديوان الحق في رفض تنفيذ أوامره ،إلى أن يتلقى تصديقا من السلطان ،ومن حقهم أيضا أن يوصوا السلطان بعزل الباشا متى أحسوا أنه يخون مصالح الدولة، بينما يرى البعض أن الديوان لم يكن له دور يذكر إلى جانب الباشا الذي أعطى سلطانا وصلاحيات مطلعة في جميع المجالات [5].

[1]–**الكتخدا**: وتكتب كوخدا وهي فارسية أطلقها الفرس على السيد الموقر والملك وأطلقها الترك على الموظف المسئول والوكيل المعتمد ...ينظر الى الجبرتي : المصدر السابق ،ص44

[2]–**الدفتردار**: هو كبير المالية العثمانية ،وكبير الإدارة المالية في كل ولاية من الولايات العثمانية ،وكان في بداية العهد العثماني بمصر هو شخصية عثمانية يختار من بين رجال الخزانة السلطانية في استانبول، وفي القرن 17م سيطر الأمراء المماليك على هذا المنصب وأصبح يختار من بينهم .....ينظر الى سميرة فهمي علي عمر :المرجع السابق ،ص59

[3]–**الرزنامجي**: هو متولي الحسابات اليومية والأعمال الجارية في الباب الدفتري .....ينظر الى سهيل صابان :المرجع السابق ،ص128

[4]–ناصر الأنصاري :المرجع السابق ،ص199

[5]–كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص101

ج–الـــجـــــيش:

كانت هناك وجاقات أو فرق عسكرية من الجند الأتراك الإنكشارية[1]، مهمتها الأساسية حماية البلاد، ضد الاعتداءات الخارجية، وأعمال الشرطة وجباية الضرائب، وكذلك فرق الفرسان والمشاة، وكان عدد رجالها يتراوح ما بين اثني عشر ألفا وعشرين ألفا، وفي عهد السلطان سليمان أضاف وجاقا سابعا، مشكل أساسا من المماليك الجراكسة وكان لهذه الوجاقات قائد عام، ولكل وجاق ضباط هو الأغا[2]والكخيدا (الوكيل) وضباط صف، ومع الوقت أصبح "الوجاق المستحفظان " هو أهم الوجاقات السبعة وأصبح أغا المستحفظان هو قائد الوجاقات السبعة[3] .

د– الإدارة المـحلـــــية :إلى جانب الوالي وديوانه والجيش، وجد عدد من البيكوات[4] يعينهم الباشا لإدارة الأقاليم وكانت الولايات أو المقاطعات الكبرى تعرف باسم السنجقيات، [5]ويتولى

---

[1]–**الانكشارية** :هو النوع الثاني من القوات التي اعتمد عليها في مساعدة الوالي في ادارة الولاية ،ويعود نشوء هذه القوة الى القرن 14م ،تكونت من اسرى المسيحيين الذين وقعوا في أيدي العثمانيين أثناء توسعهم في أوربا ،عملت السلطة على تنشئتهم العقائدية والثقافية على أيدي تنظيمات "الاخي " و"وادبدالان "ليثم التحاقهم بتشكيلات العسكرية ... .ينظر الى محمد عرابي نخلة :المرجع السابق ،ص47–48...وينظر الى حسن الضيقة :**الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة** ، ط1،دار المنتخب العربي ،بيروت ،1997م ،ص90

[2]–**الاغا** :مصطلح من اصل فارسي ويعني السيد ،واستعمله الأتراك لدلالات كثيرة ،منها انها كانت تطلق على الضباط الأميين مثل الانكشارية الذين لا يحتاج علمهم الى معرفة القراءة والكتابة ومنها أيضا صاحب المنصب الكبير ،والفترة الأخير من العهد العثماني أصبح يطلق على الإنسان الكريم وصاحب المكانة العالية .....ينظر الى سهيل صابان :المرجع السابق ،ص ص15–16

[3]–ناصر الأنصاري :المرجع السابق ،ص200

[4]–**البيكوات**:جمع بك وهي من الألقاب التركية القديمة وتطلق على صاحب الأمر في أي موضع واستخدمها المغول ،فكان بك الإقليم هو حاكمه او أميره ،ومنه اشتقت بكلربكي أي أمير..ينظر الى سهيل صابان :المرجع السابق ،ص23.

[5]–**السنجقيات**:سنجق معناها العلم واللواء الخاص بالدولة تم خص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي الأمير تعبيرا على ثقته انه اهل للحكم تم تطورت الدلالة فأصبحت قسما إداريا وكانت الأقسام الإدارية ترتب على هذا النحو :ناحية ،قضاء ،سنجق ،ولاية وكان اللواء هو السنجق يشمل خمسة الى 15قضاءات ...ينظر الى سهيل صابان :المرجع السابق ،ص136.

كل منها سنجق من طبقة البيكوات من المماليك ،وكان تعيين السناجق من اختصاص الباشا أو الوالي ،والسنجق أو بك يعينه الديوان وهو مجلس شورى الباشا من أمراء المماليك ،[1]ومع مطلع القرن الثامن عشر ميلادي زادت سلطة الأوجاقات فأصبحت تشكل أقوى الأجهزة داخل الطبقة الحاكمة المصرية ، واستخدم الإنكشارية والعزاب[2]، وظائفهم كشرطة وأوصياء على العاصمة لاستغلال أكثر مصادر الدخل ربحا ،وبالمثل قام السيباهيون[3] ،بظلم الريف والأكثر من ذلك وفرة من الأدلة على أن ضباط الإنكشارية والغرب كانوا يمدون نشاطهم الاقتصادي إلى القرى أيضا ،فكان التحكم في كتيبة الإنكشارية هو مقر السلطة السياسية، وكانوا على الطموحين من البكوات أن يضموا الأوجاق إلى جانبهم ،كي يصلوا إلى السيادة، قد كانت الصراعات في مصر العثمانية هي في العادة بين الأوجاقات وفي معظمها بين الإنكشارية والكتائب الستة الأخرى، التي تحسدهم على ثرائهم وسلطتهم ،أو بين عصابات البكوات ،وتغلغلت الانقسامات بين الجماعات المتحاربة من الأوجاقات والبكلكية إذا كان هناك ضباط وجنود بين الأوجاقاتوالبكوات في الجانبين [4].

[1]-جرجي زيدان :المرجع السابق ،ص ص110-112.

[2]-**العزاب** :هي فرقة من الجنود حرم عليها الزواج ،وهي سابقة على نشأة الانكشارية عند العثمانيين ،وكانت هذه الفرقة تعمل في البحر منذ النصف الاول من القرن الخامس عشر ،ويطلق على قائد الفرق البحرية كلمة رئيس واذا رقي سمي قبطانا ،وكانت من فرقة العزب قوات تعمل في الولايات التابعة للدولة العثمانية ،تامر بأمر أمراءها ....ينظر الى سميرة فهمي علي عمر :المرجع السابق ،ص58.

[3]-**السيباهيون** :السباهية هي الخيالة والفرسان في الجيش العثماني ،واصطلح على استخدامه للدلالة على الخيالة صاحب الارض الميري الذي يشترك في الحرب مع افراد من الذين كلفوا بإحضارهم للحرب ...ينظر الى سهيل صابان :المرجع السابق ،ص132.

[4]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص11

✓ الحياة السياسية في القرن 18م :

تميزت الحياة السياسية الداخلية في مصر خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، ومنذ البداية بالصراع والتنافس على الحكم ،بين عائلتا الفقارية والقاسمية واللتان كانتا تتنافسان على الحكم منذ فترة السلطان العثماني أحمد بن محمد (1115-1143هـ/1703-1730م)،بمثابة حزبين كبيرين يعرفان بالمماليك القاسمية نسبة إلى قاسم بك والفقارية نسبة إلى ذي الفقار بك، أما أصل هذين الحزبين ففيه أقوال منها أنهما ينسبان إلى أخوين قاسم بك وذو الفقار بك، وبعضهم يقول إن هذين الحزبين ينسبان إلى قاسم بك"دفتردار"وذي الفقار بك الكبير سنة 1050هـ/1640م وكان قاسم عيواظ رئيس الطائفة القاسمية، وذو الفقار رئيس الطائفة الفقارية وكان لكل من هاتين لطائفتين مناقب خاص بهما فكانت الفقارية توصف بالكثرة والسخاء والقاسمية بالثروة والبخل دراية الفقارية عالم أبيض مزاررفة رمانة ، أما القاسمية فلها علم أحمر ،وكانت هاتين الفئتان قبل تولي حسن باشا في وفاق تام ، فلما جاء خشي من إتحادهما، فعمد إلى الدسائس، وأوقع بينهما الشقاق ،فحصلت بين الطائفتين وقائع دامت ثمانين يوما.[1]

وكانت البكوات في القرن الثامن عشر وخصوصا زعيمهم شيخ البلد أقوى نفوذا من الولاة ،يثورون عليهم ويحصرون في أيديهم حكومة البلد الفعلية ،وكان شيخ البلد علي بك الكبير [2]يعمل على فصل مصر من الدولة وتأسيس مملكة مستقلة ،فعين ثمانية عشر من أصدقائه

[1]- جرجي زيدان :المرجع السابق ،ص ص205-206

[2]-**علي بك الكبير** :ولد سنة 1728م ،في بلاد الاباضة بالفوقار ،وكان والده احد قساوسة الكنيسة اليونانية ،اسري في احدى الغابات وجيء به الى الاسكندرية ،وبيع كمملوك لمديري جمركها سنة 1743م ،وقدم هدية إلى إبراهيم بك جاويش الانكشارية ،إلى ان أصبح متفوق في ركوب الخيل وفي اللعب بالجريد ،وضرب السيف بالحربة ،حتى صار يسمى "جن علي "وعمره 32 عام سنة 1749م ،ولما توفي أستاذه إبراهيم كاخيا 1754م ،**ت**قلد الصنجقية باسم "علي بك مير اللوغارذعلي ،.....ينظر الى جلال يحي :**مصر الحديثة 1517-1805م** ،دط ،منشاة المعارف ،الإسكندرية ،235

البكوات وطرد الوالي العثماني في مصر ،اجتهد في القضاء على الفوضى وإصلاحات أخرى مالية وقضائية ،أرسل أبو الذهب [1]لقمع الهوارة وهي قبيلة مغربية في مصر ،وأرسل قوة أخرى الى اليمن وأخرى الى شاطئ البحر الأحمر الشرقي ،حتى وقعت معظم شبه جزيرة العرب في قبضته ،ثم أرسل أبو الذهب الى الشام ،وبعت مندوب للمفاوضة مع البندقية و روسيا في عقد مخالفات مع مصر ،لكن أبو الذهب تفاوض مع الباب العالي ،وتعاهد معه على الغدر بعلي ،وبسط النفوذ العثماني من جديد ،فما لبث ان عاد بجيشه الى مصر 1772م واحتل الصعيد والقاهرة ،ففر علي بك الى عكا ونزل ضيفا على واليها ولكنه مات ،وصارت مصر بعده ايالة عثمانية يحكمها ابو الذهب .[2]

ومع نهاية القرن الثامن عشر لم تزدد أوضاع مصر السياسية إلا سوءا فقد كانت بعض الدول الأوربية وخصوصا فرنسا تسعى إلى التحكم في مستوى الضرائب بمصر في إطار الصراع الفرنسي الإنجليزية على النفوذ في مصر والدولة العثمانية المتآكلة . خصوصا بعد طرد الوكالات التجارية الفرنسية تحت ضغط بعض المسؤولين المصريين وهو الحدث الذي استغله نابليون للهجوم على مصر 1798م كما استغل ظلم واستبداد الحاكمين بمصر واستضعافهم لأهاليهم . حيث يذكر الجبرتي الحملات العسكرية التي قام بها مراد بك وإبراهيم بك اللذان كانا يحكمان مصر بشكل ثنائي بعد وفاة علي بك الكبير عام 1763م في أرجاء مصر حيث قان بنهب كل ما يجدونه من جمال الفلاري في الطريق [3]

---

[1]–**ابو الذهب** :تابع علي بك الشهير اشتراه استاذه في سنة خمس وسبعين ،فأقام مع أولاد الخزنة اياما قليلة وكان ذلك إسماعيل بيكخازنذارا ،فلما أمر إسماعيل بيك ،قلده الخازانداراية مكانه ،وطلع مع مخدومه ،وتأمر في سنة ثمان وسبعين وتقلد الصنجقية وعرف بابي الذهب ،لأنه لما لبس الخلعة بالقلعة صار يفرق البقاشيش ذهبا وفي حال ركوبه ومروره جعل ينشر الذهب على الفقراء ،فكان لايضع في جيبه الا ذهبا، وعظم شانه في زمن قليل ،ونوه وخدومه بذكره زعينه في المهمات الكبيرة والوقائع الشهيرة ،وقلد المناصب ،....ينظر الى الجبرتي :المصدر السابق ،ص651-655

[2]–محمدصبري:**تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث** ،ط2،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1996م ،ص ص23-24

[3]–السابق ،ص497 مصطفى الغاشي :المرجع

فيذكر الجبرتي "..... و أرسل إسماعيل بك إلى عرب البحيرة والهنادى فحضروا بجمهم وأخلاطهم. انتشروا وفي الجهة الغربية من رشيد إل الجيرة ينهبون البلاد ويأكلون الزر عات ويضربون المراكب في البحر ويقتلون الناس حتى قتلوا في يوم واحد من البلد النجيلة نيفاء تلت مائة إنسان...."[1]،وتعكس شهادات الجبرتي الظلم الذي عاناه سكان مصر من طرف ولاتها ،حيث أستمر الوضع إلى غاية حملة نابليون[2] 1798م.

✓ الحملة الفرنسية على مصر (1212-1213هـ/1798_1801م)

تعتبر الحملة الفرنسية أول غزو أجنبي تعرضت له مصر منذ أيام الحروب الصليبية ،أعدت فرنسا هذه الحملة في سرية تامة ، وكانت أسباب هذه الجملة متمثلة في أسباب خارجية ،منها أطماع فرنسا الاستعمارية ،بغرض سيادتها وسيطرتها على الطرق التجارية القصيرة بين البحر المتوسط والهند والتي تمر بالشرق الأوسط ،بالإضافة إلى الموقع الاستراتيجي والتجاري الهام لمصر ،واستغلالها كقاعدة لشن الهجوم على الهند ،باعتبار مصر نقطة التقاء بين أسيا وأوربا وإفريقيا، وأما الأسباب الداخلية وهي رغبة حكومة فرنسا في حماية رعاياها وتجارها في مصر ،و رغبة نابليون الخيالية ،[3]

جاء نابليون إلى مصر في أول يوليو سنة 1798م واستولى على القاهرة على اثر انتصاره على جيوش المماليك في واقعة الأهرام الشهيرة سنة 21يوليو 1798م ،ولكن انجلترا تعقبته،

---

[1]-عبد الرحمان الجبرتي :المصدر السابق ،ص243

[2]-**نابليون بونابرت** :من اعظم القادة العسكريين في القرون الحديثة ،ولد سنة 1769م في اجاكسيوعاصنة جزيرة كورسيكا ،تولى قيادة الجيش الفرنسي في حربه مع ايطاليا ،وانتصر فيها (1796-1797م)،ثم زحف على مصر والشام وعاد الى فرنسا ،وقبض على زمام الامور ،واصبح قنصلا ثم توج امبراطور سنة 1804م ،قضى ايام ملكه في حروب مع انجلترا والنمسا وبروسيا وروسيا ،حيت حقق انتصارات باهرة ،وبعد موقعة واترلو الشهيرة ،اسري ونفي الى جزيرة سانت هيلانو ،ومات في ماي 1821م ،...ينظر الى ناصر الانصاري :المرجع السابق ،ص207

[3]-وداد زوبيري: **حملة نابليون بونابرت على مصر1798-1801م الاسباب والنتائج** ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة 2014-2015م ،ص ص37-38

وانقطعت المواصلات بين الجيش الفرنسي وبين فرنسا ،وقد تمكن القائد الفرنسي كليبر في أثناء ذلك من دحر جيش الأتراك في عين شمس ،فثارت القاهرة وخرب الفرنسيون كثيرا من أحيائها وأمعنوا في أهلها القتل وما كاد كليبر يتحالف مع مراد بك حتى قتله سليمان الحلبي ،فاضطرب امر الفرنسيين ولجاوا الى الرحيل[1].

✓ مظاهر الظلم والاستبداد في مصر خلال القرن 18م:

يصف الرحالة المغاربة الحسين الورثيلاني واحمد بن ناصر الدرعي الظلم الذي تفشى بين ولاة مصر وعم جميع الناس من المقيمين والمجاورين والمسافرين ، في قولهم "إن ظلم ولاتها قد وصل كل جنس من أجناس الآدميين حتى بلغ الظلم الحاج المغربي والعلماء والطلبة والفقراء والأشياخ والصناع والتجار والمجاورين وسائر الناس قاطنة ولدلك ابتلاهم الله بالشقاق والفتنة فكانت مصر لمن غلب وقد قال صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء أسرع بصاحبه كالظلم "[2]

وقد خص الرحالة الورثيلاني من بين ولاة مصر والي بولاق ،الذي بالغ في ظلم الحجاج حتى كان معينوه وحراسة يترصدون للحجاج في الأسواق فيلقون في السجن ولا يفك سجنهم إلا بعد دفع أموال مفروضة ولم يمنع حسن صنيع الوالي مع الورثيلاني في استجابة طلباته من الدعاء عليه بالهلاك والموت، إذ لم يتورع رجاله وعساكره من المواصلة في أذى الحجاج بالأسواق والطرقات، فيقول الورثيلاني في هذا " فإذا علمت أن بولاق قد تعدى ركبنا أهله الله وأخلى منه الأرض وكذا معينه يمسك جماعة بعد جماعة من الحجاج ويلقيهم في السجن فإن أخذ منهم شيئا من الدراهم سرح لهم من غير أن يدعوهم أحد للشريعة عدو نفسه إلا أنه لا يقدر أن يربط من الركب هو وغيه من الولاة وإنما يربطهم من الأسواق وقد نجاني الله منهم والحمد لله "[3]

---

[1]. محمد صبري :المرجع السابق ،ص25

[2]-الحسين الورثيلاني :المصدر السابق ،ص473

[3]- الورثيلاني :المصدر السابق ،ص474

ويذكر كذلك"فلم يوافقهم على الظلم ولما وصلوا إلى مصر رجعوا إلى فعلهم الرديء غير أنهم لم يأخذوا شيئا منهم وإنما ذلك الظالم هو الذي أخد منهم"[1] وقد استبدوا في حكمهم ووصل ظلمهم إلى كل أهل مصر، وتجاوز ذلك إلى المغاربة الموجودين في مصر وهذا ما جعل من مصر تعيش الفتنة وعدم الاستقرار الذي انعكس سلبا على معظم جوانب الحياة الاجتماعية و الاقتصادية ووصل بهم ذلك إلى حد بيع فقرائها عبيدا أو أسرهم كما أدى ترفهم إلى إهمال شؤون الشعب وتركه يتخبط في الفوضى والفساد[2] فيذكر احمد بن ناصر الدرعي في قوله " لأن أكبر الموانع وأعظم الآفات حب الرياسة ومن جال في أرياف مصر وأستخبر أهلها علم الصحة ما ذكرنا ... وأخبار مصر وظلم الولاة بها وغش الباعة وحيل المتسببين " [3]كما يذكر الدرعي كذلك " وأما رعيتها وفلاحتها فلا تسأل عما يلاقون من الجند من الظلم وماهم فيه من الإهانة والاحتقار تضرب ظهورهم وتأخذ أموالهم ولا مشتكي لهم إلا الله ومن تجاسر منهم واشتكى ضعف عليه العذاب الأليم " [4]

ويذكر الورثيلاني في هذا "أنهم يأتون المستضعفين من الناس فبعينهم عبيدا ويترجم في ذلك طبقة الحكام يعيشون الترف والمجون أما بقية الشعب والذي يمثل الطبقة الثانية يعيش الذل والحرمان والجوع والتهميش.هذا ما أدى إلى ظهور الفساد والغش والسرقة وانتشار ظاهرة اللصوصية وبتالي فقدان الأمن وكنتيجة حتمية على طبيعة الحكم الفاسد فقد ظهر الصراع على المناصب الذي كان شديدا وازدادت حدة المؤامرات التي يحكيها الولاة لبعضهم البعض أكثر خطرا مما أدى إلى

[1]- نفسه ،ص376

[2]-عبد القادر حليس :المرجع السابق ،ص128

[3]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص257

[4]-احمد بن ناصر الدرعي :ص257

تمرد بعض البايات "وقد يوصف الورثيلاني في قوله هذا " لما وصلنا إلى باب القصر أشرفوا علينا ... وانهزمت طائفة مصر "[1].

ويتضح مما سبق أن الرحالة المغاربة الذين زاروا مصر خلال القرنين 17 و18م، لم يتركوا معطيات فيما يتعلق بالأوضاع السياسية ولعل ذلك يرجع إلى ضعف الاهتمام بما هو سياسي بالنظر إلى المكونات الثقافية والدينية لشخصيتهم وعلى الرغم من ذلك فإن ما دونوه في رحلاتهم وعلى قلته يعكس ظرفية السياسية التي كانت تعيشها مصر خلال تلك الفترة والمتمثلة في إنعدام الاستقرار والأمن وانتشار الظلم والاستبداد ضد الرعية من طرف باشوات مصر تابعة للسلطة العثمانية [2].

2-الأوضاع الاجتماعية في مصر خلال القرن 18م من خلال رحلات المغاربة :

مما يلاحظ في رحلات المغاربة خلال القرنين 17و 18م ،أن الجانب الاجتماعي كان أكثر حضورا مقارنة بالجانب السياسي، حيث حرص الرحالة المغاربة على نقل صور البعض العادات والتقاليد في مصر خلال تلك الفترة [3] فيلاحظ أول ما يسجلها الرحالة الطبقية أو التفاوت الاجتماعي حيث في البداية يذكر الرحالتين نقلا عن الرحالة العياشي هذا الوصف في قولهم "أن مصر لابد أن تشتمل على طائفتين إحداهما في غاية العتو والاستكبار والأخرى في غاية الذل والاحتقار .... فباشاواتها وصناجقتها وولاتها وحكامها بل وسائل جندها وعسكرها- فيما يظهر لنا ليس فيهم إلا من أعماه حب الدنيا وأصمه وختم على سمعه وقلبه فلا يرحمون ضعيفا ولا يوقرون كبيرا.."[4]ومن هنا يتضح الطبقية والتفاوت الاجتماعي في المجتمع المصري آنذاك وكما يذكر الرحالتين تاريخ مصر مند أيام الفراعنة وموسى

[1]-الحسين الورثيلاني :المصدر السابق ،ص376

[2]-مصطفى الغاشي المرجع السابق ،ص498

[3]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص498

[4]-الحسين الورثيلاني :المصدر السابق، 372 ...وينظر الى احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص372

فيصورهم كيف يعيشون الذل ويرضون المهانة أمام المتجبرين .[1]فبدراسة التكوين الاجتماعي للمجتمع المصري يقسم ،بشكل عام إلى قسمين حكام ورعية [2]أو طبقة الأثرياء والطبقة الدنيا.

✓فئات المجتمع :

أولا: الفـــئة الحـــاكمة :

كانت هذه الفئة أقلية تشكل أرستقراطية حاكمة، تتوزع المناصب الإدارية والإشرافية سواء أكانت تركية أو مملوكية ،طابعها في غالب الأحيان الاستعلاء والكبرياء ،كما يصفها الرحالتين في غاية العتو والاستكبار، وقد كانت أبناء هده الفئة تتميز على أساس المكانة الاجتماعية من ناحية ،والمركز الذي يشغله الفرد منها من ناحية أخرى ،فعاشت طبقية متميزة منفصلة عن سائر الطبقات سواء من الظواهر السلوكية أو في اختلالها مراكز القيادة، في الإدارة والجيش أو في مكانة أفرادها ،كما تميزت بمستوى اقتصادي مرتفع و أصبح أفرادها ينعتون دائما بأعيان البلاد واكابرها، وأمرائها وأصحاب الحل والربط، وكان على رأس هذه الفئة الباشا أو الوالي العثماني هو صاحب السلطة[3]، وكانت أبناء هذه الطبقة هم أصحاب السلطة في تولي المناصب الحكومية فهم الطبقة الرسمية في البلاد وليس هناك آية فروق أخرى في التعامل اليومي أو الحقوق والواجبات، وقد كانت طبقة المماليك التي كانت في بداية الحكم العثماني يشتركون في الحكم ،من خلال معاونة الوالي العثماني، بحكمهم للمديرات في الأقاليم خارج العاصمة، حتى أصبحوا القوة الحاكمة أو المحركة الرئيسية في البلاد مع ضعف الدولة العثمانية ، حيث يذهب البعض من المؤرخين أن سطوة المماليك وإستلائهم على مقاليد الأمور، إلى القول بأن الحكم خلال القرن

---

[1]–نوري الجراح وآخرون :**الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب والمسلمين** ، ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع ،ابو ظبي ،الإمارات ،2005م،ص281

[2]–ناصرة عبد المتجلي إبراهيم :**الإسكندرية في العصر العثماني الحياة الاقتصادية والاجتماعية** ،تق:لطيفة سالم ،د ط ،الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة ،2013م،،ص245

[3]–عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم :**فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني** ، د ط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،دط،1990م،ص ص274-277

18م كان من خلال بيوت المماليك، ولم يكن الوالي العثماني إلا بمثابة سفير لدى المجلس المملوكي[1].

ثانـــيا: فئـــة الطـــوائف والتـــجار :

تعد الطوائف المهنيين والحرفيين والصناع من اللبنات التي تكونت منها المدينة في العصر العثماني، حيث كانت تلك الطوائف تنظيمات اجتماعية ،تتكون من مجموعات تحكم نفسها بنفسها ولا تخضع ألا للسلطة الطاغية ،التي يباشرها الحكام وضباط الأمن والقضاة ،وقد كان جميع من ينتمون إلى مهنة معين أعضاء في الطوائف معترف بها ،لها لوائح منتظمة ورؤساء منتظمون، و مقادير معينة من الضرائب عليها[2] ،وكان لكل طائفة شيخ ونقيب وكان الشيخ يختار من قبل أبناء الطائفة ،و أهم هذه الشروط: ألا يحدث عليه مظلمة "أي لا يفرض عليهم أية ضرائب أو عادات غير ضرائب والعادات المقررة ألا يدخل أحد من سلك الطائفة من غير أبنائها و أما نقيب الطائفة وهو من أبناء الطائفة ولكنه صاحب طريقة صوفية، ومن الأمور التي يجب الإشارة إليها أن أفراد المجتمع جميعهم كانوا منخرطين في نظام الطوائف [3]و، كما كانت هناك مقاييس تميز طوائف وبعضها كان يعتبر غير أخلاقي على سبيل المثال: طوائف العاهرات والشحاذين وتجار الرقيق الأسود والكناسين، وتمتعت بعض الطوائف بمكانة اجتماعية رفيعة ،مثل طوائف الأطباء والحلاقين وباعة العقاقير وباعة الكتب وطوائف التجار الغلال الأثرياء وتجار الأرز والنحاس والغراء والسراجين. وكانت جميع الطوائف ذات مكانة الرفيعة وطوائف أخلاقية، أما الطوائف ذات المكانة الدنيا فهي حيث المبدأ تلك الطوائف التي يتألف أعضائها من الفلاحين والنوبيين الذين كانوا يعملون كخدم أو حفر وحدات جما ومكاريين و السقائيين

[1]-ناصر الأنصاري :المرجع السابق ،ص ص194-196

[2]-كمال حامد مغيت :المرجع السابق ،ص75

[3]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم :المرجع السابق ،ص293

والطهاة[1]ويذكر الرحالة الورثيلاني في طائفة الحمالون او الشيالة في قوله "..سبب ذلك الشيالة أي الحاملون للحجاج فيشتكون إليه بباطل قصدا منهم أن يأكلوا ما عليه من الذين الذي أقرضوه وسلفوه منهم إذ كيدهم عظيم .."[2].

وكان جميعهم يحصلون على دخول متدنية نسبيا أو يشتغلون بمهن قدرة ،مثل باعة الزيت أو الباعة بالسمسرة أو المهن التي يشتبه فيها على أسس دينية مثل الحدادين والمهن الحرامية وغير الأخلاقية، كما كان الحرفين والتجار في نهاية القرن الثامن عشر هم العمود الفقري العنصر المنتج اقتصاديا في القاهرة .ولما كانوا منضمين في طوائف، فإن المؤرخين الحوليين يطلقون عليهم أهل الحرف والمتسببون. أهل المهن وتجار القطاعي. لقد كان هناك تمايز اقتصادي كبير داخل هذه الطبقة، إذا كان التجار أكثر يسرا عموما من الحرفيين ، بل إن بعض التجار كانوا يمتلكون ملتزمات ريفية[3]، واختلفت تكوينة شريحة كبار التجار من فترة إلى أخرى للعديد من العوامل، أهمها العامل السياسي ،وكانت تجارة التوابل تحرز المكانة الرئيسية بين سلع التجارة الدولية [4].

ثالـــثا: فئـــة الأشراف والســـادة:

يقطن بمصر عدد من الأشراف الذين ينتمون إلى الحسن والحسين، وكذلك السادات، وبشكل أدق فإن الّأشراف هم نسل ابن علي الأكبر الحسن والسادة هم نسل ابنه الأصغر الحسين.

وكانت الممارسة الاجتماعية في مصر فلا تميز بين الأشراف والسادة ،في المصادر تتحدث عن أشراف كانوا يدعون بالسادة والأشراف، وصار لقب السيد هو لقب شريف ،ومع ذلك فإن

[1]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص ص365-366

[2]-الورتيلاني :المصدر السابق،ص 473

[3]-ميكل ونتر : المرجع السابق ،ص ص 359 -366

[4]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص247

التفريق بين الأشراف الحسنين والأشراف الحسينيين ليس مجهولا، ولقد حضي الأشراف الحقيقيون بتكريم كبير، كما قاموا بأدوار رئيسية في الطرق الصوفية ،كما حضوا بالاحترام لأسباب دينية، وكثيرا ما يتمتعون بمكانة رفيعة وامتيازات اقتصادية، إذ كان ربع العديد من القرى يتحول إلى وقف، فيحقق دخلا يوزع على الأشراف ،وكانوا يتميزون بعباءاتهم الخضر، ويسمح لهم أيضا إن يرتدوا أثوابا خفيفة خضراء[1] وكانت هناك طائفتين من السادات طائفة السادة الوفائية والسادة البكرية، وكانت هناك أوقاف كثيرة موقوفة على كلتا الطائفتين ،وللإشراف والسادات أعمال خيرية كثيرة وعلاقات طيبة مع أفراد مجتمع القاهرة حكومة وسكانا [2]،وكان نقيب الأشراف بمثابة المسؤول، الذي تعينه الحكومة على الأشراف، ومن واجبه أن يفحص أصل المدعيين بأحقيتهم بمكانة الشرف وأن تمنع الدخلاء من أن تدرج أسمائهم في سجل الأشراف[3].

وكان الأشراف يعملون في مختلف المهن والتجارة استيراد وتصدير وتجارة داخلية، أهمها الجلود والدخان ومنهم من عمل حلوانيا وقصابا وحارسا وغيرها ،من المهن كما يتولى نقيب الأشراف عمل آخر كذلك مثل نظارة أوقاف زاوية المغاربة أو أوقاف بعض المقامات، وقد كون الأشراف ثروات كبيرة ظهرت من خلال تركاتهم ، كما دخل الأشراف الفرق العسكرية في مصر والإسكندرية و كدالك وظائف القلاع [4]،ويذكر الرحالة احمد أبو الناصر الدرعي كرم نقيب الأشراف، الشيخ حسن للركب المغربي الحاج فيقول في ذلك" ومما أكرمنا بهذه المدينة وجهتنا قبل هذه واستدعانا بداره وبالغ في الإكرام : الشيخ حسن نقيب الأشراف .كان رضي الله عنه من أهل الخير ويدل عليه ... "[5]

[1]-ميكل ونتر : المرجع السابق ،ص281

[2]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم: المرجع السابق ،ص304

[3]-ميكل ونتر : المرجع السابق ،ص289

[4]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص301

[5]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،284

رابـعا: فئـــة أهل الذمـــة:

هناك ثلاث عوامل حددت الأوضاع الاجتماعية لأهل الذمة في مصر في العصر العثماني، وأول هذه العوامل هي الشريعة الإسلامية التي قررت لأهل الذمة حرية العقيدة وحرية العبادة ،طالما قد دفعوا الجزية ،وثانيا: الثرات المصري والتاريخ المصري قبل الفتح العثماني لمصر، وقد كانت الدولة العثمانية وسلطات الحكم في مصر تفرض عليهم اوامرها بين الحين الاخر ،بان يلتزم اهل الذمة بقيود فرضت عليهم منذ الفتح الاسلامي مثل الجزية او الضرائب والتزام بعض القيود في الملابس ومظاهر حياتهم اليومية [1]، وكان لليهود في مصر محطات ،مثل مشاركة اليهود والنصارى في أحداث عصر السلاطين والمماليك ونشاطاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مشاركة إيجابية في معظم الأحوال، مما يدل على أن أهل الذمة في مصر آنذاك كانوا جزء لا يتجزأ من المجتمع المصري، يتأثرون بأحداثه الجارية ويخضعون لنفس الظواهر الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية التي خضع لها المجتمع ككل ،وثالث هذه العوامل هي سياسة التسامح التي اتبعتها الدولة العثمانية مع أهل الكتاب فكانوا يحمون حياتهم وأملاكهم وأديانهم طالما يقبلون الحكم الإسلامي ،ويدفعون الجزية في مقابل الإعفاء من الجندية هذا في الوقت الذي انتشر فيه الاضطهاد الديني ،ومحاكم التفتيش في الغرب المسيحي[2]، فقد وجدوا في ظل الدولة العثمانية ملاذا ،كما كانت لهم خبرات تعايشية جيدة مع سلاطين عثمانيين سابقين ،أهلهم لها تمكنهم من الطب واللغات وصناعة الأسلحة[3] ،يذكر الورثيلاني "وكذلك كثرة اليهود فيها والنصارى"[4]، مصر ينقسم اليهود في مصر إلى جماعتين :الثلموديين وهم الأكثر عددا وقد زاول

[1]-موسى موسى نصر :**صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية** ، د ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الإسكندرية ،1998م ،ص ص65 - 67

[2]-كمال حامد مغيث: المرجع السابق ،ص83

[3]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص268

[4]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص472

أغلب أفراها أعمال الصرافة والأنشطة التجارية ، وهم الأكثر ثراء فيهم وجماعة القرائيين وهم الأكثر تشددا وفقرا بين جماعات اليهود، وعملوا حرفيين بالصباغة والحرف الصغيرة الأخرى[1] وكانوا يعملون في الجمارك خاصة جمرك بولاق وقد اعتنق الكثيرون منهم الإسلام، وهم متواجدون في جميع المدن المصرية كالإسكندرية، دمياط ،رشيد، وفي القاهرة يعمل الكثيرون منهم في خان الخليلي ولهم منازلهم الخاصة ،ومتاجرهم ويقيمون في حارة اليهود ،قرب الموسكى وهم متمسكون بالثوراة والثلمود وللأقباط حارات خاصة بهم ،ويتمركزون في المناطق مثل مصر القديمة[2] ،وقد برع اليهود في أغلب المهن التي عملوا بها في الإدارة والترجمة والطب والعمل بالملاحات، وتجارة الدخان التركي والإنجليزي، وكذلك في مجال القروض ومنهم من عمل مكاريا[3]،وقد كان أهل الذمة من الأقباط واليهود يمثلون شريحة مهمة من شرائح أو فئات المجتمع القاهري ،وقد حرصت الدولة على مراعاة الفروق الاجتماعية من السكان من أهل الذمة ،عندما عملت على أن تتراوح الجزية المفروضة عليهم بين أربعمائة وأربعين فضة للأغنياء ومائة وعشرة فضة لغيرهم، ونتيجة لتلك الأوضاع التي عاشها أهل الذمة في مصر خلال العصر العثماني كثيرا ما استقبلت مصر أعدادا كبيرة من المسيحيين الذين كانوا يهاجرون إليها على إثر الاضطرابات الطائفية التي كانت تثور هناك[4].

خـــامسا: العـــــــربـان:

توافرت على مصر العديد من القبائل العربية من المغرب العربي وشمال إفريقيا ،تلك القبائل التي قد نزحت إلى هناك مع الفتح الإسلامي أيضا ،غير أن الصراعات المستمرة هناك كانت تدفع

[1]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص268

الهام محمد علي ذهني :**مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنيين 16و17م**،اشراف :يونان لبيب رزق ، د ط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،1991م،ص ص79-80 [2]

[3]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم : المرجع السابق ،ص269

[4]-كمال حامد مغيث:المرجع السابق ،ص85

بالعديد من القبائل إلى النزوح شرقا، حتى تستقر على ضفاف النيل أو قريبا منه[1]، وتعد منطقة ما بين البحيرة الإسكندرية من أكثر مناطق وجود العربان في مصر لاسيما القبائل المغربية سواء أكانت من أصول بربرية أو عربية، فتوسط تلك المنطقة ما بين الجزيرة العربية والمغرب كانت نقطة التقاء، تركز فيها العديد منهم ،ومن أشهر العربان الدين استقروا بالقاهرة ،عربان النجمة وكان استقرارهم حول منطقة باب الشعرية ولكن هؤلاء العربان ظلوا على حياتهم وطباعهم البدوية[2]ولكنها في نفس الوقت تذكر دائما صفة البدوي كصفة ملازمة لهم، كما يذكر لهم الدور الإيجابي في المجتمع المصري، في وجودهم كتجار للكتان والفول والسمن وإنتاجهم لبعض قطع السلاح مثل المز ارق والدبابيس كما سكنوا المدينة وامتلكوا فيها عقارات ، وهناك من يرى أن العربان في مصر كانوا كثيرا ودفعوا أرواح المئات من أبنائهم على يد الإسباهية منذ توراتهم[3].

وتعتبر قبيلة هوارة من أهم القبائل العربية ،التي وردت إلى مصر و أثرت تاريخه فقد استقروا في الصعيد منذ(782هـ/1380م) وامتد نفوذهم من قوص جنوبا إلى البهسنا شمالا ،وصارت القبائل العربية المغربية منها وغير المغربية المستقرة في تلك المنطقة تدين لهم بالولاء وتحتفظ معهم بعلاقات طيبة[4] ،وهي من أشد العربان بأسا وأطول باعا جاءت في الأصل من ضواحي تونس الغرب واستقرت بين جرجا وفرشوط[5]، استطاعوا عن طريق علاقاتهم الطيبة مع الأهالي من جهة ومع الإدارة من جهة أخرى، أن يستعيدوا مكانتهم وسيطرتهم خلال القرن 18م[6]، وقد ظل بعض أفراد هوارة في الوجه البحري فظهر منهم الشاعر وتجار ودواب وغنم وكيال وسمسار كما أقاموا

---

[1]-نفسه :ص89

[2]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم: المرجع السابق :ص ص307-308

[3]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص286

[4]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : **المغاربة في مصر في العصر العثماني 1517-1798**م،ط1 ، المجلة التاريخية المغربية ،تونس ،1982م،ص35

[5]-جرجي زيدان ومحمد حرب :المرجع السابق ،ص244

[6]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم:المرجع السابق ،ص36

مع بعضهم شركات تجارية[1].وقد كانت قدرة العربان على تحديد سلطات الدولة تأتي من إمكانية تحركهم السريع وتغير أماكن إقامتهم بالإضافة إلى امتلاكهم للخيول، وهي القوة الضاربة للجيوش ذلك العصر، كما كانوا مصدر للإخلال بالأمن ونهب الزراع وكانوا في سيعهم الدائم نحو السيطرة على الأقاليم الزراعية المتاخمة لمضاربهم ،يصطدمون بالسلطات الحاكمة في القاهرة ، وكانت النتيجة أن قبائل العربان المستقرة أو شبه المتجولة قد سيطرت عمليا على مناطق واسعة من مصر العليا ومصر السفلى ووقفت حكومة القاهرة عاجزة أمامها[2] .

سـادسا : فئـــة العلمـاء:

كانت هذه الطبقة على دراية بالشريعة وعلومها ،وتنحصر فيهم بعض الوظائف ذات الصبغة القانونية والدينية والشرعية ،مثل القضاة والفقهاء وأهل لإفتاء والأئمة والمعلمين[3]، فكان علماء الأزهر وطلابه فئة اجتماعية لها مكانة متميزة، فالأزهر مركز التعليم الإسلامي بمذاهبه المختلفة وكانت أروقته تضم طلابا من مختلف العالم الإسلامي[4]،فمثلت طبقة العلماء في مصر طبقة متجانسة تمام التجانس، فالأغلبية العظمى كانت من المصريين المتحدثين باللغة العربية، على أنه كان هناك تسرب مستمر من العلماء الذين حضروا إلى مصر بغرض الدراسة، و أولئك الذين توقفوا فيها وهم في طريقهم إلى بلادهم وهم قادمون من الحج ،فأثروا على حياة مصر الدينية والفكرية، وكان المغاربة هم أكبر جماعة من العلماء الأجانب الذين تم استيعابهم وتمثلهم بدرجات مختلفة داخل المجتمع [5] ،حيث يذكر الرحالة الورثيلاني أحد العلماء المغاربة وهو الشيخ الحفناوي، الذي زاره يذكر في ذلك "وقد زرنا هذه الحجة شيخنا الفاضل الكامل سلطان العارفين وإمام

[1]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص285

[2]-كمال حامد مغيث:المرجع السابق ،ص70

[3]-ناصر الانصاري :المرجع السابق ،ص194

[4]-عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم :فصول في تاريخ مصر في العصر العتماني ،المرجع السابق ،ص299

[5]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص191

الطريقة والسالكين الجامع بين الحقيقة والشريعة سيدي محمد الحفناوي ..."[1]وغيرهم من العلماء المغاربة، ويذكر الجبرتي عن حالة العديد من العلماء المغاربة الذين اندمجوا في رواق المغاربة القوي في الأزهر وكانت القاهرة ترحب بالعديد من العلماء من الشام والجزيرة العربية، بحيث أن بعضهم تمكنوا من أن يعيشوا حياة علمية لامعة في الأزهر [2]

سـابعا: فئـــــة الأجانب والرقيـــق:

كان يوجد في القاهرة فئة من الأجانب التجار والقناصل ،وكانوا يتعاملون مع فئات المجتمع في مجالات التصدير والاستيراد، فنجد في القرنين 16و 17م إشارات في الوثائق إلى الإيطاليين وبخاصة البنادقة و الجنوبيين والفرنسيين والأرمن منذ بداية العصر العثماني ،وكانوا يتعاملون مع التجار المحليين حيث نجد في القرن 18م التجار والقناصل الإنجليز وغيرهم وكانت علاقة هؤلاء الأجانب مع مجتمع القاهرة مفتوحة تقوم على الاحترام المتبادل.

أما الرقيق المقصود به الأرقاء الدين يشترون من سوق الرقيق، وهما نوعان: رقيق أبيض وهم الذين كانوا يجلبون من البلاد كردستان وجورجيا وبعض مناطق أوربا ،والرجال من هذا الرقيق كان الأمراء يشترونهم ليكونوا جيوشهم الخاصة، والنساء كن يعملن في بيوت الأمراء المماليك كخدم أو كإماء ،حتى يحل العتق بهن لتزويجهن رجال من قوة الأمير ذاته[3] ،أما الرقيق السود من الحبشة وتكرور والنوبة ،ويذكر أن أغلب مشتري الرقيق الأسود من رجال القلاع والفرق ،وأغلبهم في

[1]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص 427

[2]-ميكل ونتر : المرجع السابق ،ص191

[3]- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : صفحات من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي ،المرجع السابق ،ص ص304-305

الأصل رقيق فلهم تعاملات عديدة مع السماسرة وتجار الرقيق من رشيد ومغاربة و أحباش الدين يجلبون الرقيق الأسود من الحبشة وتكرور ويدفعون ضرائبهم لملتزم مكوس الرقيق [1].

✓ وصف الرحالة للمجتمع المصري وعاداتهم:

كانت صورة مصر الاجتماعية في عيون الرحالتين الورثيلاني واحمد بن ناصر الدرعي خلال المدة التي مكنوا فيها مكنتهم من التعرف على العديد من أحوالها وعاداتها وتقاليد أهلها ،ويبرز الرحالتين أحد سلوكيات المجتمع المصري التي أثارت اندهاشهم والمتمثلة في السرعة في قضاء الحوائج والجدية [2]، و يذكر الرحالة احمد بن ناصر الدرعي في هذا "من لدن دخلت هذه المدينة ما رأيت أحدا يمشي في أزقتها و أسواقها على مهل وسكينة وتؤده، بل كل من تلقاه تراه مشمرا جادا في سيره ،إذا راكبا فراكب و إن ماشيا فكذلك "[3] ،ويعلل الرحالة السبب في قوله " وسبب ذلك والله أعلم أمران: أحدهما الرغبة والحرص المستكين في القلب ، فيحمل الإنسان على أن يفوته شيء من أغراضه وهو يظن أنه لو ثواني في مشيته لفاته غرض مع كثرة الأغراض وتزاحم الأشغال والآخر كثرة الزحام في الأسواق "[4]،ويتعجب الرحالتين لكثرة الزحام في الأسواق فيذكر الرحالة الورثيلاني في هذا " والآخر كثرة الزحام في الأسواق فكل سوق دخلته تقول هذا أكثرها زحاما ...وقد شاهدنا الناس في بعض الأسواق تارة يقفون هنيئة لا يقدر أحدا على أن يتحرك يمينا ولا شمالا من غير أن يكون هناك حاصر لهم من أمام إلا الزحام وربما رفع بعضهم صوته بالتكبير فيكبروا حتى يظهر لهم بعض تحرك فيندفعون مثل السيل إذا إجتمع في مكان ضيق .."[5].

---

[1]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص293

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص500

[3]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص259.....وينظر الى الحسين الورثيلاني :مصدر سابق :ص375

[4]-احمد بن ناصر الدرعي :نفسه ،ص259

[5]-الحسين الورثيلاني :المصدر السابق ،ص375....وينظر الى احمد بن ناصر الدرعي :مصدر سابق ،ص259

ويذكر الرحالتين أن المرء يجد في مصر أي شيء يبحث عنه وأزيد من ذلك بكثير ويتسبب ذلك إلى كثرة الناس[1] "وبالحملة في مصر أم البلاد شرقا و غربا لا تستغرب شيئا ما يحكى عنها من خيرا أو شرا ويضيف إلى ذلك " إلا لكثرة الناس فيه من طلب جنسا وجد فيه منه فوق ما يظن فيظن أن غالب أهل البلاد كذلك "[2]،ويشير الرحالتين الى ذكاء أهل مصر نقلا عن العياشي " وبالجملة فأهلها لهم عقول راجحة وذكاء زائد فمن استعملها في الخير فاق فيه غيرة ومن استعملها في الشر فكذلك"[3]،كما يصف الرحالتين الناس فيها كأنه في المحشر فيقول "كأن الناس فيها قد حشروا إلى المحشر لا ترى أحدا يسأل عن أحد ساع فيما يرى فيه خلاص نفسه"[4] .

و أما بالنسبة لعادات مصر في الضيافة و أكرام الضيف فيذكر الدرعي الورثيلاني كرم نقيب الأشراف ونقيب كسوة الكعبة في هذا " وممن أكرمنا بهذه المدينة وجهتنا قبل هذه و استدعانا لداره وبالغ في الإكرام الشيخ حسن نقيب الأشراف ...."ويذكر احمد بن ناصر الدرعي في قوله "وممن أكرمنا بهذه الديار واستدعانا لمنزله الشيخ عبد الرؤوف نقيب كسوة الكعبة المشرفة وهو في خواص أصحابنا شيخنا الشيخ " وبالغ في الإكرام والمبرة والاحترام وحدثنا وباسطنا "[5]

✓ المأكل والمشرب والملبس :

الملبس هو احد ثقافات الشعوب ،فكان لكل فئة في المجتمع لباس خاص بها ،ولون تتميز به عن غيرها ،وكان لوضع العمامة على الرأس لدلالة على أصحابها ،فمثلا تميز لباس المسلمين بالطاقية الحمراء واللباس الديمي ،ولباس العلماء عبارة عن ملابس صوفية عسلية اللون، واللون الأزرق

[1]-عبد الرحمان عزي :المرجع السابق ،ص40

[2]-الدرعي :نفسه ،ص.259....وينظر الورثيلاني :المصدر نفسه :ص400

[3] احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق :ص259

[4]-الحسين الورثيلاني :المصدر سابق ،ص374 ....ينظر احمد بن ناصر الدرعي :نفسه ،ص260

[5]- احمد بن ناصر الدرعي :المصدر نفسه ،ص260.....ينظر الى الورثيلاني :نفسه ،ص394

لنصارى ،أما الأصفر لليهود ،أما لبس فقراء الانجليز الواردين يتكون من قميص ابيض وشاية جوخ ازرق وبرنيطة ، وهكذا حدد العرف لباس ولون كل فئة، ووضعت عقوبات لمن يخالف ذلك ،بخاصة من يلبس من الأجانب والنصارى ملابس المسلمين ،او من ينزع العمامة عن رأس غيره ويلقيها أرضا ،حيت تعد هذه جريمة يعاقب عليها القانون[1] ،فالنسبة للإشراف العلماء يضعون شارة أو شريطا اخضر فوق العباءة البيضاء، أما فئة اليهود والمسيحيين لهم أزياء خاصة ،تخضع لقوانين متكررة ،ففي سنة 1726م أمر احد الباشاوات أغا الانكشارية بان يعلن في شوارع القاهرة ،ان اليهود ينبغي ان يرتدوا طواقى زرقاء والمسيحيين قبعات خاصة وبرانيط ،وكان اليهود يرتدون شباشب زرقاء او سوداء أما المسيحيين شباشب حمراء والأتراك صفراء[2] .اما المأكل والمشرب ركز الرحالة على عادة أهل مصر والتي تميزهم عن المشرق وهي شرب القهوة وانتشار المقاهي بالمدن المصرية .

✓ شـــرب القـــهوة:

أما الظاهرة الاجتماعية التي كانت خاصة في المجتمع المصري، وتميز بها عن باقي بلاد المشرق تمثلت في شرب القهوة[3]،و هذه عادة أهل مصر في تقديم البن تعبيرا منهم عن الترحيب ورغم أن الرحالة المغاربة قد لاحظوا العديد من عادات المجتمع المصري ،ألا إن الموضوع الذي أستأثر اهتمامهم هو عادة أهل مصر والشرق عموما شرب البن أو القهوة، التي تحولت إلى أسلوب للتواصل الاجتماعي، والتي كان المغاربة على علم بها إلا أن مواقفهم الفقهية والشرعية كانت تختلف عن أهل الشرق بخصوص هذا الموضوع[4] ،فيذكر الرحالة أحمد بن ناصر الدرعي " وممن أكرمنا بهذه المدينة وجهتنا قبل هذه واستدعانا لداره وبالغ في الإكرام الشيخ حسن ، نقيب

[1]-ناصرة عبد المتجلى ابراهيم :المرجع السابق ،ص409

[2]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص316

[3]-عبد القادر حليس :المرجع السابق ،ص111

[4]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص502

الإشراق ... وأخرج لنا شربات من السكر والحلو لما علم أنا لا نتعاطى القهوة التي يستعملها العام والخاص في هذه النواحي المشرقية وكانت عندهم من أعظم التحف تغني عن غيرها ولا يغني عنها غيرها، ونحن لا نعرفها وليست عندنا بطعام ولا دواء ولا شراب ولا شهوة والكلام فيها من حيث الإباحة وعدمها طويل عريض معلوم شهير نظما ونترا "[1]

والظاهر من خلال ما دونه الرحالة عن مكانة القهوة في المشرق العربي أنها تحولت إلى موضوع اجتماعي ثقافي شرقي، نظرا إلى الأدوار التي صارت تقوم بها في العلاقات الاجتماعية داخل البيت والمقاهي الشعبية والصالونات الأدبية بحكم الأجواء الخاصة التي تخلقها بين أفراد المجتمع ويكفي أنها كانت وراء ظهور المقاهي في العالم ،ومما يعكس كثرة اهتمام الرحالة بمادة القهوة تقديمهم لمعلومات وافية حولها ،ويلاحظ عنهم لا يتناولونها بشكل مستقل إنما في ارتباط بالمجتمع ،حيث تحولت إلى موضوع اجتماعي أكثر منه مادة نباتية قابلة للشرب[2] ،فيذكر الرحالتين عن بداية ظهور القهوة فعن الرحالة احمد بن ناصر الدرعي ""وقد شاع وداع عند كثير من الناس ، بل ذكره غير واحد ممن تكلم عليها أن أول من أحدثها وأخرجها من أرض اليمن الشيخ الولي الصالح المتفق على ولايته سيدي علي بن عمر الشاذلي اليمني و أمر أصحابه ،بشربها ليستعينوا بذلك على السهر في العبادة ثم لم يزل أمرها يفشو شيئا فشيئا ومن بلد إلى بلد، إلى أن آل إلى ما آل بحيث عمت البلاد المشرقية وكثيرا من المغربية ، فيحمل منها في كل سنة من بلد اليمن إلى كل أفق من الآفاق شرقا وغربا ، الآلاف من الأحمال فتدفع فيها أموال قلما تدفع غيرها من التجارات ، فيبلغ الحمل منها في مكة إذا رخص فوق العشرين ريالة وبمصر إلى الخمسين "،[3]حيث ذكر الرحالة كيفية وصولها إلى مصر، والأسعار التي تشتري بها كما لم يتوقف الحد في وصف الرحالة بل تعداه إلى المواقف الشرعية الفقهية، ويشير الرحالتين أن الشاربين للقهوة فريقان

[1]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص289

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص502

[3]-احمد بن ناصر الدرعي :نفسه ،ص289.....ينظر الى الورثيلاني :المصدر السابق ،ص ص405-406

" فريق يشربها في أماكن معدة لذلك مزخرفة قلما تخلو لهو وحضور من لا يحل حضوره من الجواري والمرد فهؤلاء الحامل لهم على شربها إتباع الأهواء والتلذذ بما قارنها من الأمور المذمومة فلا يبعد أن يقال : إنها في حق هؤلاء محرمة لا لذاتها بل لما قارنها وفريق يشربونها في مساكنهم أو حوانيتهم أو يشترونها في السوق ويشربونها من غير جلوس مع الفريق الأول "[1]،

كم أن اهتمام الرحالة المغاربة بعادات وتقاليد أهل مصر في بعض المناسبات يعكس مجالات الاختلاف بين المشرق والمغرب خصوصا ،عندما يتعلق الأمر ببلد كمصر الذي كان يذكر بعض الرحالة تميز مصر بتعدد الأجناس ،ويقارن الورثيلاني بين حياة المصريين وحياة المغاربة عامة ،والجزائريين خاصة ،فرأى أن المغاربة يشعرون أنهم أمواتا لم يعرفوا طعم الحياة في أوطانهم، واكتشفوا مظاهرها وعجائبها في مصر[2]، كما يقارن الرحالة بين مظاهر العيش الرغيد الذي تمتع به أغنياء مصر وعاينه زمن رحلتهم ما كان يعانيه أهل الوطن ألمغاربي، من قلة مرافق وتخلف في شتى الميادين [3]، وفي هذا يذكر الحسين الورثيلاني عن الركب الحجاج المصري " فلا تسأل عنها الأرزاق ومن عجائب ذلك أن أرزاقها أكثر منها فإن أهلها وطننا بل سائر المغاربة يعلمون أنهم ليسوا من أهل الدنيا بل أموات بالنسبة إلى ما رأوا من زخارف من خرج من مصر بحيث لا يخيط ديوان بأنواع ذلك"[4]

✓ بعض المظاهر السلبية في المجتمع المصري:

بالرغم من ضعف المعلومات التي كان يقدمها الرحالة المغاربة عن المجتمع المصري، فإن ما دونوه يسمح بتكوين صورة عن عادات وتقاليد المصريين السلبية، التي عملوا على نقلها إلى المغرب

[1]-احمد بن ناصرالدرعي :المصدر السابق ،ص287.....ينظر الى الورثيلاني :المصدر السابق :ص404

[2]-سميرة أنساعد :المرجع السابق ،ص147

[3]- سميرة أنساعد :المرجع السابق ،ص233

[4]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص804

فتكونت بذلك صورة خاصة عند المغاربة عن أهل مصر وأوضاعهم الاجتماعية ،وفي هذا يذكر الرحالة المغاربة عن السلوكيات السلبية عند المصريين كظاهرة الغش والحرص على الدنيا والغدر[1]، ويذكر هذا الرحالتين الدرعي الورثيلاني حول أخلاقيات وسلوكيات الفلاحين المصريين الذين يتعرضوا لمركب الحجاج بغية عرض خدماتهم عليهم ،فيقول الدرعي في هذا ".... وبقي أصحابنا حتى يعبروا بالأثاث ويقلبوا باقي الإبل مع أصحابنا الفلاحين لكرداسة، وقد تعرضوا خارج البلاد وتلك عادة الفلاحين عند قدوم الركب كما قدمنا ،يتعرضون ويتخذون الأصحاب ليودعوا عندهم الإبل أملا لإقامة طلوعا ورجوعا وهم كما قيل : الحرص على الأمانة يذل على الخيانة ، فلا ترى أعجب من تلطفهم ولين خطابهم عند نصب شبكة الخداع للمغتر من الحجاج : فيحلفون بالإيمان المغلظة على أداء الأمانة، وبذل المجهود في النصيحة حتى يركن إلى قولهم ، ولو من جربهم مرارا ثم عند المفاصلة قلما ينفصل أحد معهم عن طيب نفس "[2] ويذكر الورثيلاني أن أهل مصر ذئاب حيث يصف خدعهم للحجاج فيقول " نعم فلا تغتر بها الحاج بحلاوة اللسان من الشياطين ولإظهار المودة ولا بكثرة الإيمان فإنهم ذئاب في ثياب، وكذا أن أتوا لك بهدية لا تقبلها منهم فإنهم، يريدون التحيل بالوصول بها إلى مالك فتقع في شبكة لا مخرج لك، منها فلا يعتبرون عهدا ولا مودة ولا يمينا ولا صحبة ولا واليا إلا المكر والخديعة فلا يرجى منهم إلا الخيبة والخسران والنكت والعكس ولا ينجو منهم إلا من اشترى إبلا لنفسه وحمل عليها وإلا فقد قطعوا الطريق وأسبابها لأنهم قدروا على أخد المال تحيلا فعلوه وإلا أخذوه بإعطاء رشوة لأصحاب المخزن من الدعاوي الكاذبة والفجور ..."[3]

وقد ذكر المقري لما سئل عن اهل مصر "دخلها قبلنا ابن الحاجب فانشد :[4]

---

[1]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص514

[2]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص ص260-261

[3]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص425

[4]-احمد بن محمد المقري :**روضة الاس العاطرة الانفاس** ،ط2 ،المطبعة الملكية -الرباط ،1983م ،ص15

يا أهل مصر وجدت بأيديكم في بذلها بالسخاء منقبض

كما يصف الرحالة الورثيلاني الظلم الذي يعاينه الركب الجزائري من الركب المصري في قوله ".. السفر مع الركب المصري لما اشتهر من ظلم الركب الجزائري للناس وللهرج فيه أيضا حتى أن الإنسان يتمنى لم يقدم للحج .." [1]ويذكر أيضا " ... من الإقامة في مصر لما كان من الهرج والفتنة والنزاع بين الحجاج والشيال لأن من دخل بولاق من الحجاج ربطوه وحبسوه ومن دخل منهم الركب ربطه الحجاج" ويذكر أيضا في هذا السياق "... فيشتكون إليه بباطل قصدا منهم أن يأكلوا ما عليهم من الدين الذي أقرضوه وتسلفوه منهم إذ كيدهم عظيم "،وهذا ما جعل الورثيلاني يصدر الحكم السلبي عن أهل مصر لما تعرضوا له على يد والي بولاق يقول " علمت أن والي بولاق قد تعدى على ركبنا أهله وأخلى منه الأرض ...يمسك جماعة بعد جماعة من الحجاج ويلقيهم في السجن فإن أخد منهم شيئا من الدراهم سرح لهم .."[2]،كما كانت مصر آنذاك بالنسبة للمغاربة " أقبح الأوطان وأذلها للغريب " كما تحدث الرحالة المغاربة أيضا عن ظاهرة الدخان بين المصريين واستنكارهم لها [3].ويضيف الورثيلاني في عودة من الحجاز في قوله "...غير انه وقع بين الركب وأهل البادية الذين مكروا لهم شنئان عظيم وفتنة قوية ...على الحجاج فما خرج منهم إلى السوق واحد إلا حبسوه وسجنوه .."[4]

وفي هذا يذكر الرحالة العياشي الواقعة التي حدثت لأحد الحجاج في العريش في مصر عندما طالبوهم بالغفر "...هددونا بالحبس وطالبوني بالغفر عن رجل من أصحابنا كان يخدمنا فتعللت لهم انه فقير ليس عنده ما يعطي ،فادخلوه الحبس ولم يخرج منه حتى دفعت

[1]- الورثيلاني :المصدر السابق ،ص423

[2]- نفسه ،ص437

[3]-سميرة أنساعد :المرجع السابق ،ص147

[4]- الورثيلاني :نفسه ،ص805

عنه ما يتوبه من الغفر وبتنا تلك الليلة في نكد عظيم وغم ...ولحقنا من المذلة والاهانة"[1]

✓ **احتفالات المجتمع المصري :**

-الاحتفال بكسوة الكعبة :

إن فرصة وجود الرحالة المغاربة بمصر وإقامتهم المطولة بها أحيانا ،أتاحت لهم إمكانية الإطلاع والمشاهدة لعدد غير يسير من العادات والتقاليد خصوصا تلك المرتبطة بالدين والاستعداد للحج، ومن أهمها الاحتفال بكسوة الكعبة المشرفة، حيث تعتبر من عادات المصريين في كل سنة يحتفلون بإرسال كسوة الكعبة المشرفة في النصف من شوال، مع المحمل المصري ،ولأن للاحتفال دلالات دينية واجتماعية، لذلك نجد الرحالة المغاربة يتناولونه بحماسة ومشاعر دينية فياضة ويخوضون تفاصيله الكثيرة ،ولأن المشهد خص بأهل مصر دون غيرها من البلدان الإسلامية نظرا لاختصاص مصر في صنع كسوة الكعبة[2]، حيث يذكر الرحالتين استدعائهما من طرف الشيخ عبد الرؤوف نقيب الكعبة المشرفة، حيث استضافهم وحدثهم عن كسوة الكعبة فيقول أحمد بن ناصر الدرعي الورثيلاني " وأخيرا أن الكسوة تقوم كل سنة باثنين وعشرون ألف كيس والكيس خمسمائة قرش والمحمل بسبعة أكياس من أحباسها وربما يزيد القيم المذكور من عنده من أربعة أكياس إلى ستة " " والكسوة المذكورة إذا كان النصف من شوال أو بعده أو قبله" [3]حيث يصف الرحالتين الاحتفال الخاص بإعداد الكسوة وصفا دقيقا يذل على أهمية الحدث، وقداسته بوصفه حدثا وطنيا لا مثيل له في مصر آنذاك وشمل الخروج الأول بالإعداد، والثاني والخاص بالإتمام،

[1]- عبد الله بن محمد العياشي :**الرحلة العياشية 1661-1663م** ،تح وتق :سعيد ألفاضلي وسليمان القرشي ،مج1، ج2،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع ،أبو ظبي الإمارات ،2006م ،ص469

[2]- مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص504

[3]- احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص .279.....ينظر الى الورثيلاني :المصدر السابق ،ص395

والاستعداد للسفر إلى مكة المكرمة[1]، ومن خلال الرحالة أن الاحتفال كان يأخذ طابعا رسميا ،وذلك من خلال حرص الدولة العثمانية وولاتها بمصر على الوقوف على تجهيز المحمل، وحضور احتفالاته ،وهو ما كان يزيد الاحتفال هيبة وسلطة[2]، فيسرد الرحالتين هذا المشهد كالتالي " يخرج المحمل الخروج الأول فيؤتى بها من دار الصنعة ،فتضرب سجافه على باب القلعة فتحضر الصناجق كلهم ،والولاة والأمراء والحكام والقاضي كل واحد مع أتباعه ولكل واحد مجلس معلوم في السجافة المضروبة، ومجلس الباشا في الوسط، وعن يمينه مجلس القاضي، وكلما أتى واحد من الأمراء وأرباب الدولة جلس في مجلسه المعهود له وقربهم من الباشا بحسب قربهم في مناصبهم...فإذا تكاملوا كلهم وأخذوا مجالسهم ،وصفت الخيل عن يمينهم صف كل طائفة مع جنسها إلى أن تحيط بالميدان، ...وآخر من يخرج الباشا فتخرج أمامه طائفة من عسكره بعضهم إثر بعض إلى ترتيب معلوم وقانون مضبوط، وآخر من يخرج معه طائفة الشاوية على أرجلهم ..... فإذا وصل إلى السجافة قام الكل له واضعين أيديهم على صدورهم حتى يجلس ،وكذلك يفعل من تقدم للجلوس من الأمراء مع من يأتي بعده، فإذا جلس الباشا جيء بالجمل الذي يحمل المحمل وعليه المحمل :وهو قبة من خشب رائقة الصنعة بخرط متقن وشبابيك ملونة بأنواع الأصباغ وعليها كسوة من رفيع الديباج المخوص بالذهب ...."[3]،و يتحدث الرحالة كذلك عن بعض الطقوس التي كان المصريون يحرصون على مزاولتها خلال هذا الاحتفال ،بخروج كسوة الكعبة [4]،فيذكر " ثم يأتي بالكسوة المشرقة ملفوفة قطعا قطعا، كل قطعة منها على أعواد شبه السلالم معدة لذلك ، يحملها رجال على رؤوسهم والناس يتمسحون بها ويتركون ، ويأتي بكسوة باب الكعبة ، مستورة على الأعواد وتسمى البرقع كلها مخوصة بالذهب ،حتى لا يكاد يظهر

[1]-عبد الرحمان عزي :المرجع السابق ،ص42

[2]-مصطفى الغاشي : المرجع السابق ،ص505

[3]-احمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق،.279.....ينظر الى الورثيلاني :المصدر السابق ،ص ص397-398

[4]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص505

فيها خيط واحد يصنعه فائقة وكتابة رائقة ،ثم يمر بكل ذلك بين الباشا والأمراء ويقومون لها إذا مرت بهم تعظيما ، ثم تخلع على الدين صنعوها بمحضر ذلك الجمع ثم يذهب بها كذلك حملتها ويمرون بها في وسط السوق والناس يتمسحون بها، حتى يبلغوها إلى المشهد الحسيني فتنشر في صحن المسجد وتخاط هناك" أما الخروج الثاني فيصفه الرحالة نقلا عن الرحالة العياشي بأنه يوم الزينة حيث يذكر " فإذا كان اليوم الحادي والعشرون من شوال خرج المحمل من القاهرة وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير ، الذي هو من أيام الزينة، ويجتمع له الناس من أطراف البلاد، ويؤتى بكسوة البيت الشريف المعظم المنيف ، من موضع خياطتها وتجعل في المحال الذي تحمل فيه ويجمع الأمراء والصناجق والجند جميعا على الهيئة المتقدمة في الخروج الأول ، إلا أن هدا أثم احتفالا وأكثر جمعا ، فإن تكامل جميع الأمراء على الوجه المتقدم ،وصفت الخيل والرماة وخرج الباشا جيء بجميع ما يحتاج إليه أمير الحاج من إبل وقرب ومطابيخ وخيل ورماة وغير ذلك "[1]، ويستشف من التجهيز الذي يخصص لكسوة الكعبة أنه كان جد مكلف ،وهذا ما يعكس حديث العياشي، وأنه كان يتم الحرص على عدم تسليم محمل لأمير الحج حتى يحضر الباشا والأمراء والقضاة والأهالي كإشهاد عليه ثم تتم مكاتبة السلطان في هذا الشأن[2]، فيذكر الرحالتين "ثم يأتي بالمحمل على جمله المذكور أولا يقوده سائسه، حتى يناول رأس الجمل للباشا فيأخذه بيده ويناوله لأمير الحج بمحضر القاضي والأمراء ومعاينتهم.... "[3]،كما يتطرق الرحالة إلى أن بعض الديار المشرفة على الشوارع قد تكرى من أول العام ويسكن مكتريها في هذه الأيام وهو ذال على أهمية وعظمة هذا الاحتفال ،كما يعتبر هذا الاحتفال من أعظم أيام السنة عندهم، حيث وصفوه الرحالة المغاربة ولم يقفوا في وصفهم على الاحتفال فقط، وإنما عملوا على تتبع كل المراحل الأخرى التي توافق خروج الركب المصري ومعه كسوة الكعبة حيث تشكل جزء من تاريخ

[1]-احمد بن ناصر الدرعي :نفسه ،ص280.....ينظر الى الورثيلاني :نفسه ،ص398

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص504

[3]-احمد بن ناصر الدرعي : المصدر السابق ص،280.

الحج سواء المغربي أو المصري [1]،فوصفوا عملية الانطلاق والخروج ،يذكر الدرعي و الورثيلاني :" ثم يسار بالمحمل على هيئته وتعبئته حتى ينزل ذلك اليوم بالعادلية، خارج باب النصر فيقيم هناك إلى اليوم الثالث والعشرين ....فتنصب الأسواق هناك ويخرج غالب الباعة المتسببين بحيث يوجد هناك ما يحتاج إليه السفر بأرخص من سعر مصر يقيمون هناك إلى آخر اليوم السابع والعشرين "[2]ومن هذا التوقف تتاح الفرصة إلى الحجاج للتسوق والتزود بكل ما يحتاجونه في طريقهم إلى الحجاز.

- **يـــــوم كسر النيـــــل:**

يذكر الرحالتين أن أهل مصر كانت لهم ثلاث أيام في السنة يحتفل بها فيذكر "وبالحملة فهذا اليوم عندهم من أعظم أيام السنة وثانيه إلا يوم كسر النيل عند وفائه "[3]

وهو من أبرز الأعياد التي كان يحتفل بها حسب التقويم القبطي مرتبطة بارتفاع النيل السنوي ، وفاء النيل حتى يصل النهر إلى أعلى مستوى له كان يحتفل بهذا الحدث أسبوعا بأكمله ،عادة بين الأول والحادي عشر من شهر مسرى القبطي (6-16 أغسطس)، وكانت ذروة المراسم تتمثل في فتح ترعه القاهرة حيث ينفتح السد الذي يغلق الترعة بواسطة أمير رفيع الرتبة مع الخاصة الحاكمة والجماهير الغفيرة وهي تتفرج وكان ذلك يتم مع ارتفاع المياه وكان الكثير من القوارب المزركشة بها أناس يعزفون على الآلات الموسيقية ،مستعدة لدخول الترعة بمجرد فتح السد ،وكانت تطلق ألعاب نارية والمدافع [4]،ويصف هذا الاحتفال الرحالة حسن الوزان "..تقام بالقاهرة حفلة كبرى في الأيام الأولى، لفيضان النيل ،يرتفع أثناءها ضجيج الصراخ والموسيقى،

[1]-مصطفى الغاشي: المرجع السابق ،ص507

[2]-الورثيلاني :المصدر السابق، ص ص 402-403

[3]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص281

[4]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص ص355 -356

...تأخذ كل أسرة زورقا تزينه بأرفع القماش، وتزوده بكمية وافرة من المؤن والحلويات وغيرها ...ويشارك السلطان نفسه في الاحتفال مع أمرائه الكبار وضباطه "[1]

- **الاحتفال بمولد النبوي:**

ومن الاحتفالات التي رصدها الرحالة المغاربة عند وجودهم بالديار المصرية ،ليلة المولد النبوي الذي كانت تقام له احتفالات وعادات وتقاليد خاصة ،[2] حيت يذكر الرحالة احمد بن ناصر الدرعي عند ضيافته من قبل نقيب الإشراف وكانت ليلة المولد النبوي الشريف "..ذهب بنا لداره واحضر كثرة الأطعمة وذلك ليلة المولد النبوي ،جلسنا عنده حتى صلينا العشاء ،وبالغ في الإطعام و التكرمة والإنعام .."[3]،وتقام مأدبة، ويتلون القران، ويقيمون الذكر ويفرحوا بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم .[4]

- **الاحتفال بالموالد الأولياء الصالحين :**

كان المصريين يحتفلون بالموالد حسب التقويم القمري الإسلامي، وتعد قائمة الأولياء الدين يحتفل بموالدهم طويلة وتشمل رجالا ونساء ،من فترات مختلفة ،وتعقد لأعضاء آل البيت والأولياء والمتصوفة والأمراء، وحتى بعض المشعوذين والمجانين اشتهروا بأنهم أولياء ،[5]ومن الاحتفالات في نذكر :الاحتفال بمولد إبراهيم الدسوقي ،وكانت تخرج إليه المرأة بمفردها، وفيه يقوم شيخ قلعة السلاح بالبرهانية بالإسكندرية بإخراج بعض أنواع الأسلحة التي تستخدم في المولد ،وكان يقرر اجر يومي لهذا الشيخ ،وتقام أناشيد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من

[1]-الحسن بن محمد الوزان الفاسي :المصدر السابق ،ص603

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص511

[3]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص284

[4]-ميكل ونتر : المرجع السابق،ص268

[5]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص ص268 -269

طائفة المداحين[1]،وذكر هذا الرحالتين في قولهم عند زيارتهم لقبر الإمام الشافعي :"ويتخذ عند قبره كل ليلة سبت مولد ،يجتمع فيه ناس كثيرون ،يضيق بهم المسجد وأفنيته ،مابين فقراء وأمراء ورجال ونساء ،ويبتون طول الليل بين ذكر بجماعة ،وقراءة قران ،وصلاة لا يفترون إلا طلوع الفجر ،وذلك دأبهم أبدا في كل ليلة سبت ،ولا يخلو ذلك المجمع من جماعة من الصالحين "[2].

✓ الوضع الصحي :

يذكر الرحالة المغاربة الدين زاروا مصر خلال القرن 18م،وخاصة الرحالة احمد بن ناصر الدرعي ان مصر في هده الفترة كان ينتشر بها مرض الطاعون، وهو من الأوبئة التي تظهر كل بضع سنوات ،ومن الأوبئة كذلك التي كانت منتشرة في هذه الفترة، وباء وصل من الهند عن طريق اليمن ومكة ،ولم يكن قاتلا وأمكن علاجه على ما يقال ،بأكل السكر والبرتقال المر ،وبالنسبة لوباء الطاعون فكثيرا ما يعرف بنعت خاص ،يشير بشكل ما إلى طبيعته وظروفه ،مثل الإثيوبي أو الأصفر ،أو الرهيب ،أو مرض النبلاء والأطفال، تأكد الآراء ان الضحايا كانوا أناسا تعدوا سن الستين ،وكان الدعاء هو وسيلة الأهالي المعتادة لمواجهة الطاعون ،وكان ثمة مكان مفضل بصفة خاصة للدعاء ،وهو مسجد ألجيوشي في جبل المقطم وراء القلعة ،بعتقداهم ان الدعوات المرفوعة هناك يمكن الاستجابة لها ،ولم تكن هناك إجراءات عملية تتخذ في هدا الصدد[3]،وقد ذكر هدا الرحالة احمد بن ناصر الدرعي عند رجوعه من الحج قائلا :"..على أنها قلما تخلو من مرض وموت ،وقد كنا وجدنا بها في رجعنا من الحرمين الشريفين عام سبعة

[1]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم: المرجع السابق ،ص413

[2]-احمدبن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص284

[3]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص344

وتسعين ،وباء شنيعا وموتا ذريعا مات به ،جملة وافرة ،من أصحابنا "[1]،ويذكر الرحالتين نقلا عن العياشي "ان الوباء وقع بمصر وكثر الموت ،حتى كان يدفن في اليوم الواحد أربعون ألفا ،فهم الباشا وأتباعه بالخروج من مصر والفرار ،لما شاهد من كثرة الموت .."[2]

III–العمران والمعالم الأثرية في مصر من خلال الرحالة :

بالنسبة للعمران والمدن بمصر ،فغالبا ما تحدث الرحالة المغاربة عن البعض العموميات ،وبالرغم من أهمية الآثار بمصر ،فان الرحلات لم تقدم الكثير في وصف معالمها الأثرية، باستثناء ما ذكروه فيما يخص بعض الآثار بالإسكندرية والقاهرة ،وغالبا ما كان الرحالة يلجؤون إلى الحس الديني أو العاطفة الدينية ،عند الحديث عن هذه المآثر [3]،ويوضح الرحالة احمد بن ناصر الدرعي عن الأهمية العمرانية لمصر في قوله :"بحيث لا توجد بلد أوسع مزارع ،وأكثر خصبا ،مع اتصال العمارة نحو الشهر من هذه " [4]،ويعجب الرحالة بالفن المعماري في مصر حيت يذكر في حديثهم في هدا الجانب عن الرحالة الورثيلاني "وكذا عجائب ما فيها من البنيان ..وكذا خارج المدينة ،ففيه من القصور والغرف وصهاريج من الماء وكذا ما في داخلها من الحمامات والأفران ،..وعلو أسوارها ،وتزيينها بالنحاس والذهب والفضة ،فبعض الديار ان كان احد في طرفها والأخر في الطرف الأخر لا يسمع كلامه "[5]

[1]–احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص263

[2]–الورثيلاني :المصدر السابق ،ص377.....وينظر الى احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص263

[3]–مصطفى الغاشي: المرجع السابق ،ص529

[4]–احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص 257

[5]–الورثيلاني :المصدر السابق ،ص472

✓ **المساجد:**

يذكر الرحالة بعض المساجد في مصر ،كما يتضح من حديثهم اهتمام أهل مصر بعمارة المساجد ،والتفنن في بناها وإصلاحها ،وهو ما يفسر محافظتها على جماله ورونقها ، وهذا كما يعتبر الرحالة عكس أهل المغرب الذين لا يهتمون بالمساجد والعمران [1] ،وفي حديت الرحالة احمد بن ناصر الدرعي عند وصفه لمسجد السلطان حسن في القاهرة والذي يعتبر من المعالم الأثرية في مصر الواقع في قلعة صلاح الدين ،والتي تعتبر من أروع الآثار الإسلامية [2]، حيت يذكر الرحالة :"..مسجد السلطان حسن هو مسجد لا تأني له له في مصر ولا في غيرها في البلاد ، في فخامة البناء ،ونباهته وارتفاعه وإحكامه ،واتساع حناياه وطول أعمدته الرخامية ،وسعة أبوابه ،كأنه جبال منحوتة تصفق الرياح في أيام الصيف بأبوابه ،كما تفعل في شواهق الجبال "ويضيف في وصفه للمسجد "وفي احد أبوابه سارية رخامية "[3]،وقيل أنها من إيوان كسرى "وفيها نقوش عجيبة "ونقلا عن المقريزي يذكر الرحالة :" لا يعرف ببلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذه المدرسة في كبر قالبها وحسن هندستها وضخامة شكلها "[4]،وكذلك المسجد الجامع الذي ذكره الرحالة الورثيلاني عن عودته من الحجاز قائلا:"..وكذا المسجد الجامع الذي بناه عمرو بن العاص [5]..وجامع بن طولون [6].."

---

[1]-مصطفى الغاشي : المرجع السابق ،ص520

[2]-نوري الجراح واخرون :المرجع السابق ،ص282

[3]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص282

[4]-نفسه ،ص282

[5]**-جامع عمرو بن العاص** :هو اول مسجد في مصر وافريقيا وهو الرابع في الاسلام ،اسسه الفاتح الكبير عمر بن العاص بعد فتح مصر سنة 641م .....ينظر الى حنان عبد الفتاح مطاوع :**مدخل للآثار الإسلامية في مصر والعالم الاسلامي** ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الاسكندرية ،ط1 ،2010م ،ص152

[6]**-جامع بن طولون** :اقامه احمد بن طولون ،مؤسس الدولة الفاطمية 263هـ ،وانفق في بنائه 120 ألف دينار ،وهو ثالث جامع انشأ بمصر بعد جامع عمرو بن العاص ...ينظر الى حنان عبد الفتاح : المرجع السابق،ص130

✓ **المدن:**

من بين المدن التي ذكرها الرحالة الورثيلاني واحمد بن ناصر الدرعي ،مدينة نبابة حيت اقتصر وصفهم لها كالتالي :"وبلغنا نبابة ضحى وهي مدينة على ساحل النيل لها أسواق حسنة و وكائل ومساجد على هيئة ما في القاهرة ،وهي في الجانب الغربي في مقابلة مدينة بولاق بالجانب الشرقي "[1].وعن الورثيلاني "فان عجائب مصر لا يسعها ديوان ،وهو إننا ارتحلنا من احواز بولاق فنزلنا انبابة .."[2]فعن مدينة القاهرة يذكر الرحالة حسن الوزان "بأنها القاهرة الكبرى الباهرة ،اكبر مدن العالم وأكثرها رونقا وبهاء "[3]،شيدها جوهر الصقلي وهي محاطة بأسوار كبيرة وبها العديد من الأبواب ،فمنها باب النصر ويقع نحو الشرق وباب زويلة في اتجاه النيل وباب الفتوح ،وتمتاز مدينة القاهرة بكثرة محلاتها ،ومختلف البضائع والجنسيات المخلفة من التجار [4]،ومن بين المدن التي ذكرها الرحالة مدينة بولاق وميناءها ،حيت تعتبر بولاق مرسى القاهرة وبوابتها فلابد من المرور بها قبل دخول مدينة القاهرة لدفع الضريبة عن البضائع[5] ،وفي هذا يذكر احمد بن ناصر الدرعي :"ولما قطعنا ونزلنا مرسى بولاق وجمعنا اتاثنا وأمتعتنا التي عبر بها ..."[6]،وعن مدينة دمياط يذكر الرحالة العياشي "وهي مدينة كبيرة ممتدة على ساحل النيل ذات مساجد كثيرة وأسواق حافلة وخانقات عامرة ومرسى عجيبة ..."[7]

[1]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص260

[2]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص869

[3]-الحسن الوزان :المصدر السابق ،ص 123

[4]-الهام محمد علي دهني:المرجع السابق ،ص ص102-106

[5]-نفسه :ص107

[6]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص261

[7] -عبد الله بن محمد العياشي :المصدر السابق ،ص470 -

✓ **الإسكندرية :**

وفي حديث الرحالة في الجانب العمراني، ركزوا اكتر على مدينة الإسكندرية ،ودالك بعد العودة من الحجاز،فكانت الإسكندرية وعجائبها محط اهتمام الرحالة المغاربة ،فنقلوا صورتها على مر العصور ،واصفين تفاصيل تحولاتها بدقة متناهية ،فلم يتركوا شاده ولا فاذة إلا قاسوها شبرا شبرا ،وذرعوها طولا وعرضا وسمكا [1]، وذلك في وقفة طويلة ،ووصفوا الآثار الموجودة بها معتمدين على ما ذكره السيوطي ،دون ان يتعدى إلى مستوى الوصف الدقيق والمعاينة المباشرة ،باستثناء حديثهم عن عمود السواري بالإسكندرية[2]، حيت يذكر الرحالة نقلا عن السيوطي تاريخ بناء الإسكندرية ودخول عمرو بن العاص وقوله عنها :"كان أول شان الإسكندرية ان فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس ،وكان أول من عمرها وبنى بها ،فلم تزل على بنائه ومصانعه.." وظهور سليمان بن داود حيت اتخذ بها وبنى فيها مسجدا وملكها ذا القرنين ...الخ، حيت يذكر الرحالة العياشي عن الإسكندرية "..ومدينة الإسكندرية من أمهات المدن المذكورة في الدنيا وهي دار مملكة الديار المصرية قبل الإسلام.."[3]

✓ **منارة الإسكندرية** :يذكر الرحالة نقلا عن السيوطي "ان الذي بنا منارة الإسكندرية قلبطرة الملكة ...ويقال ان الذي بناها شداد بن عاد وبها مساجد خمسة مقدسة .."[4]،ويذكر المسعودي في ما يخص من بناها :"فإما منارة الإسكندرية فذهب الأكثر من المصريين و الاسكندريين ..بإخبار بلدهم :إلى ان لاسكندر بن فليبس المقدوني هو الذي بناها على حسب ما قدمنا في بناء المدينة "ويضيف المسعودي "ومنهم من رأى

[1]-نوري الجراح وآخرون :المرجع السابق ،ص246

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص530

[3]عبد الله بن محمد العياشي :المصدر السابق ،ص477 -

[4]-احمد بن ناصر الدرعي : المصدر السابق ،ص ص615 -616

دلوكة الملكة هي التي بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو في بلدهم ومنهم من راى ان العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها "[1]،وفي وصف الرحالة منارة الإسكندرية يذكر الرحالتين احمد بن ناصر الدرعي الورثيلاني ،نقلا عن المسعودي :"كانت في وسط الإسكندرية تعد من بنيان العالم العجيب ....طولها في الوقت هذا وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ،مائتان وثلاثون ذراع "،وتعتبر المنارة من عجائب مباني مصر حسب الرحالة ونقلا عن صاحب مناهج الفكر "منارة الإسكندرية وهي مبنية بحجارة مهندسة مطلية بالرصاص على قناطر من ارج والقناطر على ظهر اسطوانات من نحاس وفيها نحو ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض..."ويضيف الرحالة في الوصف "يقال ان طولها كان ألف ذراع وكان في أعلاها تماثيل من نحاس ،منها تمثال قد أشار بسبابة يده اليمنى نحو الشمس "[2]

عمود السواري :من عجائب الإسكندرية كذلك عمود السواري ،حيت وصفه الرحالة في قولهم "ومن عجائب الإسكندرية عمود السواري ،ليس في الدنيا مثله ...وقد رأيت هذا العمود لما دخلت الإسكندرية في رحلتي ،ودور قاعدته ثمانية وثمانون شبرا ،ومن المتواتر عن آهل الإسكندرية ان من حاذاه عن قرب وغمض عينيه لا يصيبه بل يميل عنه ...وقد جربت ذلك مرارا فلم اقدر ان أصيب"ويصف كذلك في الإسكندرية الملسلتان وهما جبلان قائمان على شرطات من نحاس في أركانها ،كل ركن سرطان فلو اراد احد ان يدخل تحتها حتى يعبرها من جانبها الأخر [3]"ومن عجائبها: عمود الاعماد ،وهما عمودان ملتقيان وراء كل عمود منهما جبل حصى كحصى الجمار "ومن عجائبها كذلك القبة الخضراء ومنبه عقبة وحصن فارس وكنيسة أسفل الأرض "ثم هي مدينة على مدينة وليس على وجه الأرض مثلها ويقال أنها ارم ذات

[1]-المسعودي :المصدر السابق، ص280

[2]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص817

[3]-نفسه ،ص ص816-824

العماد سميت بذلك لا عمدتها لا يرى مثلها طولا وعرضا "[1]وقد أنهى الرحالة حديثهم عن وصفهم للإسكندرية "وما ذكر في الإسكندرية من الغرائب والأبنية والعجائب لم يبق بها ألان سوى عمود السواري وغيره اجتاحه الدهر واستأصله وأفناه ولم يبق لها من الآثار ألا ما يذكر في الأخبار ،والدوام والبقاء لله الواحد القهار "[2]،والإشارة في حديت احمد بن ناصر الدرعي و الورثيلاني إلى الآثار القديمة لمدينة الإسكندرية التي اختلط اغلبها بالروايات والأساطير ..وغيرها[3]

✓ **المقابر:**

وفي هدا الجانب يتحدث الرحالة عن اكبر المقابر الموجودة في مصر ،وهما القرافتين، الكبرى والصغرى كإشارات عمرانية تفصيلية ،وإشارتهم إلى اختصاص بعض الأحياء بفئة معينة من السكان دون غيرهم ومن ذلك يصف حارة المجاورين [4]،وعن مقبرة القرافة يذكر الرحالة " وقد ورد في الآثار أنها بقعة من الجنة "[5] وعن مقبرة تربة المجاورين وسبب التسمية "..تربة المجاورين لأنه قريب من الجامع وبه يدفن غالب أهله والمجاورين له بل الأماكن القريبة من الجامع كلها تسمى حارة المجاورين "ويصف الرحالة قبر السلطان قايتباي "..وقبره بناء عظيم وبإزائه مسجد متقن ومحلات لسكنى الفقراء ولقيم القبر وهو لا يخلو من عمارة "ويضيف الرحالة في وصف هذا القبر"وعند رأس القبر حجر مبني عليه بناء حسن فيه اثر قدمين ،شاع عند الناس أنها قدما النبي صلى الله عليه وسلم ،وهناك حجر أخر فيه قدم أخر يقال أنها قدم الخليل "[6]

---

[1]-نفسه ،ص824

[2]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص624.....ينظر الى الورثيلاني :ص824

[3]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق،ص531

[4]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص529

[5]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص416

[6]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص300

✓ **مصر القديمة وأثارها :**

من المعالم الأثرية التي أعجب بها الرحالة الورثيلاني مصر القديمة وما فيها ،حيث تتبع تاريخها من عهد فرعون إلى الفتح الإسلامي والعهد العباسي والأموي وتاريخ الخلفاء الدين حكموا مصر في هذه العهود ،تعتبر مصر من عجائب الدنيا الثلاثون "ان عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة ..والعشرون الباقية بمصر "ويضيف الورثيلاني "فان عجائب مصر لا يسعها ديوان .."

✓ **الأهرامات :**

وهي من الآثار التي لفت انتباه الرحالة الورثيلاني ،وتعتبر من عجائب الدنيا الثلاثون حسب الرحالة ،حيث يصفها الورثيلاني "..وهي الهرمان وهما أطول بناء وأعجبه ليس على الأرض بناء أطول منهما وإذا رايتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان "[1]، توجد هذه الاهرمات في صحراء مصر، وهي مدافن لملوك مصر العظماء [2]كما يوجد للهرمين صنم أبا الهول يقول الرحالة "وصنم الهرمين وهو بلهوية ويقال :بلهنيت وتسميته العامة أبا الهول ".أما فيما يخص من بناها هو سوريد بن سهلوق ملك مصر حسب ما ذكره الرحالة حيت وجدت كتابة تدل على ذلك "وعليها كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية أنا سوريد الملك بنيت الأهرام في وقت كذا وكذا واتممت بناءها في ست سنين "[3]،ويصفها محمد سحنون الراشدي أهرمات مصر "هي أعجب مباني الدنيا اتقانا وعلوا ،بنيت بالصخور العظام تثقب الصخرة ويدخل فيها عمود من حديد ويثقبون الأخرى وينزلونها عليها ويذيبون المعادن ويفرغونها في منافسها بصنعة هندسية ،وارتفاع كل هرم منها في الهواء مائة ذراع بالمالكي "[4]،الهرم الأكبر هرم خوفو وهو كتلة

[1]- الورثيلاني :المصدر السابق ،ص835

[2]-الهام محمد علي ذهني :المرجع السابق ،ص111

[3]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص836

[4]-احمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي :**الثغر الجماني في ابتسام الثغر ألوهراني** ،تح :المهدي بوعبدلي ، مج 7،ط1 ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2013م،ص435

كبيرة ،ضخمة من الأحجار بني فوق ارض صلبة، أما هرم أبا الهول ويذكر احد الرحالة الفرنسيين تيفيه[1]:"لا مجال للمقارنة بين أبي الهول والأهرام "[2]

استخلاص:

_كانت الحياة السياسية في مصر من خلال الرحالة، تتميز بالسيطرة العثمانية على جميع المؤسسات الإدارية والعسكرية، وحالة الفوضى وعدم الاستقرار وانعدام الأمن ،و الظلم استبداد حكامها ،الذي فاق ظلمهم إلى الأجانب والحجاج المغاربة ،وفي هذه الحالة الداخلية وعدم اهتمام السلاطين العثمانيين بأمور الرعية ،وحركات بعض الحكام المصريين في أواخر القرن 18م ،جعلت مصر محل أطماع الدول الأوربية وخاصة فرنسا التي وجهت حملة بقيادة نابليون بونابرت سنة 1798م .

_ أما الصورة الاجتماعي لمصر ،التي أنتجها الرحالة المغاربة ،ان المجتمع المصري كان يتميز بظاهرة الطبقية والتفاوت ،كما حرص الرحالة على نقل بعض عادات المجتمع المصري واحتفالاته الدينية الروحية، وبعض المظاهر السلبية في المجتمع المصرية فيما يخص سلوكيات بعض الفلاحين وظاهرة اللصوصية ،وغش الباعة وغدرهم ،أما الوضع الصحي فتميزت بسلامة من الأمراض مقارنة بالسنوات الماضية .

_أما فيما ما يخص الجانب المعماري فتميزت مصر بكثرة بنايتها ومدنها ومساجدها ومدارسها ،ومما يوضحها الرحالة اهتمام أهل مصر بعمارة المساجد والتفنن في بناءها وإصلاحها ،إضافة إلى المعالم الأثرية الموجودة فيها ،خاصة القاهرة والاسكندرية ،والتاريخ العريق لهذه المدن وعجائبها

[1]–**اندريه تيفيه**:رحالة وجغرافي فرنسي خلال القرن 16م،له كتابات جغرافية على الشرق ومصر ،زار مصر سنة 1550م،من كتبه جغرافية العالم وكتاب عن الملوك .....ينظر الى الهام محمد علي ذهني :المرجع السابق ،ص ص56-57

[2]–نفسه :ص111

الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية والعلمية والدنية لمصر

في لبقرن 18م من خلال الرحالة المغاربة

بالرغم من أهمية موقع مصر بالنسبة للرحالة المغاربة، فإنهم لم يقدموا معلومات كافية، وفي كثير من الأحيان لا تسمح بتكوين صورة شاملة على أحوال البلد السياسية و الاجتماعية والاقتصادية، وخاصة ما يخص الوضع الاقتصادي والسياسي، فادا كان الجانب الديني والثقافي والاجتماعي واضح بصورة كبيرة ،فكل ما نجده عند الرحالة بعض الإشارات الاقتصادية أو التجارية غالبا ما تكون مرتبطة بظروف ركب الحاج عند توقفه في بعض القرى أو المدن المصرية، وهو مرتبط بشخصية الرحالة و أغراض الرحلة في حد ذاتها وهو طلب العلم وأداء فريضة الحج فبطبيعة الحال ما يجعل كل ما هو مادي أمرا ثانويا وفي كثير من الأحيان غير ذي قيمة

1-الأوضاع الاقتصادية لمصر خلال القرن 18م من خلال الرحالتين الورثيلاني والدرعي

✓ -الــزراعـــة :

كان النشاط ألفلاحي يشكل القطاع الحيوي في مصر ،ذلك أن الاعتماد على الأرض وما تنتجه من غلاة شكل أهم الأنشطة المزاولة به، هذا وبالإضافة إلى تربية الماشية[1]، وتعد الزراعة هي الأساس الذي تبلورت حوله الحضارة المصرية وهي بذلك تعد أهم مصادر الثروة في مصر ،مند أقدم عهود التاريخ[2]،ولأهمية الزراعة عند المصريين يذكر الرحالة نقلا عن العياشي :"حتى استفاض عند العمال الغسقة ان ثلاثة لا تقبل فيهم شفاعة شافع، فيعدون منهم من يريد ان يتخلى عن الزراعة والفلاحة قاتلهم الله أنى يوفكون " ،و كان لنهر النيل الدور الكبير في فلاحة مصر وهو ما يذكره الرحالة احمد بن ناصر الدرعي و الورثيلاني

[1]- مصطفى الغاشي : المرجع السابق، ص 519.

[2]- كمال حامد مغيث :المرجع السابق، ص 26.

نقلا عن العياشي :".... هو أشرف الأنهار الأربعة الخارجة من الجنة وأثار بركته ظاهرة بالعيان في مائة وترابه وقراء ومدائنه بحيث لا يوجد أوسع مزارع وأكثر خصبا ..."[1]

ويصف كذلك الرحالتين وادي الرهبان في قولهم " ووادي الرهبان واد كبير وذو رمل وفيه فسلان النخل وماؤه كثير وبه من أنواع الوحش والبقر والنعام والظباء والمها ..." ويصف الرحالة الدرعي أرض مصر وخصبتها " ووجدنا أرض مصر مخصبة أحدق الزرع والبرسيم وسائر أنواع المزارع بقرى الريف فصارت كأنها فدان واحد"[2].

كان نظام الالتزام[3] قائم في مصر الذي أقامه مقصود باشا سنة 1658م ،حيث تنقطع صلة الدولة بالقرى التي تدخل في إطار هذا الالتزام، ويصبح الملتزم نائبا عن الروزنامة في إدارة أمور الزراعة في تلك القرى وجباية أموالها، وكانت الأراضي مقسمة إلى أنواع منها: أراضي الالتزام، وتنقسم هذه الأراضي إلى أرض الفلاحة، أو أرض الأثر ،وتسمى في الصعيد أرض المساحة، وهي أرض يزرعها الفلاحون عاما بعد عام طالما ما يؤدون ما عليها من ضرائب ،والقسم الثاني من أراضي الالتزام هي الأوسية وتمنح هذه الأراضي للملتزمين مقابل قيامهم بأعباء الالتزام وعلى رأسها جمع الضرائب، والنوع الثاني من الأراضي ،أراضي الرزق والأوقاف وهي موقوفة على مكة والمدينة، وعلى المساجد والأضرحة وأعمال البر والإحسان ،وكانت هذه الأراضي معفاة من الضرائب بالإضافة إلى أراضي الإطلاق وهذه الأراضي مخصصة لمرعى خيل الباشا والبكوات والمماليك فهي تابعة للحكومة .[4]

---

[1]- الورثيلاني :المصدر السابق ص371 .

[2]. احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص255.

[3] **–نظام الالتزام** :وهو النظام الذي استقرت بمقتضاه عملية جباية الضرائب ،سواء في القرى –أي في الزراعة والأرض الزراعية ،أو في المدن والتجارة والخدمات – لم يكن هذا النظام من ابتداع العثمانيين ،بل هو نظام اتبع في مصر منذ الفتح الإسلامي بدلا من نظام الإقطاع الذي ساد في مصر الرومانية ....ينظر إلى كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص45.

[4]-كامل حامد مغيث :المرجع السابق ،ص ص28-29.

ولكن في ظل الانحطاط السياسي والعلمي الذي رافقه انحطاط اجتماعي اقتصادي، وتناقص عدد السكان في أواخر العهد العثماني وبالتالي تناقص البقاع المزروعة في وادي النيل، حتى نقصت عن مليون فدان وبعض المليون، والأرض يومئذ ملك الحكومة وليس للناس إلا أن يتمتعوا بربحها ،وللحكومة جهة من ذلك الربح من مقابل حمايتها أو إصلاح شؤونها ،والفلاح عبدا يعمل بقوته ويشقى بعمله .فهو يلام إذا قعد به القنوط من العمل أو حمله الخوف من الفرار،[1] وتطرق الرحالتين إلى الظلم الذي يتلقاه الفلاحون من العساكر في قول الدرعي :" وأما رعيتها وفلاحتها فلا تسأل عما يلاقون من الجند من الظلم وما هم فيه من الإهانة والاحتقار: تضرب ظهورهم و تأخذ أموالهم ولا مشتكى لهم إلا الله ومن تجاسر منهم واشتكى ضعف عله العذاب الأليم "[2]وعلى الرغم من أهمية الزراعة سواء بالنسبة للسكان، من الفلاحين وغيرهم أو بالنسبة للدولة باعتبارها تمثل المصدر الرئيسي من مصادر الدخل القومي، فإنها لم تلق تشجيعا من الحكومة أو من المماليك ،حيث كانت الأراضي الزراعية تئن تحت وطأة كل أنواع الضرائب ،وكان الحكام واثقين من أنهم سيحصلون عن طريق القوة على كل ما يريدونه، بالإضافة إلى الاقتتال المستمر بين البيوت المملوكية وبين العربان ،ينشر الخراب في القرى التي ينهبها مهاجموها والمدافعون دونها على حد سواء [3]

✓ التجـارة:

وللإمكانيات المتوفرة على أرض مصر جعل منها قبلة للحركة التجارية من كل أنحاء العالم ،في تلك المرحلة وخاصة من طرف العالم الإسلامي[4]،ومع بداية القرن 18م شهدت حركة تجارية نشطة ،بحيث أن السوق المصرية أصبحت تمثل محورا للحركة التجارية بين بلدان المشرق العربي

[1]-جرجي زيدان ومحمد حرب : المرجع السابق ،ص296.

[2]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص257.

[3]-كمال حامد مغيث: المرجع السابق، ص31.

[4]- عبد القادر حليس :المرجع السابق ،ص125.

والمغرب العربي ،من ناحية وبلدان الشرق الأقصى وإفريقيا و أوربا من ناحية أخرى، وتضخم حجم الحركة التجارية استيرادا وتصديرا، وشهدت الثغور المصرية نشاطا تجاريا يختلف تماما عما شهدت في الفترات السابقة ،وازدادت التنظيمات التجارية في الأسواق المصرية[1]، التي كانت تتوفر بكثرة في مصر وهو ما يوضحه الرحالتين حيث يذكر الرحلة احمد بن ناصر الدرعي في هذا " ما رأيت مثل هذه البلدة في التجارة فأهلها كلهم تجار "ويصف شدة الزحام في الأسواق قائلا " ....والآخر كثرة الزحام في الأسواق فكلسوق دخلته تقول هذا أكثرها زحاما . فإذا خرجت من الآخر وجدته مثله أو أشد ..."[2]،ويضيف الورثيلاني "فان أرزاقها أكثر من خلقها ومع كثرة خلقها ان سد عليه الباب في الرزق يدور الأسواق والدكاكين والوكالات "[3]، ولعل ما يلفت النظر في تنشيط الحركة التجارية الدور الفعال الذي يقوم به ركب الحج المصري ،الذي يعتبر مؤسسة دينية سياسي تجارية، حيث وجد أنه يمثل سوق تجارية كبيرة وغريبة فهو عبارة عن مدينة متنقلة متكاملة طوال طريق الحج ذهابا وإيابا، حيث يحدثنا الرحالة الورثيلاني[4]عنها قائلا "إن أسواق الركب المصري كثيرة لا يمكن عدها إذ فيها كل خير مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وترغب فيه الناس إلا كان فيه سواء كان نازلا أو سائرا فإن من لم يصحبه ،زاد من طعام وشراب وعنده فلوس يشتري كل ما يحتاجه منه ..وإنما الرخاء فيه كثيرة ما يباع فيه من المطاعم والملابس والفواكه والخضر .."،وذكر الرحالة الأسواق التي كانت تقام أيام خروج الركب المصري "فتصب الأسواق هناك فيخرج غالب الباعة والمتسببين بحيث يوجد

[1]– عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم: فصول في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العهد العثماني ،المرجع السابق ،ص166.

[2]– احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص259....ينظر إلى الورثيلاني :المصدر السابق ،ص375.

[3]–الورثيلاني :المصدر السابق ،ص812.

[4].–عبد القادر حليس :المرجع السابق ،ص126.

هناك يحتاج للسفر بأرخص من سعر مصر .."[1]، ويشير الرحالة إلى الرخص في الأسعار في أسواق الركب قائلا .." كان الشراء أرخص بكثير والتقى الناس من رخص الأسعار في جميع البنادر[2] ما لم يخطر لهم على بال وكان أن بعد من المحال .."[3] وفي هذا الإطار تحدث الرحالتين عن سوق الرملة كإحدى أهم أسواق مصر ومن خلالها نقف على الأنشطة المزاولة بالأسواق المصرية[4]، حيث يشير الرحالتين إلى هذا السوق .." والرملة فضاء واسع خارج قلعة الجبل فيه تباع الإبل والخيل سائر الدواب وبها يوجد غالبا ما يحتاجه الحاج من الأثاث والأمتعة وتنصب به أيام الموسم أراضي متعددة لتدشين الفول يديرها الرجال بأيديهم مع كبرها وقد أعطوا قوة على ذلك، يطحن رجلان أرادب متعددة في يوم واحد فتكون بالرملة صبر من الفول المدششة، كل صبرة تزيد على المائة أردب ومن هناك يكيل غالب الحجاج فولهم ويعمرونه هناك من غرائرهم ويمكنونه للحمال ينفيذهبون به."[5]ويذكر الورثيلاني "وأما الأسواق والاخبية والأطعمة المختلفة الأواني من الذهب والنحاس والفضة والملابس ...مما لا يحصى كثرة يكاد العقل يحيل فناءها وذهابها .."[6]

وبالإضافة إلى التجارة التي تمارس في هذه السوق يتحدث الرحالة عن أنشطة أخرى ،ذات بعد اجتماعي أو ترفيهي أو حسب تعبيرا أحمد بن ناصر الدرعي[7]"وفي الرملة كثير من الخلق

---

[1]–الورثيلاني :المصدر السابق ،ص 403....وينظر إلى احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص302.

[2]–**البنادر** :جمع بندر وهو مرسى السفن في الميناء، مصطلح فارسي ،ويطلق الآن على البلد الكبير يتبعه بعض القرى ....ينظر الى احمد بن ناصر الدرعي :نفسه ،ص302.

[3]–نفسه ،ص401.

[4]– مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،519.

[5]– احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص282.

[6]–الورثيلاني :المصدر السابق ،ص ص803–804.

[7]– مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص520.

المعجبين يلعبون هناك في سائر الأيام كأنواع المشعوذين وأصحاب القرود ومن ضاهاهم من أصحاب اللعب بأنواع الحيوان كالدب والحمير والتيوس والكلاب .."[1]،ومن الأسواق الكبيرة في مصر سوق قصبة رضوان، وهي واسعة متخصصة للحرفيين في صناعة الجلود ،وكانت مدينة القاهرة من الحواضر التي لا مثيل لقوتها بين الحواضر العربية ،وكانت منطقة الوسط في القاهرة ، تقع على مساحة قدرها 58 هكتار ،وتضم 58سوقا ،منها ثلاث أسواق كبيرة مزدحمة ،وتحتكر أهم الأنشطة الاقتصادية لمدينة القاهرة ،وخاصة تجارة التوابل والبن والمنسوجات ،وخلال فترة 1776م -1798م كان 28.5%من التجار والحرفيين يمتلكون حوانيتهم الخاصة في تلك الأسواق ،[2]فكان العمل التجاري بالسوق المحلية المصرية نشط بدرجة كبيرة ،وانتشرت الوكالات التجارية المتخصصة بالمتاجرة في بعض السلع المستوردة ،عن طريق موانئ البحر الأحمر في كل أنحاء القاهرة، وأصبحت مصر مركزا لتصريف السلع التي ترد من الهند والشرق الأقصى واليمن والصومال إلى بلدان المغرب العربي وبلاد الشام وبعض بلدان الأوربية حيث ترتب على هذا النشاط كثير من التغييرات التي أصابت المجتمع المصري في القرن 18م وبخاصة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي.

وبحيث أن فئة التجار خال هذا القرن كونت فئة متميزة، لها نشاطها الاقتصادي الواسع ،كما اكتسبت مكانة اجتماعية متميزة ، جعلها في مقدمة الفئات الاجتماعية التي كانت تشكل المجتمع المصري[3]، وكانت البرجوازية التجارية يشتغلون بتوريد واستيراد الأقمشة والتوابل والعبيد، والأهم من ذلك اشتغالهم والأتراك ،ويمكن اعتبار هؤلاء التجار طبقة اجتماعية بالمعنى الحديث للكلمة ،إذ كانت ثرواته متصل أحيانا إلى مبلغ 15 بارة ،كما يتمتعون باستقلال حسب ما تسمح به ظروف ذلك الزمن ، فلم يخضعوا لإشراف المحتسب، وكان رئيسهم المنتخب الشهبندر دائما ثريا

[1]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص302.

[2]-اندريه ريمون :**المدن الكبرى في العصر العثماني** ،تر :لطيف فرج ،دار الفكر للدراسات والنشر ،القاهرة ،1991م ،ص ص ص183-186.

[3]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم: فصول في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي ،المرجع السابق ،ص ص135-136.

ذا نفوذ[1]، حيث تشكلت في القرن 18م،اسر تجارية بمثابة شركات تجارية كبيرة ،تقوم بعمليات الاستيراد والتصدير والتوزيع في نفس الوقت، وبعضهم هذه الأسر يسيطر على معظم الوكالات التجارية، التي كانت قائمة في القاهرة في ذلك الوقت ،كما كان لهذه الأسر وكلاء تجاريون في جميع موانئ البحر الأحمر، التي كانت تصل إليها السلع التجارية ،وترجع أصول هذه الأسر التجارية الكبيرة التي مارست نشاطا واسعا في البحر الأحمر خلال العصر العثماني، إلى أصول مغربية أو شامية كما تكونت شركات تجارية بين التجار ،من أصول مختلفة مما يذل على أن السوق المحلية المصرية نظرا لقربها من البحر الأحمر جدبت الكثير من أبناء البلدان العربية لممارسة نشاطهم التجاري فيه[2]، وبالنسبة للتجار المغاربة ومن خلال فحص لوثائق المحكمة الشرعية اتضح أنه لا تخلو وكالة من الوكالات التجارية والمهنية في كل من القاهرة والإسكندرية من وجود طائفة من التجار المغاربة، وأصحاب المهن الصناعية بل إن كثيرا من هذه الوكالات سيطر عليها المغاربة سيطرة كاملة أفرادا أو جماعات، وأبرز الوكالات وكالة الزيت ببولاق القاهرة ،فقد كانت هذه الوكالة بمثابة منظمة لتصنيع الزيت وتجارته، ومن السلع التي اشتملت عليها السوق المصرية ، سلع مغربية جلبت من بلدان المغرب الغربي ،وسلع شرقية عربية شامية أو حجازية أو يمنية أو عراقية، لتباع في مصر وتصدر إلى أوربا، وكانت السلع المغربية ذات أهمية في حياة المجتمع المصري آنذاك، فهي سلع استهلاكية وكلها من الضروريات وخاصة تجارة البن والأقمشة ،حيث أقبل المجتمع المصري بصورة واسعة ،نتيجة لظهور التمايز الاجتماعي وخاصة في القرن 18 م، حيث بدأت هذه الفئات تفاخر بعضها البعض بلباس وشراب القهوة في دور ضيافتها، وهكذا فإن التجار المغاربة لهم دور كبير في تنشيط الاقتصاد المصري في القرن 18م ،حيث تعددت نشاطاتهم وأصبحت البيوت التجارية المغربية الكبيرة بمثابة مصارف مالية كبرى[3] .

[1]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص360.

[2]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : فصول في تاريخ مصر...،المرجع السابق ،ص 137.

[3]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني ،المرجع السابق ،ص ص 43-79.

ويقدر عدد المشتغلين بالإنتاج والتجارة في القاهرة خلال القرنين 17 و18م حسب ما يقدمه الرحالة التركي أوليا شلبي الذي زار مصر نحو عام 1660م ،وما جاء بكتاب "وصف مصر " الذي وضعه علماء الحملة الفرنسية عام 1797م، إلى هذه النسب حوالي 37% يشتغلون بالإنتاج الحرفي و 33 %بالتجارة و 20% أعمال الخدمية و 6% من الأنشطة الترفيهية، وكان أهم المشتغلين بالإنتاج الحرفي من حيث العدد والمستوى المادي المشتغلون بإنتاج المنسوجات ،لأن المنسوجات كانت تمثل خمس الصادرات ،وكان تجار القاهرة طوال معظم عقود القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر حققوا ثروات من أرباح تلك التجارة .[1]

وقد ترتب على النشاط التجاري إزهار الرأسمالية التجارية المصرية ، التي أخذت تستثمر جزءا من رأسمالها في مجالات أخرى غير التجارة ، مثل تمويل الصناعات لحسابها والتزام الأراضي الزراعية، ورهنها وبناء العقارات وتأجيرها، وخاصة في الأحياء التي يتركز فيها نشاطها ، إلى جانب إنشائها القصور الخاصة في الأحياء التي اشتهرت بسكن الطبقة الارستقراطية الحاكمة مثل أحياء بركة.[2]

وهكذا ترى أنه قد أتيح لمصر في العهد العثماني فرصة ثمينة لازدهار رأسمالية تجارية كبيرة، تمكنت من ثروات هائلة، فعلى الرغم من الصعوبات التي واجهت الصناعة والزراعة ،وافتقاد الصناعة إلى وجود المصانع الضخمة التي يمكن من تكوين رأس مال صناعي بسبب إنتاجها الضخم ،وبسبب اتجاه الزراعة إلى سد الحاجيات الاستهلاكية للسكان ،فإن التجارة قد ازدهرت اعتمادا على موقع مصر الإستراتيجي، في ملتقى ثلاث قارات وفي ملتقى الطرق التجارية المهمة بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب ،وخير دليل على ازدهار النشاط التجاري الذي شهدنه مصر خلال العصر

[1] – نللي حنا :**ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (ق16م –ق 18م)** ، تر :رءوف عباس ، د ط ،الدار المصرية اللبنانية ،مصر ،2004م ،ص 25.

[2]–عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم :**فصول في تاريخ** ... ،المرجع السابق ،ص ص142 –143.

العثماني عن طريق البحر الأحمر ، الدخل الذي تدره الجمارك المصرية من موانئها على هذا البحر كما ترصده سجلات الجمارك في ذلك العصر.[1]

✓ العملة:

كانت العملة في مصر في أواسط العصر العثماني هي التي لا أنصاف والبند وقي ،وفي أخر القرن الثاني عشر هجري كان الدينار يساوي 110 أنصاف ،والبندقى 22نصفا والبتو400 نصف ،فكانت الأنصاف تقل قيمتها بتوالي الأعوام ،مع بقاء قيمة الذهب على حالها تقريبا ،فالدينار كان يساوي سنة 193هـ 11انصاف مثلا ،فصار يبدل بعد عشر سنين بنحو 150نصفا ،وهكذا كانت أسعار الأشياء التي تفد بالأنصاف ترتفع كل سنة عما قبلها ،ارتفاعا تدريجيا ولم يكن ارتفاعها من توفر الثروة كما حدث لهذا العهد ،وإنما كان تلاعب رجال الحكومة بالنقود الفضية وغشها فإذا رخصت قلت النقود وظهرت المبيعات الغالية [2]

✓ الضـــرائب:

وعلى عادة جميع الولايات العثمانية فقد اعتمد ولاة مصر وأحكامها على الضرائب، كمداخيل أساسية ،إلا أن استبدادهم دفعهم إلى فرص الضرائب ،غالبا ما كانت التجارة تثقل كاهن الفلاحين والتجار المصريين، وكانت نتيجة الفوضى السياسية التي كانت تعرف فيها مصر ولم يكن الحجاج يستثنون منها.[3]

وقد ورثت الإدارة العثمانية هذا النظام الضرائبي المليء بالأعباء، على سكان البلاد ما بين مجامعة ومشاهرة أي تجمع كل جمعة أو كل شهر وسنوية ومكوس بحرية وغيرها ،من المسميات التي فرضها المماليك ، ولم يكن العثمانيون أفضل حالا من سابقهم، فأستمر التفنن في ابتكار وإضافة

[1]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص4.

[2]- جرجي زيدان :مصر العثمانية ،المرجع السابق ،ص150.

[3]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص520.

العديد من أنواع الضرائب ،منها ما كان يفرض عن طريق الموظفين[1]، وكانت مصر مزرعة لجباية الضرائب لصالح الوالي الذي يدفع منها الخراج والجزية للسلطان العثماني[2]، فالباب العالي يفضل تحصيل الضرائب شانها في ذلك الإيرادات الناجمة عن استغلال مختلف الممتلكات ،عن طريق عقد التزام ،ويتعين ملتزم لضرائب يحمل اسم عامل ،عليه أثبات قدرته على الدفع عن طريق ضامن او كفيل أو جماعة متكلفين ،يجازفون بدفع حريتهم ثمنا لأي تهاون من جانب الملتزم ،كما يشرف على حسابات الالتزام احد القضاة والى جانبه مفتش المالية للإشراف على نشاط الالتزام [3]،وكانت الضرائب متوالية لا يسأل ضاربها ولا ينجو أحدا من دفعها مرة أو غير راضيا أو غاضبا[4]، وقد كان من الممكن أن يتيح الاستقرار للاقتصاد المصري آنذاك انطلاقا نحو النمو ، وسد حاجات السكان، ولكن نظام الضرائب والالتزام قد حالا دون تحقيق ذلك ،وقد حاولت الدولة العثمانية أن تتولى بنفسها جمع الضرائب من الفلاحين مباشرة عن طريق نظام الأمانات لكنها استبدلته سنة 1658م بنظام الالتزام.

وبمقتضى هذا النظام أعطيت الأرض للملتزمين يباشرون زراعتها، ويدفعون الضرائب المقررة عليها الحكومة مقدما ،ثم يتولون جبايتها من الفلاحين فيما بعد ، ومع ضعف سلطة آل عثمان في القرن 18مغدا الملتزمون الملاك الحقيقيين لأراضي التزاماتهم، غير أنهم لم يستطيعوا أن يكتسبوا من الناحية القانونية، حق ملكية الرقبة الذي ظل بيد العثمانيين ،و إل جانب هذه الضرائب كان هناك الضرائب التي تربط بمناسبات معينة كضريبة " الوجب " ،التي كانت تلزم عند وصول الملتزم أو أحد أعوانه إلى القرية ،بالإضافة إلى ضرائب الحماية وهي نوع من الاتوات، التي يفرضها العسكر على أفراد أو مجموعات مختارة من بين فئات معينة، تفرض عادة على مجموعات من

[1]–ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص149.

[2]–ناصر الأنصاري :المرجع السابق ،ص207.

[3]–روبير مانتران :**تاريخ الدولة العثمانية** ، تر:بشير السباعي ،ط1 ،دار الفكر للدراسات والنشر ،القاهرة ،1993م ،ص177.

[4]–جرجي زيدان : ،المرجع السابق ،ص148.

التجار والحرفيين وقد خضعت لهذا النوع من الضرائب جميع الأنشطة التجارية المختلفة كصيد السمك من النيل أو من بحيرات الدلتا وكذلك أغلب الوكالات التجارية الكبيرة منها والصغيرة، وحتى الحجاج كانوا يدفعون المكوس وهو نوعا من الضرائب، خصوصا الديار المصرية وهو ما كان يثير غضبهم واستنكارهم .[1]

ومن الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي كانت تزاول بمصر وسجلها الرحالة المغاربة في مواقع كثيرة نظرا لارتباطها بموسم الحج : كراء البعير للارتحال[2] فيذكر الورثيلاني في هذا . " في التجهيز للسفر باتخاذ الزاد وشراء الإبل أو كرائها ..ويقدم الحمالون من الصعيد والأرياف طالبين الكراء و اختلفت رغبات الناس في ذلك فمن مائل للكراء ومن مائل للتدرب بإبله."[3]

ومما لاشك منه فإن موسم الحج بمثابة مناسبة تجارية مهمة، من خلال الركب الذي كان يعبر مصر سواء عن الطريق البري أو البحري ، إذ كانت تقام أسواق كبيرة ومتعددة من أجل توفير ما يحتاج إليه الحجاج في طريقهم إلى الحج، من مواد غذائية أو كراء الجمال، والبهائم والكلأ ، إلا أن ظاهرة المكوس أو الضرائب شكلت أهم مضايقة للحجاج فشهادتهم بهذا الخصوص تعكس ظاهرة الاستبداد والاستضعاف، اللذين اجتاحا مصر خلال الفترة الحدية خاصة القرن 17و18م[4].

[1]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص ص45-51.

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص 520.

[3]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص 419.

[4]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص 521.

II-الأوضاع العلمية والدينية لمصر خلال القرن 18م من خلال الرحالتين احمد بن ناصر الدرعي الورثيلاني

1-الحياة العلمية في مصر خلال القرن 18 م:

تعتبر مصر من أهم المراكز في الشرق العثماني خلال الفترة الحديثة، ويرجع ذلك إلى ما كانت تحتضنه من مؤسسات تعليمية كبرى : كالمساجد والمدارس، بالإضافة إلى علماء وشيوخ كبار و لذلك كان يقصدها المغاربة وغيرهم، لتكوين والتزود بالعلم خصوصا في جامع الأزهر، حيث خصص رواقاسمي " برواق المغاربة"، وهذا ما جعل الرحالة المغاربة يحرصون على زيارة مصر، ولقاء علمائها والجلوس إليهم ،في جامع الأزهر للأخذ عنهم ،وبناء على ذلك فإن مادونه الرحالة المغاربة ،من أخبار ولقاءات مع علماء مصر ومناظراتهم العلمية، وأوصاف للمعالم الثقافية والدينية، يشكل مادة مصدرية لا يمكن الاستغناء عنها ،عند دراسة الأحوال الثقافية والدينية لمصر في هذه الفترة[1].فكانت رحلات المغاربة في مجملها تتوخى زيارة القدس الشريف ،والتبرك بقبر الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن التطواف في الديار المصرية، كان فرض عين على الرحالتين الراغبين في التزود من علماء الأزهر الشريف ولقاء المشايخ ومحاورتهم، ونيل الإجازات ونسخ أمهات المصادر،واقتنائها والتبرك بالمزارات، وتقدير العلماء مصر كان الرحالة المغربي المتوجه إلى الحج يسارع رغم ضيق الوقت وكثرة المشاغل إلى نيل الإجازات، والسماع من كبار العلماء ونسخ مل يمكن نسخه [2].

[1]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ، 522.

[2]-نوري الجراح وآخرون :المرجع السابق ،ص ص 239-244.

✓ **التعليم في مصر :**

كان التعليم الأولي في مصر في الكتاتيب أو مكاتب تعليم الصبية، حيث ظهرت في هذه الكتاتيب في عهد الفتوحات الإسلامية العظيمة ،وهي مدرسة أولية ،ولم تكن الدولة هي التي تعين الكتاتيب بل ظلت نظاما حرا يعتمد على استغلال بعض المعلمين، وهي كفترة إعداد للتلميذ، يتعلم فيه القراءة والكتابة والقرآن والحديث الشريف ، و معرفة قواعد الإسلام الأساسية ،كما كانت الكتاتيب[1] أداة لتهذيب النشء وتعليمهم بعض آداب السلوك الاجتماعي والقيم الاجتماعية ،بغض النظر عن أصولهم الاجتماعية بهدف جعلهم مسلمين ورعايا مطيعين [2]،وقد انتشرت الكتاتيب في المدينة ملحقة بمنشآت مثل مقامات الأولياء[3] ،لم يكن هناك منهج محدد يدرسه الأطفال في الكتاتيب فقد اختلف ذلك المنهج من كتاب لآخر، تبعا لعوامل متعددة منها الشروط التي حددها الواقف في وقفيته، وفيها ما يرتبط بقدرات المؤدب والعريف ودرجة تعليمية ،وقدرات الأطفال ، وكانت الكتاتيب في القرى تقتصر على دراسة أو تحفيظ القرءان دون سواه، في حالة الكتاتيب التي تديرها بعض الفقهاء العاميين ، أما في حالة الكتاتيب التي يديرها الفقهاء الآخرون، فكان دور الكتاب يتعدى تحفيظ القرءان إلى تعليم القراءة والكتابة ، وكان الطفل بعد أن ينتهي من دراسة في الكتاتيب يتجه إلى الأزهر أو أحد المساجد الكبرى، بمثابة التعليم العالي حيث لم يكن هناك سن محدد للالتحاق بهذه المدارس، وهي مدارس المساجد ،إنما كان المتتبع أن يلتحق بها الطالب في سن المراهقة على وجه التقريب بعد أن يكون قد انتهى من دراسته في الكتاب ،ومن المفروض أن يكون الطالب حافظا القرءان الكريم كله، أو جزء منه[4]، وكان التعليم في هذه المدارس يقوم به رجال مؤهلون للتدريس من العلماء حفظة القرءان الكريم ومن بين

[1]- ينظر : الملحق رقم 03 ،ص

[2]-نللى حنا :المرجع السابق ،ص 98.

[3]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص393.

[4]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص ص172-175.

المدارس في مدينة الإسكندرية منها مدرسة النجمية غرب المدينة ومدرسة سيدي عبد الله والخلاصية[1].

ومن المدارس كذلك المدرسة الصلاحية[2]و الكاملية[3]والظاهرية[4] ، وتقسم الدراسة في هذه المدارس إلى ثلاث مراحل : مرحلة الابتدائية للطلبة الملتحقين بالأزهر، بعد خروجهم من الكتاتيب مباشرة ثم ينتقل من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة أعلى منها، تدرس بها الكتب المتوسطة ثم ينتقل إلى المرحلة النهائية حيث تدرس أمهات الكتب وأصعبها على طائفة من كبار العلماء .[5]

✓ **العـلـــوم والعلماء :**

كانت علوم العرب في صدر الإسلام لا تخرج عن علوم الدين والفقه، ولكن نتيجة لحركات التوسع في الفترة الإسلامية إلى أقصى المغرب والأندلس غربا، وهكذا دخلت علوم جديدة إلى جانب علوم الدين واللغة ، فأطلقوا على علوم التي أخذوها من الأمم الأخرى بالعلوم العقلية، أما علومهم تسمى العلوم النقلية.[6]

1-العـلـوم النـــقلـــية :

تنقسم العلوم النقلية إلى العلوم الشرعية وعلوم اللغة، حيث تشمل العلوم الشرعية على علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه والتصوف والتوحيد ، وقد اهتم علماء مصر في القرن

---

[1]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص396.

[2]-**المدرسة الصلاحية** :وتوجد بجوار قبر الإمام الشافعي ،ويقال لها تاج المدارس ،ومن أعظم مدارس مصر ،بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة اثنين وسبعين وخمسمائة .....نظر : جلال الدين السيوطي :**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1 ،دار إحياء الكتب العربية مصر ،1998م ،ص257.

[3]-**المدرسة الكاملية** :وهي مدرسة لتدريس الحديث النبوي ،...ينظر إلى جلال الدين السيوطي :نفسه ،ص259.

[4]-**المدرسة الظاهرية** :التي بناها جركس الخليلي ،وكان الشروع في عمارتها سنة ستة وثمانيين وانتهت في رجب سنة ثمانية وثمانون...ينظر إلى جلال الدين السيوطي :المصدر السابق ،ص259.

[5]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص185.

[6]- عبد الله عزباوى :المرجع السابق ،ص13.

الثامن عشر بهذه العلوم اهتماما كبيرا ،شأنهم في ذلك شأن جميع العلماء المسلمين، ويرجع إلى سيطرة الثقافة الدينية على المجتمعات الإسلامية في ذلك الوقت .

أولا: علوم القرءان والحديث :

وتشتمل علوم القرءان كل ما يتعلق بعلوم القران الكريم من أحكام الترتيل والتجويد وعلم القراءات والتفسير وأسباب النزول والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ [1] .وقد كان لمصر دورها في علم القراءات، فكانت مدرسة مصرية في هذا العلم تنسب إلى ورش[2]،وأستمر تفوق مصر في علم القراءات في القرن 18م، إذ نجد أن علماء البلاد الإسلامية الأخرى كانوا يلجئون إلى علماء مصر لنصح والإرشاد، وأما علم التفسير فقد اتجه مفسر والقرن 18م في مصر ،إلى جانب شرح التفاسير السابقة إلى تفسير القرءان، حيث بلغ عدد المؤلفات في علم التفسير في مصر في القرن 18 م، حوالي 30كتابا ،ومن علماء القرن 18م ،الشيخ احمد ألبقري ومحمد المنير السمنودى ت(1199هـ/1785م)من مؤلفاته "شرح طيبة النشر "ومن علماء التفسير ،الشيخ احمد الدمنهوري ت 1778/1192م ،ألف "الفيض العميم في معنى القران الكريم ".[3] كما تغطى هذا العالم مختلف الموضوعات [4]

[1]-زينة مومني :(**أهمية العلم الشرعي وثمراته**)، **رسالة المسجد** ،السنة السابعة ،العدد الرابع ،1423هـ/2009م ،ص60

[2]-**ورش** :هو عثمان بن سعيد المصري ويكنى ابا سعيد ،وورش لقب به لشدة بياضه ت 812/197م ،....ينظر الى عبد الله عزباوى :المرجع السابق ،ص15.

[3]-نفسه،ص ص 14-16.

[4]-نللى حنا :المرجع السابق ،ص205.

ثانـيا : عـــلوم الحـديث :

ويقصد بها علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية[1]، وقد احتلت علوم الحديث مكانة كبيرة في المجتمع المصري في القرن 18م ،ذلك ان المجتمع يهتم بعلوم الدين وتسيطر عليه الثقافة الدينية ،ومن علماء هذا القرن محمد الزرقاني 1055هـ-1122هـ/1245م-1710م .واحمد الدمنهوري ومحمد مرتضى الزبيري ت1205هـ/1791م،وقد بلغ عدد المؤلفات في علم الحديث في مصر خلال القرن 18م حوالي 70 مؤلفا[2]

ثالـــثا : العـــلوم الفـقـــهـية :

وتشمل علوم الفقه والفرائض، وعلوم الفقه هي العلم بقواعد الفقه الإسلامي أو العلم بالأدلة التي تؤدي إلى تقرير الأحكام الشرعية وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، والفرائض أو المواريث وهي علم بقواعد و جزئيات تعرف بها طريقة صرف التركة إلى الوارث.

وكانت في مصر أربعة مذاهب للفقه وأصوله حيث بلغت 112 كتابا وقد أنحصر التأليف في علم الفرائض " المواريث " في مصر في القرن 18م، في شرح قواعده التي حددها القرءان ، وقد بلغت عدد الكتب المؤلفة للمواريث في مصر خلال القرن 18م ،32 كتابا ،ومن بين الفقهاء في المذاهب الأربعة ،ففي الفقه الحنفي الشيخ محمد الخادمي، وحسن الجبرتي الذي ألف في عدة علوم مختلفة ،من مؤلفاته الفقهية "نزهة العينين في زكاة المعدنين "،ومن فقهاء المالكية الشيخ احمد النفراوي ت1125هـ/1713م ،وهو من أشهر فقهاء المالية في بداية القرن 18م ،ومن مؤلفاته "شرح الرسالة النورية "،أما المذهب الشافعي نذكر الشيخ حسن المحلى

[1]-**علم الحديث رواية ودراية** :رواية وهو علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير ،أما علم الحديث دراية هو علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد وما يتعلق بذلك من معرفة اصطلاح أهله ..ينظر الى زينة مومني :المرجع السابق ،ص60.

[2]-عبد الله عزباوى :المرجع نفسه ،ص ص20-24.

1170هـ/1756م ،واحمد السجاعي ت1187هـ/1783م ،ومن مؤلفاته "شرح على الستين مسالة "[1]

رابـــعا: التـــوحيد :

علم التوحيد: هو علم يبحث في ذات البارئ جلا وعلا من حيث إثبات صفات الكمال له، ونفي ما عداها عنه ،ويبحث في ذات رسله من حيث ما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز [2]، ويسمى كذلك أصول الدين وعلم الكلام ، ومن أشهر العلماء الذين ألفوا في التوحيد في مصر في القرن 18م ،الشيخ علي العمروسي ت 1173هـ/1759م والشيخ علي الصعيدي ت 1189هـ/1775م .

خـــامسا: عـــلم اللـــغة:

ويشمل عدد النحو والصرف والبلاغة واللغة بمعنى المعاجم ، وقد جاء الاهتمام بهذه العلوم في المرتبة الثانية بعد علوم الشريعة ،كما لها من صلة وثيقة بعلوم القرءان والحديث وعلى اعتبار أنها علوم مساعدة لها، ويقصد بالنحو الأعراب وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة سقما، وقد بلغ عدد المؤلفات في علم النحو في مصر في القرن 18م حوالي 97 كتابا، أما بلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته وتنقسم إلى ثلاث أقسام هي المعاني والبيان والبديع ، وقد بلغ عدد المؤلفات في علم البلاغة في مصر في القرن 18م حوالي 69 كتابا .

أما علم اللغة أو المعاجم تقصد بها الاشتغال بألفاظ اللغة العربية، من حيث معانيها وأصولها واشتقاقها، وهو ما يميز بتأليف المعاجم اللغوية، وقد بلغ عدد المؤلفات في علم اللغة في مصر في القرن 18م حوالي 12 كتابا ،ويلاحظ أن علم البلاغة أو المعاجم في العصر المملوكي كان أكثر

[1]-عبد الله عزباوى :المرجع السابق ،ص ص24-36.

[2]-عبد الله التيدي المالكي :**الأجوبة التيدية في مذهب السادة المالكية** ،ط7 ،المكتبة المحمودية ،مصر ،د ت،ص4

إزهار عنه في العصر العثماني، حيث شهد تأليف كثير من المعاجم مثل لسان العرب لابن منظور 711هـ/1311م.[1]

2-العـــلوم العـــقلية:

ويقصد بها العلوم التي لم تكن عند العرب في الجاهلية، والتي عرفها العرب بعد اتصالهم بالحضارات الأخرى، حينما قاموا بحركة الفتوحات الإسلامية، وهذه العلوم هي العلوم الحكمية أو الفلسفية مثل الحكمة والمنطق وأدأب البحث، وعلم الطب وعلم الرياضيات وعلم الفلك والكيمياء والطبيعية والجغرافيا والتاريخ، حيث كان العرب يطلقون عليها العلوم الداخلية ، وفي القرن 18م سميت باسم العلوم الغربية

أولا: العلوم الفلسفية:

تشتمل الحكمة وأدأب البحث ،وهو علم يبحث في كيفية إجراء المناظرة بين المتناظرين ، وكانت هذه العلوم لا تحظى باهتمام كبير من العلماء المصريين في القرن 18م، لعدة عوامل منها موقف فقهاء السنة من الفلسفة باعتبارها خطر على الدين ، حيث شن الفقهاء السنيون على الفلاسفة حملات ومن أشدها التي شنها الإمام الغزالي في كتابه "تصافت الفلاسفة"، وكانت حركة التأليف في العلوم الفلسفية في مصر في القرن 18م إلى شرح الأصول القديمة أوضع الحواشي لشروح وضعت من قبل أو نظم المنظومات .ومن العلماء الذين ألفوا في القرن 18م احمد الملوي ت1181هـ/1767م وألف في المنطق من مؤلفاته وهي "أرجوزة في لوازم الشرطيات "[2]

[1]-عبد الله عزباوى :المرجع السابق ،ص ص37-62

[2]-نفسه ،ص ص62-68

ثانيا: الرياضيات وعلم الفلك والكيمياء:

لم يخل القرن 18م في مصر من المشتغلين بالفلك والتأليف فيه، بل إن هذا العلم كان من العلوم التي ازدهرت، وبالرغم من ذلك فقد اضطربت التقاويم في ذلك الوقت ، وبالإضافة إلى علم الرياضيات حيث بلغت عدد المؤلفات في هذا العلم خلال القرن 18م حوالي 21 كتابا ،ومن بين العلماء في مصر في هذا القرن حسن الجبرتي والذي كان على رأس المشتغلين بالعلوم الرياضية والفلكية في مصر ،من أشهر مؤلفاته في الرياضيات "العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين "الفه عام 1758م .

وقد شاع التنجيم في مصر خلال هذا القرن ، لاعتقاد الناس بأن حظوظهم مرتبطة بالأفلاك وحركاتها ، أما بالنسبة للكيمياء فقد اهتم المصريون في القرن 18م بالكيمياء القديمة ،أي تحويل المعادن الخسيسة كالرصاص والقصدير والنحاس والخارصين إلى المعدنيين الكريمين الذهب والفضة، وقد قوي هذا الاتجاه في مصر بفضل المغاربة ، لكن أصاب هذا العلم بعض الجمود ويرجع هذا إلى محاربة العلماء المسلمين لهذا العلم ،باعتباره ضرب من ضروب السحر كما اعتبر ارتباط الأشغال بالكيمياء بالزغل أي تزييف النقود وغشها بالإضافة إلى العزلة التي عاشت فيها مصر وغيرها من الولايات التابعة ،ومن اشتر العلماء في هذا العلم في القرن 18م محمد الغمري وكان حيا 1124هـ/1712م ،بالإضافة إلى العالم احمد الدمنهوري الذي آلف كتاب "الدرة اليتيمة في الصنعة الكريمة "[1]

ثـالثا : الطـب والصيـدلية: كان الطب في مصر خلال القرن 18م مبنيا على السحر والشعوذة وخاصة في الريف ،كما أنتشر ذلك النوع من الطب الذي يعتمد على ما تصنعه

[1]-عبد الله عزباوى :المرجع السابق ،ص ص76-98

العجائز أو ما يسمى بالركة[1]، ونوع أخر من طب عرف باسم الطب النبوي وهو أشتات من المعلومات القائمة على دراسة الإشارات الطبية والصحية الواردة في الأحاديث النبوية، وكانت طائفة الأطباء تنقسم إلى قسمين: القسم الأول يعمل بالتطبيب والقسم الثاني بالعمليات الجراحية، ويعرف القسم الأول بالحكماء، حيث كانت معلوماتهم الطبية لا تتعدى غالبا، أصول تلقوها بطريق التواتر والنقل و يطبقونها على جميع الأمراض أو الإطلاع على الكتب القديمة مثل كتاب القانون لابن سينا، وكانت الأمراض مقسمة إلى أربعة ساخنة وباردة وحارة ورطبة، أما الأدوية التي يصفونها لمرضاهم لا تخرج عن المسهلات أو الممسك بالبطن والمرطبات ،أما قسم الجراحين يشتغل به الحجامون والحلاقون الذي يعتمدون على التجربة والممارسة في أداء أعمالهم ،ومن أهم العمليات الطبية الحجامة والفصادة، أما الصيدلية فكانت العقاقير تباع في دكاكين العطارة بحالتها الطبيعية، حيث في أواخر القرن 18م كان في القاهرة 3 صيدليات: واحدة يديرها يوناني والأخريان يديرهما جماعة من البنادقة، وكان التأليف في الطب لم يخرج على الطب العربي اليوناني القديم، ومن أهم العلماء الذين ألفوا في الطب في مصر في القرن 18م علي الخياط كان حيا 1213هـ/1798م من مؤلفاته "فتح الرحمان في بدء خلق الإنسان "و حسن الجبرتي .

رابــعا: الجــغرافيا والتــاريخ

شهدت حركة التأليف الجغرافي في العصر العثماني نمطين من الجغرافيا هما :الجغرافيا الإقليمية من طراز فضائل البلدان وجغرافية الرحلات، فقد ارتبطت بالأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وذلك إما على هيئة وصف لها أو رحلة إليها ،أما حركة التأليف التاريخي فقد تدهورت مقارنة بالعصر المملوكي ويرجع ذلك إلى عوامل أهمها : كثرة الفتن والاضطرابات والنزاع بين الفرق

[1]–**الركة** :وهو في اصطلاح النساء العجائز قطعة من الخشب ،يدق عليها الكتان لإزالة ما علق به من المواد الغريبة ،وكان يعهد به إلى النساء فكن يجتمعن ليلا للقيام بما فرضه عليهن أزواجهن أو أسيادهن من الأعمال ،ويدور الحديث بينهن أثناء =ذالك على الافتخار بنجاح وصفة إحداهن لبنت من بناتهن أو لأحد أفراد العائلة ،ومن هنا جاءت تسمية الركة .....ينظر إلى عبد الله عزباوى :المرجع نفسه ،ص99

العثمانية والبيوت المملوكية، مما أدى إلى إتلاف الكثير من المكتبات بالإضافة إلى عدم اهتمام أهل العصر بكتابة التاريخ، وتسرب الكتب التاريخية من البلاد، وقد توزع ما ألفوا في التاريخ في مصر خلال القرن 18م إلى مدرستين هما مدرسة الأجناد ومدرسة المؤرخين التقليدين، ومن أشهر المؤرخين حسن الجبرتي الذي اشتهر بكتاب "عجائب الآثار في التراجم والأخبار "[1]

✓ **العـــلمـــاء عند الرحالة:**

أن الرحالة المغاربة خلال القرنين 17م و 18م ،كان الهدف من زيارتهم إلى الشرق لأداء مناسك الحج وجلهم علماء وفقهاء وشيوخ زوايا فلقاؤهم علماء مصر لم يكن دائما من أجل وجودهم بمصر وإنما التواصل والمناظرة والإجازة[2]،وقد زار الرحالة الورثيلاني العديد من العلماء والشيوخ بالأزهر الشريف ومنهم العلماء من وطنه الدين كانوا بالأزهر في هذه الفترة من رحلته[3]،فيذكر في هذا "... وزرت أيضا من بالأزهر من العلماء والطلبة وغيرهم ..."[4] ويذكر أيضا ..." وأعجب من ذلكما فيها من العلماء المؤلفين والأولياء الصالحين من يستجاب الدعاء عند الجميع .." والقائمة طويلة للرحالتين من أسماء علماء مصر الدين زاروهم وناقشوهم في مسائل فقهية أو تفسيرية أو منطقي ،ويذكر الورثيلاني كذلك " إليه النظر في وقتنا هذا في الجامع الأزهر بل وإليه تشد رحال الطلبة بمصر من كل جانب وقد بلغ صيته وعلمه مشارق الأرض ومقاربها شيخنا سيدي علي الصعيدي"، ويتضح أن علاقة الورثيلاني والدرعي بهؤلاء العلماء لم تكن شكلية أو ظرفية بل عميقة وذات فائدة مشتركة فقد كان الورثيلاني يعرض عليهم بعض مؤلفاته مثل شرحه على "خطبة شرح الصغرى" ويحصل منهم ما

[1]-عبد الله عزباوى :المرجع السابق ،ص ص99-110.

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص 523.

[3]-عبد الرحمان عزي :المرجع السابق ،ص45.

[4]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص427.

يسمى آنذاك بالإجازات[1] ،يشير الرحالتين إلى بعض العلماء والقائمة طويلة في ذلك وفي حديث الدرعي عن فئة العلماء والفقهاء الدين التقاهم في مصر يكشف عن النخبة العالمة لتلك الفترة منها الشيخ أبو الحسن علي الزعتري إمام المؤقتين في الديار المصرية[2]"ومن جملة أهل ودنا بمصر ، المتواضع على رفعته، إمام أهل وقته، شيخنا الشيخ أبي الحسن الزعتري إمام المؤقتين في الديار المصرية وكنا رجونا لقياه فاستقبلنا بموته، فإن لله وإنا إليه راجعون وقد كنا قبل هذه المرة قرآنا عليه في كتب التوقيت رسالة الحطاب ورسالة على نصف الدائرة للشيخ عبد العزيز المؤقت"، كما يذكر الدرعي عن الشيخ محمد الحطاب في معرفة التواريخ والأوقات وغيره من العلماء في قوله : " .... الشيخ محمد الحطاب في معرفة التواريخ والأوقات ورسالة الشيخ أبي الفتح في العمل بنصف الدائرة قراءة فهم وإتقان، وقد أجزته بإقرائها للطلبة بشرطه، وأجزته بجميع ما تجوز لي روايته بشرطه وأنا الفقير على الزعتري الشافعي ، وذلك في مجالس متعددة .."[3]،ومن العلماء الدين لقيهم الرحالة الدرعي الشيخ والإمام القيلولي ويظهر من الترجمة التي أفردها له الرحالة أنه كان شخصية جامعة وشاملة لمختلف العلوم الشرعية والفضيلة وهو حسب قوله :" والإمام القيلوبي هذا هو أبو العباس ، أحمد بن أحمد بن سلامة المصري القيلوبي الشافعي الإمام العالم العامل الفقهية ، المحدث، أحد رؤساء العلماء المجمع على نباهته وجلالته وعلو شأنه جامعا للعلوم الشرعية متضلعا من العلوم العقلية وأما معرفته بالحساب والميقات والرمل فأشتهر من أن تذكر وإمامته في الأوقات الحرفية وغير ذلك من الفنون، فذلك أمر مشهور ، وكان في الطب ماهرا خبيرا ومحبا للفقراء ملازم الطاعات .. له تأليف عديدة وتقاييد مفيدة، توفي أواخر شوال سنة 1069هـ"ومن أهم الشيوخ الدين تصدر ا للفقراء والإفتاء الشيخ موسى القيلولي حيث يذكر الدرعي " أما الشيخ موسى المصري القيلوبي ، فهو من أئمة المالكية المشهورين بحسن

[1]–عبد الله عزي :المرجع السابق ،ص45.

[2]–مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص523.

[3]–احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص264.

السيرة وطيب السريرة ، شهير صيته بين علماء الأزهر وأرباب الدولة، وله خبرة تامة بفروع المذهب ومشاركة حسنة في غيرها من العلوم وانفرد بالاختصاص بالكشف عن علم الأوقاف وأسرار الأسماء والحروف....."[1]

ويذكر كذلك:" وحضرت درسه وكان يقرئ في الجامع الصغير للأسيوطي بباب رواق الحنفية وما جملة ما قرر..."

ونقلا على العياشي يذكر الدرعي الشيخ أبو الحسن الشبراملسي " .. وذكر أنه حضر مجلس شيخ الإسلام أبي الحسن الشبرملسي يقرئ المواهب اللدنية "ومن المشايخ الذين ذكرهم الرحالة الدرعي الشيخ حسن نقيب الأشراف في قوله: "الشيخ حسن نقيب الأشراف، كان رضي الله عنه من أهل الخير .. وله حظ في العلم وله رئاسة كبيرة بمصر وعنده كتب كثيرة وهو إلى الآن لم يزل يجمعها ويبحث عنها وهو حنبلي المذهب "[2]

✓ **زيارة الورثيلاني لعلماء الأزهر وطلبته:**

كان الأزهر من الأماكن التي شوقت الورثيلاني لزيارتها، بغية الاجتماع مع علماءها و لقاء من يدرس بها من الطلبة و البحث عن العلم و الإجازة في مصر، فقد ذكر الكثير من فطاحل العلماء الذين التقى بهم ودرس عنهم منهم: الشيخ محمد الحفناوي[3] ، درس عليه(الرحبية)في علم الفرائض ولقنه الذكر على طريق أشياخه وأذن له في الإعطاء والإذن أمثال: والشيخ خليل المغربي الأزهري فقد درس عليه كتاب{القطب على الشمسية}

ومن مشايخه أيضا: الملوي وهناك الشيخ الجوهري وأب الحسن شيخ رواق المغارب والشيخ عمر الطحلاوي الذي أخد عنه من تفسير الجلالين والرسالة والشيخ الزرياتي الشافعي وقد درس عليه

[1]- احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ، ص 270-271.

[2]- نفسه ،ص284.

[3] - مختار الفيلالي :**رحلة الورثيلاني عرض ودراسة**، دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر ،1978، ص 19.

الاشموني في النحو،[1] ,وسالم النفراوي الذي أخد عنه في الحجة الأولى مختصر السعد([2])وأحمد الاشبيلي تلميذ الحفناوي ودرس عليه أيضا مختصر السعد في البيان قراءة وتحقيق، والشيخ الصباغ الإسكندري والهاشمي المغربي وإبراهيم بن علي شعيب التونسي وقد درس عليه ابن هشام على الآلفية[3]،ومحمد الكردي تلميذ الحفناوي و من الشيوخ الكبار الذين جلبوا الأنظار و جلس إليهم أكثر الطلبة الشيخ سالم النفراوي الذي يقال عنه إن كل من عاش في عهده من المالكية و الشافعية[4] الحنفية قد درس عليه و قد قرأ الورثيلاني على النفراوي "مختصر السعد" [5]و خلال حجته الثانية صادف الورثيلاني الجامع الأزهر مكتظا بالمصلين من عامة المصريين و علماءها بعد سماع موت النفراوي فكان الورثيلاني ممن صلى عليه هو و الشيخ أحمد الرفاعي أحد أقرباءه[6].

كما التقى الورثيلاني واخذ على أحمد الاشبيلي وهو أحد تلامذة الحفناوي، وكذلك على الشيخ الصباغ الإسكندري الذي حضر كثيرا من دروسه، والتقى بالعالم الكبير الهاشمي المغربي الذي ربطته بالورثيلاني في انتظاره هو و من رافقه و استضافهم في داره ثلاث أيام.[7]

وفي مصر أيضا التقى بالشيخ محمود الكردي تلميذ الشيخ الحفناوي والشيخ الجوهري الذي يعتبره المصريون من أولياء الله وصاحب فضل كبير.

والشيخ الغرباني العالم الكبير وقد اشتهر هو الآخر عند سائر المصريين كونه حارس الركب[8].

---

[1]- شارف رقية: المرجع السابق، ص39.

2. -مختار الفيلالي: المرجع السابق ، ص 42.

[3]- محمد مخلوف : **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، دار الطباعة للنشر ، د. ت ،ص 359 .

[4] - ربيعة قريزة : **علماء جزائريين بمصر في الفترة العثمانية القرن11هـ -12هـ / 17م – 18م** مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر 2 بوزريعة ، 2012، ص 116.

[5]. - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 410.

[6]- الجبرتي : المصدر السابق ج2 ,ص 134.

[7]- الورثيلاني : **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار "الرحلة الورثيلانية "**، تصحيح :محمد بن أبي شنب ،مطبعة بيارفونتانا الشرقية ،الجزائر ،1908 م ، ص416.

[8] .- محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 359.

والتقى الشيخ البليدي، نزيل مصر ولد في عام 1096هـ/1684م ت1176هـ/1763م هو من كبار العلماء ،مثل ما جاء في قوله صاحب أعمال في التحقيق و التأليف و قد استمع إلى الدروس و في الحجة الثانية زاره مرة أخرى ،و حضر كثيرا من حلقاته في الدروس و الشرح كما أجازه في العلوم[1]،والذي درس عليه كتاب الرسالة،واخذ عن مجموعة من علماء مصر مثل البقرى و ألعزيزي و الملوي و النفراوى ،وقد قام بتدريس الفقه و الحديث بالمشهد الحسيني و ذاع صيته و كانت حلقته من الحلقات الكبرى التي يلتف حولها عدد كبير من الطلاب، كما كان يدرس في الأزهر تفسير البيضاوي و كان يحضر درسه أكثر من مائتي مدرس و معيد ,و قد انتفع به جماعة كبيرة من المصريين و الشوام [2]،وحسن اعتقاد الناس فيه، و انكبوا على تقبيل يده و خاصة التجار المغاربة ،فهادوه و اشتروا له بيتا بالعطفة المعروفة بدرب الشيشني و قسطوا ثمنه على أنفسهم و قد اشتهر البليدي في علم القراءات.

والشيخ العمروسي أبو الحسن على بن خضر بن احمد العروسي (ت1173هـ/1759م) من شيوخه السلموني و محمد الزرقاني و الشهاب النفراوي، ودرس بالأزهر من مؤلفاته ".اختصار المختصر الخليلي و شرحه"[3]،والشيخ الصعيدي[4] قدم مصر و حضر دروس عبد الوهاب الملوي , و الشلبي و سالم النفراوي و غيرهم [5]، من مؤلفاته حاشية على ابن التركي و على الزرقاني على

[1] -الجبرتي : المصدر السابق ، ج1 ،ص 227.

[2]- محمد مخلوف : المرجع السابق، ص 339.

[3]. -نفسه، ص 339.

[4]- احمد بن محمد بن احمد الصعيدي العدوي الأزهري الحلوتي (1201.1127هـ/1786.1714م) قرأ عن الشيوخ كثير منهم الملوي و الجوهري ,عين شيخا على المالكية ,مقنيا و ناظرا على وقف الصعايدية و شيخا على طائفة الرواق , من مؤلفاته , اقرب المسالك لمذهب مالك و رسالة في متشابهات القرآن ألجبروتي, عجائب الآثار ,ج2,ص.ص:22 ,23 مخلوف المرجع السابق ص 359.

[5] -. الورثيلاني : المصدر السابق ، طبعة 1908 ، ص 287.

العزية وعلى أبي الحسن على الرسالة و على شرح الخرشي و الزرقاني و كلاهما على المختصر .ودرس بالأزهر و غيره[1] .

كما التقى الشيخ المنور التلمساني ت1173هـ/1760م.نزيل مصر المحدث المسند الرحالة الأديب قد درس عليه (الكبرى) للشيخ السنوسي[2].اخذ عنه في مصر الشيخ محمد الشيخ محمد مرتضى الزبيدي اللغوي والمحدث الشهير وقد ذكره الزبيدي في الفية سنده بأنه "العالم الفاقد للأشباه"[3]

الجهيد البارع في الفنون عالم قطر المغرب الميمون

لقيته بمصر لما وردا أجازني ونلت منه المددا

و قد توفي الشيخ التلمساني بمصر بعد رجوعه من الحج في عام 1173هـ/1760م.[4]

وتكمن أهمية مصر بالنسبة للورثيلاني بزيارته للأزهر في الإفادة و الاجتماع بالعلماء الكبار و الطلبة الأزهريين و حضور حلقات الدرس و جمع العلوم و الفوز بالإجازات و هو بذلك يقـــول "....بالجملة فالذي زرناه في تلك المدة لا يزار إلا في أيام عديدة و مع ذلك و جدنا حلاوة ما وجدناه في غيرها من الزيارات فاني قد جيلت على حبها من صغري و قد كثرت مني غربا و شرقا ,و جوفا و قبلة بمعنى وجودها مني للأحياء و الأموات فمهما ذكر لي صالح و علما حيا أو ميتا إلا ذهبت و اقتبست من نوره...."[5]

"....هذا و إن مصر قد حشت بأولياء الله و إنه فيها كالنجوم في السماء فالمستور فيها أكثر من الظاهر و بالجملة فأحوالهم كمثل بحر ووجودهم كثير فهم ينبتون فيها دائما لا

[1]. –محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص 341.

[2]. – الورثيلاني : المصدر السابق ، ص 117.

[3]. – ربيعة قريزة : المرجع السابق ، ص 119.

[4] .– أبي القاسم الحفناوي : المرجع السابق ، ص 213.

[5]. –الورثيلاني : المصدر السابق ، طبعة 1908م ،ص 303.

تنقطع آثارهم ولا تغيب شموسهم و أقمارهم, فعلى من دخل مصر أن يجعل معتمده عليهم فإن بحث عنهم وجدهم لا سيما إن كان بصدق الطلب ,فوطن مصر ليس كغيره....."[1]

✓بعض القضايا المتداولة في الرحلتين:

-قضية شرب القهوة والدخان:

من خلال مادونه الرحالة المغاربة عن مكانة القهوة في المشرق ،إنها تحولت إلى موضوع اجتماعي ثقافي شرقي ،ورغم علم المغاربة بها إلا ان مواقفهم الفقهية والشرعية كانت تختلف عن أهل الشرق بخصوص هذا الموضوع [2]،وقد فصل الرحالة احمد بن ناصر الدرعي و الورثيلاني في جواز شربها أو تحريمها من خلال أراء بعض العلماء آنذاك ،فيرى الرحالة ان أكثر العلماء مائلون إلى إباحة شربها خاصة الصوفية ،لان تعين على السهر في العبادة وتزيل ما يحصل في الرأس من تدويخ بسبب السهر ،فهي منشطة في رأيهم ،فاختلف العلماء المشارقة والمغاربة، مابين محلل ومحرم ومكره ،وما رافقه ذلك من فتن اجتماعية وسياسية حرص بعض المغاربة على نقلها إلينا ،ويذكر الرحالة أنها تحرم على طبعه السوداء وتكره على طبعه الصفراء ،وهي نافعة لصاحب البلغم ،ويذهب رأي ابن حجر الهيتمي المكي إلى إباحتها وإنها من شارب الصالحين ،ويرى الشيخ صفي الدين القشاشي إنها من انعم الله بها هل الحجاز ،وأما الإمام ابن عراق وهو من علماء الحرمين ،أنها إذا دخلت مما يضاف إليها من المحظورات فهي في نفسها مباحة ،ويرى البعض أنها مسكرة كالخمر والأخر يرى أنها تنشيط للنفس ويحصل بالمداومة عليها ضرورة تؤثر في البدن عند تركها ،ويرى أصحاب الحرمة تحرم لأمور منها :أنهم يجتمعون عليها ويديرونها كما يديرون الخمر وينشدون أشعارا فتنضم بذلك إلى المحرمات لاختلاطها بالمفسدات كالشيشة ونحوها ،ويرى الشيخ

[1]- الورثيلاني :المصدر السابق ، ص 285.

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص502.

احمد زروق أنها ليست بمسكرة ولكن من كان طبعه الصفراء والسوداء يحرم عليه شربها لأنها تضر به في بدنه وعقله .[1]

وهذا ما ذكره الرحالة ان الخلاف اشتد والجدال، وانتشر فيها القيل والقال وحدثت بيها فتن وشرور ،واختلفت فتاوى العلماء ،وأجاز المقري شربها ان لم تكن مضرة بشاربها ولا ملهية له عن طاعة الله [2]

أما الدخان فقد أفاد العلماء بتضارب الآراء بين التحريم والتحليل فبالنسبة للورثيلاني فقد حرمه هو و مجموعة من العلماء حيث قال "فان الدخان الذي شاع في الأفاق أكثر العلماء على تحريمه وهو الصحيح ان شاء الله ،لما اشتمل عليه من المفاسد ولا منفعة فيه أصلا ،واتفق أرباب العقول شرقا وغربا على التنفير منه وكراهته ".[3]وذكر ان شيخه وقدوته سالم الاجهوري أفتى في تحريمه ولازم الإفتاء إلى ان مات فألف "غاية الكشف والبيان في تحريم شرب الدخان "وقد ألف الشيخ اللقاني "نصيحة الأخوان في اجتناب الدخان او يترك مالا يحل شربه في الدخان "،وجاء هذا ردا على الشيخ الاجهوري الذي أباحه وقال انه كان يشربه حيت ألف "غاية البيان لحل شري مالا يغيب العقل من الدخان "[4]،وقد تحفظ المقري في إطلاق حكم قطعي فيه إذ قال انه لا يمتلك نصا صريحا بتحريمه "[5]

3-المـــعالم الديـــنية:

[1]-احمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق ،ص ص287-293.....وينظر إلى الورثيلاني :المصدر السابق ،ص ص403-412.

[2]-المقري :**رحلة المقري إلى المشرق والمغرب** ،تح :محمد بن معمر ، ط1 ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ،منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية قي شمال إفريقيا ،جامعة وهران ،2004م ،ص 62.

[3]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص409.

[4]- محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي:**الدخان بين القديم والحديث** ،دار الفيجاء ،دمشق ،د .ط ،1997م ،ص ص163-186.

[5]-المقري :المصدر السابق ،ص 69.

✓ المساجد والجوامع:

كانت مصر تضم منشآت ومعالم دينية كبرى، تجسد المكانة التي ظلت مصر تمثلها في العالم العربي والإسلامي، فيما يتعلق بالعلوم الدينية والدنيوية، وهذا ما تعكسه رحلات المغاربة خلال الفترة الحديثة[1]، وقد عرفت مصر هذا النوع من المراكز العلمية وهي المساجد والجوامع منذ إنشاء عمرو بن العاص لجامعة فيها ،وأخذت حركة بنيان المساجد والجوامع تتزايد ، وظلت المساجد تؤدي وظيفتها التعليمية ،إلى جانب ما كان يؤدي فيها من شعائر العبادة مع وجود المدرسة بل لعلها تفوقت على المدرسة ، وحضت بنشاط فكري ملحوظ[2]، ومن الجوامع الإسلامية في مصر التي بدأ التدريس بها جامع الفسطاط الذي أنشأه عمرو بن العاص، بعد أن تم له فتح مصر سنة 21هـ /641م وكذلك جامع أحمد بن طولون الذي تأسس سنة 263هـ/876م [3]،ومن أشهر وأكبر المساجد في مصر المسجد الأزهر، حيث كانت إشارة الرحالة المغاربة للجامع الأزهر قوية باعتباره أهم مركز علمي بأرض مصر وإذ كانوا لم يتركوا لنا وصفا دقيقا لهندسته ومعالمه العمرانية فإن إشارتهم إلى دوره العلمي يجعله المؤسسة الصانعة للثقافة في مصر بل لمشارقه والمغاربة [4].

✓ الجـــامع الأزهـــر :

يعتبر الأزهر[5] منذ نشأته جامعة لأنه يتوسط العالم ،وكان على صلة وثيقة بمدارس بغداد إبان الدولة العباسية ، وكان على اتصال بالمعرفة والثقافة في مدارس قرطبة بالأندلس، فكان تبعا لهذا

---

[1]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص525.

[2]-محمد كمال الدين عز الدين :**الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة –دراسة في التاريخ والمؤرخين 784-922هـ/1382-1517م**،مذكرة لنيل الدكتوراه في التاريخ ،كلية البنات ،قسم التاريخ ،جامعة عين شمس ،مصر ،1989/1409م ،ص ص 70-80.

[3]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص 174.

[4]-مصطفى الغاشي : المرجع السابق،ص522.

[5]- ينظر إلى الملحق رقم ، 04 ص

الاتصال العسكري والروحي يعتبر حلقة وصل بين مصر والعالم الإسلامي كله [1]، أنشأه الفاطميين بعد عام من تأسيس مدينة القاهرة ، في 24 جمادى الأول 359هـ/4 أفريل970م وتم تشيده بعد عامين ، يقع في الجنوب الشرقي من قاهرة المعز لدين الله الفاطمي على مقربة من القصر الكبير[2]، وتم افتتاحه للصلاة يوم الجمعة 7 رمضان 361هـ /22 يوليه 972م، ولما بدأت حلقات الدرس في هذا الجامع ،كان الهدف منها تدريس الفقه الشيعي[3]، ويعد الأزهر أول عمل فني معماري أقامه الفاطميون في مصر ولا يزال قائما حتى اليوم ، ويعتبر الوزير يعقوب بن كلس أول من فكر في اتخاذ الجامع الأزهر معهدا للدراسة المنظمة المستقرة، حيث استأذن الخليفة العزيز بالله سنة 378هـ/988مفي أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء، للقراءة والدرس ويعقدون مجالسهم بالأزهر ، كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر ،وهكذا يمكن القول أن الأزهر أكتسب صفته العلمية الحقيقية ،كمعهد للدراسات المنظمة وأنه بدأ حياته الجامعية الحافلة ،منذ أوائل العصر الفاطمي[4]، حيث كان كمركز تعليمي إسماعيلي، يقوم بالدعاية لهذا المذهب الشيعي[5]، وأهمل في عهد الأيوبيين لسنيين باعتباره مركز للدعوة الشيعية ،وحوله إلى جامعة سنية فأكتسب شهرة فريدة ومكانة خاصة، غير أنه لم يكتسب موقعا خاصا سوى أثناء الحقبة العثمانية، بعد سقوط الفاطميين أصبح حرا لتدريس فقه المذاهب السنية الأربعة : الشافعي والمالكي والحنبلي والحنفي وأمتد نشاطه بمثابة جامعة متكاملة[6]، وقد عرف الأزهر في أواخر القرن 8هـ وبداية التاسع مكانة خاصة ،أحتل نوعا من الزعامة الفكرية والثقافية، فيعتبر العصر الذهبي للأزهر[7]،وبلغ الأزهر

---

[1]-احمد محمد عوف :**الأزهر في ألف عام ابريل سنة 970هـ-ابريل سنة 1970م** ، دط ،مجمع البحوث الإسلامية ،مصر ،1970م ،ص13.

[2]-سعاد ماهر :**الأزهر اثر وثقافة** ،د.ط ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،مصر 1962م ،ص ص7-8.

[3]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم :المغاربة في مصر في العصر العثماني ،المرجع السابق ،ص97.

[4]-سعاد ماهر: المرجع السابق ،ص9 .

[5]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص197.

[6]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم :المرجع السابق ،ص98.

[7]-سعاد ماهر :المرجع السابق ،ص12.

في العهد العثماني قمة زعامته للمؤسسات التعليمية التي كانت قائمة ومزدهرة في عهد الأيوبيين والمماليك، فأظهر العثمانيون احتراما عظيما للأزهر وعلمائه ولم يحاولوا التدخل في مناهج التعليم القائمة فيه أو في شؤونه المختلفة ،وبسبب تلك المكانة التي أحرزها الأزهر في العصر العثماني، وشهرته العظيمة فقط أصبحت المدارس الأخرى ،وكليات مساجد القاهرة الأخرى تدور في فلكه ومن أهم المدارس التابعة له: المدرسة الإصلاحية بجوار الإمام الشافعي والمدرسة الأقبغاوية والمدرسة العينية وغيرهم[1]،وفي القرنين 17م و18م أصبح الأزهر مؤسسة علمية حقا، وملاذا للعلماء وفي هذا السياق يذكر العياشي بأن الأزهر كانت تدرس به العلوم العقلية و العلوم الإشراقية والصوفية ،فيذكر العياشي:"بتنا تلك الليلة بالجامع الأزهر، لأنها ليلة سبع وعشرين ،وفي الحقيقة كل الليالي بذلك المسجد كليلة القدر معمورة بالذكر والتلاوة والتعليم .. فهو عديم النظير في مساجد الدنيا" ومن خلال ما دونه الرحالة المغاربة أن الأزهر ظل أهم المؤسسات العلمية والدينية التي زارها وأشادوا بها وبدوها العلمي والديني.[2]

بـــــنـــية الأزهر :

لجامع الأزهر خمسة مآذن وتبلغ مساحته حوالي 12 ألف متر مربع ،وهو محاط ببوائك مقامة على أعمدة من الرخام ،كتب على حوائطها آيات قرائية، وللجامع كذلك تسعة أبواب أشهرها باب المزينين، وكان به 10 محارب، ولم يبق منها ستة محارب أهمها المحراب الأصلي، كما يوجد بها أروقة التي عنى بإنشائها سلاطين المماليك، لتضم الطلاب الوافدين من مختلف العالم الإسلامي [3]، وكان الطلاب ينتظمون في هذه الأروقة أو الدور وكان يسكنون ويدرسون ويتسلمون جراياتهم، وتقسم هذه الأروقة على أسس عرقية وإقليمية، وكانت هناك أروقة للأتراك والشوام والمغاربة وأهالي مديرية الشرقية وما إلى ذلك، وأما الدراسة فتسير على نسق ما كان يحدث في العصور

[1]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص164.

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص522.

[3]-احمد محمد عوف :المرجع السابق ،ص39.

الوسطى ،إذ كانت غير رسمية، متروكة لإجهاد الطالب واختياره ، بل أن المؤسسة نفسها لم تكن لها متطلبات للالتحاق، أو مقررات محددة للدراسة أو امتحانات، وكان الطالب هو الذي يحدد الدرس الذي يحضره ،والتعليم في الأزهر لم يكن يخضع لنسق معين، على النقيض من نظام المدارس العثمانية ،الذي كان منتظما أكثر من ذلك بكثير ،ويعتمد على التدرج الهرمي ، فالشيخ يصل إلى درجة الأستاذية بإجماع زملائه رغم ضرورة وجوب التأكيد الرسمي على ذلك من السلطات المصرية[1]، أما الكتب المقررة للتدريس فمعظمها للعلماء الأولين : كجلال الدين السيوطي وأنس بن مالك وغيرها من الكتب العلمية والدينية والأدبية.[2]

✓ رواق الـمغاربـة بالأزهـر :

كان رواق المغاربة من أقدم الأروقة التي شهدها الأزهر، بل أنه كان أقدم من عهد قايتباي الذي أمر بإنشاء مساكن لطلاب الأزهر، وكان الرواق يقع في الجانب الغربي على يمنة الداخل من باب المغاربة، أحد أبواب الأزهر التسعة الرئيسية القديمة، حيث كان أحدهما يحمل هذا الاسم، وكان للرواق بابان ،وبه خمسة عشر بائكة على أعمدة من زخام أبيض ،وفيه مساكن علوية ،ومكتبة كبيرة كانت زاخرة بالمصادر في كل الفروع ، كانت مفتوحة أما طلاب العلم من المغاربة وغيرهم من الطلاب والعلماء ،وكان العون المادي للرواق، من تجار المغاربة في القاهرة والمدن المصرية الأخرى، والراغبين في الأعمال الخيرية والبر ،ومشجعي العلم من التجار والأثرياء المقيمين بالبلدان المغربية ذاتها[3].وقد أشار إليه الرحالة الورثيلاني عند زيارته للجامع الأزهر "وزرت أيضا من بالزهر من العلماء والطلبة وغيرهم ،واجتمعت مع أبي الحسن شيخ رواق المغاربة .."[4]ويتضح ان

[1]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص ص193-194.

[2]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص523.

[3]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني ،المرجع السابق ،ص ص99-100.

[4]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص427.

لرواق شيخ يديره ويكون من أبناء المغاربة المشتغلين بالتدريس في الأزهر ،المتخصصين في الفقه المالكي، ويكون له وكيل في حالة غيابه .[1]

كان الأزهر مسجدا وجامعة، يضم هيئة تدريس تبذل جهدا كبيرا في تعليم طلاب العلم، وقيادة الجماهير، وكان بينهم الصوفي والشاعر والمشرع والكاتب، بل كان منهم من أتقن اللغات الأجنبية كالشيخ حسن الجبرتي، الذي يجيد الفارسية والتركية وغيره من العلماء والأدباء والأعيان[2]، وكانت مصادر تمويله الأحباس العامة والخاصة، حيث في ظل الدولة الفاطمية كانت الأحباس تحت إشراف قاضي القضاة ولها ديوان خاص ، وقد نما هذا المصدر واسع في ظل المماليك، واستمرت الأعطية العامة والخاصة ،على مر العصور وتوالت أوقاف السلاطين والأمراء والكبراء على الجامع الأزهر، وكانت ترتب إما بصفة عامة أو تخصص لأساتذة المذاهب أو الأروقة المختلفة وطلبتها ،أو للإنفاق على تدريس مادة معنية، ولا سما علوم القرءان و الحديث، وكان شيخ الجامع يشرف على الأوقاف ونظارتها.[3]

-شـــــيخ الأزهـــــر:

كانت نشأة منصب شيخ الأزهر نحو نهاية القرن 17م ،مؤشرا على نهضة الأزهر ولقد تأكد هذا المنصب الخاص بالشيخ في القرن 18م، حيث ضعف الحكم العثماني[4]، وكان الهدف من تعيين الشيخ ليتحمل مسؤولية إدارة الجامع ،الذي ازدادت مشاكله وتعددت أعماله، بعد تطوره إبان حكم المماليك[5]،ومن بين أول ستة مشايخ للأزهر كان هنالك خمس من المالكية ، ولم يكتسب الشافعية احتكار هم للمناصب إلا ابتداء من الشيخ السادس فصاعدا ،و كان أول شيخ للأزهر

[1]-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم :المرجع السابق ،ص101.

[2]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص .178

[3]-سعاد ماهر :المرجع السابق ،ص15.

[4]-احمد محمد عوف :المرجع السابق :ص55.

[5]-ميكل ونثر :المرجع السابق ،ص194.

هو محمد بن عبد الله الخراشي الذي توفي عام 1101هـ/1690م وخلفه محمد النشرتي، وبعد وفاته سنة 1709م ،نشب صراع عنيف أدى إلى قتل عدد من الناس ،وكان الصراع بين أتباع شيخين :النفراوي والقليني على المنصب ليتعين القليني ثم خلفه محمد شنن ثم علي النقيض ثم إبراهيم موسى الفيومي سنة 1724 م وغيرهم من المشايخ التي توالت على منصب شيخ الأزهر[1]وإلى جانب الأزهر الشريف كانت مصر تضم منشآت ومعالم دينية كبرى، تجسد المكانة التي ضلت مصر تمثلها في العالم العربي والإسلامي ،فيما يتعلق بالعلوم الدينية والدنيوية، وهذا ما يعكسه رحالات المغاربة خلال الفترة الحديثة، فمسجد السلطان حسن حسب ما ذكره الرحالتين نقلا عن الرحالة العياشي في قولهم" هو مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من بلاد في فخامة البناء "[2]وبالإضافة إلى هذا المسجد ذكر الرحالة المغاربة بعض المساجد المشيدة على بعض الأضرحة منها مسجد السيدة نفيسة ومسجد الإمام الشافعي ومسجد عقبة بن نافع وغيرهم من المساجد كما ذكر الرحالة الجامع الصغير الأسيوطي بباب رواق الحنفية .[3]

ومن المساجد في مدينة الإسكندرية مسجد الشيخ عبد الله الحجاز وهو من المساجد إذ يزيد عمره 150سنة والمسجد المعلق بابن علوان داخل الثغر ،ومن الجوامع جامع العبادات ،وجامع العطارين في وسط المدينة بالقرب من سوق باب البحر، والجامع الكبير الأعظم المعروف بالجامع الغربي، وتدرس فيه المالكية وجامع الجيوشي وجامع الشاذلية وكان للطريقة الشاذلية وجامع سعيد بك وغيرهم[4]، من المساجد والجوامع في الإسكندرية وفي مصر، وقد لعبت المساجد دور تقديم التعليم

[1]- نفسه، ص ص194-195.

[2]-احمد بن ناصر الدرعي : المصدر السابق ،ص 297....وينظر إلى الورثيلاني :المصدر السابق ،ص401.

[3]-نفسه :ص299...وينظر إلى الورثيلاني :نفسه ص ص414-417.

[4]-ناصرة عبد المتجلى إبراهيم :المرجع السابق ،ص391.

الأساسي للمسلمين الذين لا يبتغون لأنفسهم بالضرورة طريقة الاشتغال بالعلم، وحدث هذا بالقاهرة وغيرها من المدن المصرية[1]

✓ التـــــصوف:

يختلف العلماء حول أصل كلمة التصوف ومفهومها ، فالتصوف مصدر الفعل الخماسي المصاغ من صرف ،ويعني الإنسان الذي يلبس ملابس الصوفية أو يتكلف لبسها فهو صوفي وجمعها الصوفية أو متصوفة،[2]وقد قيل" أن التصوف وليد الإسلام الديني السياسي والعقلي والعرفي فلم يخرج عن حدود القرءان والحديث والتشبه بالنبي وأولياء الدين والزهد والتعبد وتقديم الآخرة على الدنيا ، وفي التعريف الاصطلاحي لي التصوف الإسلامي تعددت التعريفات، حيث يرى ذو النون المصري أن المتصوفة قوم أثاروا الله عز وجل على كل شيئ فأثرهم الله عز وجل على كل شيء [3]،والتصوف طرح النفس في العبودية وتعلق القلب بالربوبية، وقيل كتمان الفاقات ومدافعة الآفات ،وتصفية القلب عن مرافقة البرية ومرافقة الأخلاق الطبيعة ،وإخماد صفات البشرية ومجانية الدواعي النفسانية ،ومنازل الصفات الروحانية ،والتعلق بالعلوم الحقيقة واتباع رسول الله في الشريعة .[4]

وقد اختلفت الآراء حول نشأة التصوف في مصر إلى ثلاثة اتجاهات، حيث يرى أصحاب الاتجاه الأول أن التصوف في مصر بدأ منذ أن جعل الله صلاح الدين الأيوبي من سعيد السعداء

---

[1]–نللى حنا :المرجع السابق ،ص94.

[2]–عبد القادر صحراوي :المرجع السابق ،ص 17.

[3]–محمد صبري الدالي :**التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث** ،د.ط ،دار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة –مصر ،2012م ،ص ص15-16.

[4]–محمد بن بريكة البوزيدي الحسني :**موسوعة الطرق الصوفية** ،د.ط ،ج2،مج 11،دار الحكمة ،الجزائر ،2009م ،ص295.

خانقاه[1]لفقراء الصوفية، قادمين ومن بلاد بعيدة ، أما أصحاب الاتجاه الثاني فيرون أن التصوف في مصر، لم يبدأ إلا في القرن الثالث هجري ،وأن ذا النون المصري[2] أول صوفي مصري ،وأول من التصوف فيها، و أما الاتجاه الثالث يرى أصحابه ان مصر عرفت ماي عرف بالتصوف منذ القرن الأول الهجري، وظهرت كظاهرة اجتماعية، وجدت في المجتمع بشكل فردي ثم جماع يبعد ذلك .[3] ، وقد شجعت الدولة العثمانية الطرق الصوفية، التي لعبت دورا كبيرا في تثبيت وتدعيم النفوذ العثماني داخل الأناضول كنوع من التأييد الرمزي الكامل لفتوح السلاطين العثمانيين، ومنحت بعض الامتيازات للطرق وشيوخها منها الإعفاء من الضرائب .[4]

وكانت للطرق الصوفية خصائص ومميزات ،مثل لبس الخرقة أو لبس المرقعة ويكاد بميع أصحاب الطرق الصوفية المختلف أنهم أخذوا الخرقة من فلان عن فلان في سلسلة عن عنة طويلة تنتهي إلى الأمام علي كرم الله وجهه ومن المميزات الذكر وآيات القرءان الكريم[5].

وقد بلغ عدد الطرق الصوفية التي أمكن إحصاء أسمائها ثمانين طريقة، بعضها طرق قائمة بذاتها ولها تاريخ طويل، وبعضها مجرد فروع لفرق أكبر و أقدم[6]، وكانت طرق رئيسية و أخرى متفرعة عنها، وتميز كتابات الدارسين بين الطرق الصوفية التي تلتزم الشريعة وتلك الطرق الخارجة على

---

[1]-**الخانقاةسعيد السعداء** :معنى الخانقاة وهي كلمة فارسية ومعناها البيت ،وهي حديثة في الإسلام في حدود الاربعمائة ،وجعلت لتخلي الصوفية فيها للعبادة والتصوف ،أما خانقاه سعيد السعداء :وقفها السلطان صلاح الدين وكانت دارا لسعيد =السعداء عنبر ،عتيق الخليفة المستنصر ،فلما استبدا الناصر صلاح الدين بالأمر وقفها على الصوفية في سنة تسع وستين وخمسمائة ،وهي أول خانقاة عملت بالديار المصرية ....ينظر إلى جلال الدين السيوطي :المصدر السابق ،ص260.

[2]-**ذو النون المصري** :أصله من الأقباط الإثيوبيين ،لكنه ولد في مصر ،وكان من شيوخ الصوفية الأجلاء ،ويعتبر في نظر كثير من القدماء والمحدثين المؤسس الحقيقي للتصوف الفلسفي في الإسلام ،صنف في الأحوال والمقامات ،وكانت له نظرية في المعرفة ونظرية في المحبة ،وهو أول من وضع تعريف لحاتي الوجد والسماع ،وغيرها من المصطلحات الاشراقية ،توفي بالجيزة في مصر حوالي سنة 240هـ/859م ...ينظر إلى محمد صبري الدالي :المرجع السابق ،ص24.

[3]-محمد صبري الدالي :المرجع السابق ،ص ص23-24.

[4]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص 191-192.

[5]-عامر النجار :**الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها** ،ط5،دار المعارف ،مصر ،د ت،ص29-32.

[6]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق،ص193.

التعاليم، التي تغض النظر على الشريعة ،مركزة على الجانب الإيماني وحده ،فمثلا من بين الطرق المتمثلة في مصر كانت القادرية والشاذلية بعض طرق سنية وكذلك الرفاعية والأحمدية والأزدية وغيرها [1]كانت طرق غير ملتزمة، ولم تكن الطرق الصوفية دائما نظما محكمة تعترف سلطة مركزية، وترتبط بمذهب واحد وإنما كانت غالبا روابط غير محكمة ،تعمل على أصعدة اجتماعية مختلفة ولديها إيمان وممارسة يختلفان اختلافات كبيرة ، ومن الطرق الصوفية الرئيسية في مصر الطريقة الشاذلية وهي أقدم الطرق الصوفية من الناحية الفكرية وكان أبوها الروحي هو أبو مدين شعيب المتوفى سنة 981م غير المؤسس الفعلي أبو الحسن الشاذلي ،[2]والطريقة الأحمدية والرفاعية والبراهمية نسبة إلى إبراهيم الدسوقي، وكانت الأحمدية تنقسم إلى 16 طريقة، والطرقة القادرية والحسنية وغيرها ،وكان الاختلاف بينهم في الملبس وبالذكر والأوراد أو الأحزاب أو التعابير ،و ارتبط تعدد أنواع الطرق الصوفية في مصر في العصر العثماني بتنوع طقوسه ومصادر تلك الطقوس، ومن أنواع المتصوفة في مصر آنذاك نزلاء الزوايا والتكايا والخانقاهات والربط [3]،وهم سكان البيوت الصوفية ،فكانت الزوايا أهم بيوت للصوفية وأكثرها عددا و انتشارا، ومن أهم الزوايا في القرن 18مقي مصر زاوية عبد الرحمان كتخدا، وزاوية علي النقيب ،وزاوية الموافي وغيرها من الزوايا ،وشهدت هذه الزوايا تطورا فتحولت بعضها إلى مساجد منها زاوية الأحمدية وأما التكايا فكانت بمثابة بيوت صوفية خاصة للأتراك، وذات مهام تعليمية ودينية وتميزت بإقامة حفلات الذكر والسماع أي

[1]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص210.

[2]-نفسه ،ص212.

[3]**-الربط** :جمع رباط ،والرباط في الأصل هو المكان الذي يجتمع فيه الفرسان متأهبين للقيام بحملة ،والرباط المواظبة على الأمر ،وقد مر الرباط في تطوره بمرحلتين متميزتين اختلفت فيهما وظيفته ،وهما المرحلة العسكرية ثم مرحلته الثانية التي تحول فيها إلى منشاة دينية اجتماعية ،والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ....ينظر إلى محمد صبري الدالي :المرجع السابق ،ص23.

والإنشاد[1]، وكان موقف الصوفية من العلم والمعرفة ينقسم إلى فريقين متباينين فريق ينكر العلم والمعرفة ويرفضها ،وفريق يؤمن بأهميتها [2].

وقد لاحظ الرحالة المغاربة كثرة وتعدد الطرق الصوفية في مصر، فكانت الإشارة من الرحالة إلى ذلك متفرقة، حيث لم يخصصوا وقتا طويلا للحديث عن هذه الظاهرة[3] . وهو ما ذكر الرحالتين الدرعي الورثيلاني وما نقلوه عن الاحتفال في مصر بالمحمل المصري حيث يكون حضور الطوائف الصوفية لمراسيم الاحتفال لافتا الانتباه من قادرية وبدوية ودسوقية وغيرها وفي هذا يقول الرحالة الدرعي عن وطائف ومشايخ الصوفية، نقلا عن العياشي : ".. كل طائفة من مشائخ الصوفية شيخهم ولوائهم رافعين أصواتهم بالذكر: كالقادرية والرفاعية والبدوية والدسوقية حتى السعاة يأتون بشيخهم فيمرون بين يدي الباشا .."[4] ويذكر الورثيلاني رأي الصوفية فيما يخص شرب القهوة قائلا:" وكان الصوفية مع إحدى الطائفتين ..."[5]، وهو الشيء الذي جعل من مصر بلدا كثير الصالحين والأولياء ،من المتصوفة بما في ذلك بعض الشيوخ فروع الزوايا المغربية ،بمصر كزاوية الناصرية، حيث يذكر الرحالة احمد بن ناصر الدرعي عن تعيين نقيب لزواية الناصرية في مصر "..قدمنا نقيبا على المريدين المنتسبين ألينا بمصر ،الشيخ محمد بن منصور السبطي ،واذنا له بتلقين الأوراد لمن رغب في الانتظام في سلك أشياخنا "[6]،وفي هذا نجد الرحالة أحمد بن ناصر الدرعي وهو شيخ الزاوية الناصرية يعمل على الدعوة للطريقة الناصرية، وذلك من خلال تلقين الأوراد ومبادئ الطريقة الناصرية للمصريين، وأنه يدعي في الرحلة رغبة

[1]-محمد صبري الدالي :المرجع المرجع ،ص ص93-106.
[2]-كمال حامد مغيث :المرجع السابق ،ص195.
[3]-مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص527.
[4]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص279.
[5]-الورثيلاني :المصدر السابق ،403.
[6]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص612.

المصريين في إتباع طريقتهم بل يعمل على تأطريها وذلك بتقديم نقيب على المريدين المنتسبين من الناصرية .[1]

✓ الأضرحة أو المزارات:

إن شغف المصريين بزيارة المقابر والأضرحة، كعمل من أعمال التقوى أو كنشاط اجتماعي، قد لفت انتباه الكثير من المراقبين والرحالين، حيث يذكر المؤرخ التركي مصطفى علي، أن كل يوم جمعة ابتداء من صلاة الفجر، تتجمع جمهرة من الناس في طريقهم نحو القرافة راجلين أو راكبين وهم يظهرون في طريق المقابر وهذه بالنسبة للقاهرة، فهناك مزيج من التدين والرغبة في زيارة الأضرحة من أجل التعبير عن الاحترام للأولياء ومن اجل التشفع بهم لدى الله.[2]

بجود الرحالة المغاربة في مصر ،حرصوا على زيارة عدد كبير من الأضرحة والقبور، نظرا لما تمثله زيارتهم من التواصل بين الأحياء والراحلين ،وفرصة للترحم واستمداد البركة حسب اعتقادهم، وكانت مقبرة القرافة أحد أهم المزارات التي كان يحرص على زيارتهم ،نظرا لاحتوائها على عدد كبير من المزارات والمشاهد ،لأشهر الأسماء والشخصيات، فارتباط الرحالة المغاربة بمصر يمكن تفسيره باحتوائها على أماكن شبه مقدسة، وحملها دلالات دينية ، فمقبرة القرافة اعتمادا على ما يذكره الرحالتين الدرعي الورثيلاني يظم مساجد وزوايا ومدارس، وهي أماكن ظلت تستغل كمزارات و تحيا فيها المواسم[3]، حيث يذكر أحمد بن ناصر الدرعي الورثيلاني قائلا :" وزرنا بمصر غالب ما بها من مزارات وبالقرافتين الكبرى والصغرى، من أئمة الإسلام وعلماء الدين من أجل المزارات وأعظمها بركة ونجح المشهد العظيم ، المحتوي على جماعة من أهل البيت " رجالا ونساء – أشهرهم السيدة نفيسة الطاهرة إليها ينسب المشهد وبما يعرف وعليه بناء

[1]–مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص 527.

[2]–ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص260–261.

[3]–مصطفى الغاشي :المرجع السابق ،ص526.

عظيم وبإزائه مسجد وبيوت تسكن ... وقبرها معروف بإجابة الدعاء فهو ترياق لنيل كل مراد كقبر أبن عمها موسى الكاظم ببغداد ..." حيث يذكر اسمها وأهلها قائلا": وهي السيدة نفيسة بنت الأمير حسن بن يزيد بن علي بن الحسين دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق."[1] هي حفيدة الحسين، حيث تلعب الأضرحة دورا بالغ الأهمية في المعتقدات الدينية لدى المصريين وذلك بإضافة طابع نسائي إليه، وجعلها ذات جاذبية خاصة للنساء ،حيث يوجد بالقاهرة كذلك سيدات نبيهن إلى النبي صلى الله عليه وسلم مثل رقية وسكينة وعائشة إضافة إلى نفيسة وغيرهم [2]،كما يذكر الرحالتين زيارتهم لقبر الإمام الشافعي :" وزرنا قبر الإمام الذي لا ينبغي لأحد دخل مصر أن يهمل زيارته ... وهو من المشاهد الكريمة والمآثر العظيمة له أوقاف كثيرة ويتخذ عند قبره كل ليلة سبت مولد يجتمع فيه الناس كثيرون..."[3]

كما يذكر احمد بن ناصر الدرعي زيارته لقبرين الإمامين الشهيرين قائلا:" وزرنا أيضا الإمامين الشامخين الهامين الحاملين لرأسه مذهب الإمام مالك وحاميه وناصره أشهب رضي الله عنهما وقبراهما متجاور ان يستجاب الدعاء عندهما. مجرب..."

كما يذكر زيارته لقبر عقبة بن نافع الصحابي رضي الله عنه وزرنا أبا الفيض ذا النون المصري وأبا الحفص وعمر بن الفارض وقبور السادات بني الوفاء وكذلك قبر الشيخ أبا عبد الله المغاروي يقول الرحالتين في هذا " على حرف الجبل مشرف على القرافة كلها " ويذكر الدرعي فضل القرافة

[1]- احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ،ص297.

[2]-ميكل ونتر :المرجع السابق ،ص263.

[3]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر نفسه ،ص299.

قائلا:"ففضل القرافة وما اشتملت عليه من المزارات أشهر من أن يذكر وأظهر من أن شهر: وقد ورد في الآثار أنها بقعة من الجنة...."[1]

وقد ذكر الرحالة الورثيلاني زيارته لمزارات القاهرة خاصة المقبرة القرافة ،وزيارته لقبر السيدة نفيسة ،والإمام الشافعي حيث يذكر نقلا عن الشيخ عبد الوهابي الشعراني:" أن جماعة من الأولياء يحضرون كل يوم لزيارة الإمام الشافعي رضي الله عنه وهوز حقيق بذلك وجدير فإنه بالمحل الذي لا يدرك علما ولا عملا وحالا وفتوة وحسن أخلاق ... فقد اتفق العلماء على إنه ليس في أصحاب إمام الأئمة مالك رضي الله عنه أثبت ولا أعلم ولا أفقه من الإمام الشافعي :"ويذكر زيارته كذلك الإمامين الشهيرين ،عبد الرحمان بن القاسم وناصره أشهب وعبد الله المغاوري ودا النون وغيرهم من الأولياء [2].ومن المقابر التي توجد بالقاهرة تربة المجاورين وسمي هذا المكان بتربة المجاورين لأنه قريب من الجامع الأزهر وبه يدفن غالب أهله والمجاورين له وكما توجد أيضا مقبرة القرافة الصغرى التي تضم عددا من قبور السلاطين الأمراء كقبر السلطان "قايتباي" وقد ذكر الرحالتين المقبرة تربة المجاورين :"وزرنا تربة المجاورين وما اشتملت عليه من الأئمة المحققين، العلماء العاملين..."[3]،ويذكر سبب اسم تربة المجاورين كما ذكرنا سابق ويضيف قائلا :"بل الأماكن القريبة من الجامع كلها تسمى حارة المجاورين . إذ لا يسكنها في الغالب إلا العلماء والغرباء والفقراء ..." ويذكر الرحالتين زيارتهم لقبر خليل رضي الله عنه ،والشيخ عبد الله المتوفى بمقبرة القرافة الصغرى ،والسلطان قايتباي واصفين قبر هذا السلطان "وعلى قبره بناء عظيم ،وبإزائه مسجد متقن ،ومحلات لسكنى الفقراء ولقيم

[1]-احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ص299.

[2]-الورثيلاني :المصدر السابق ،ص ص414-416.

[3]- احمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ، ص ص299-301....وينظر الى الورثيلاني :المصدر السابق ،ص416-417.

القبر، وهو لا يخلو من عمارة ،وعلى رأس القبر حجر مبني عليه بناء حسن فيه أثر قدمين شاع عند الناس، أنها قدما النبي صلى الله عليه وسلم وهناك حجر آخر فيه أثر قدم أخرى ."[1]ويذكر الورثيلاني إعجابه بالشيخ الشاذلي لزيارة أضرحة الأولياء، ولكون طبيعة شخصية الرحالتين الدينية الصوفية ،يتضح تعلقهم وحبهم لزيارة مزارات البلدان التي طافوا بها وخاصة مصر ، هو ما يوضحه الرحالة الورثيلاني في قوله "وبالجملة فالذي زرناه تلك المدة لا يزار إلا في أيام عديدة ،ومع ذلك وجدنا حلاوة ما وجدناها في غيرها من الزيارات فاني قد جبلت على حبها من صغري وقد كثرت مني غربا وشرقا وقبلة ،بمعنى وجودها مني للأحياء والأموات ،فمهما ذكر لي ولي أو صالح أو عالم حيا أو ميتا إلا ذهبت إليه .."[2]

وكانت الأضرحة مساجد كبيرة لأشهر الأولياء، أما فوق قبر الولي الأقل شأنا بناء صغير مربع ناصع البياض، تعلوه قبة، ويشيد فوق القبر تركيبة من الحجر او من الخشب، وفوق القبر كسوة مزركشة بالمخمل أو الحرير ويحاط التابوت وهي التركيبة التي فوق القبر من الخشب يحاط بنوع من السور مصنوع من الخشب أو النحاس، ويمكن أيضا أن يوجد القبر داخل إحدى الزوايا، أو مجموعة مدفن، أو مدفن قائم بذاته وتقسم الأولياء المدفونين في قرافات القاهرة إلى ثلاث فئات رئيسية: آل بيت النبي والعلماء المتصوفة.[3]

فالضريح كان النواة للعلم الديني والصوفية وكذلك الصلاة والعبادة فكان المغاربة في مصر أول ما يزورنه وآخر ما يزورنه، وهذا ما يؤكده حديث الرحالة وتمجيده للأولياء والأضرحة خلال مزاراتهم لهم خاصة في القاهرة فقد ضمت أشهر الأضرحة في القرافة، التي أصبحت مراكز تجمع من المباني ومساكن للمتصوفة وفقراء الناس والأسبلة والمساجد والزوايا والكتاتيب وغيرها...

[1]-أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق، ص299-300.

[2]-الورثيلاني: المصدر السابق، ص435.

[3]-ميكل ونتر: المرجع السابق ، ص262-263.

استخلاص

وصفت نصوص الرحلة الجانب الاقتصادي المزدهر في تلك الفترة ،ورغم اقتصارهم على بعض الإشارات التجارية المرتبطة غالبا يركب بركب الحج عند توقفه في بعض القرى أو المدن ،فيستنتج من رحلات المغاربة ان النشاط ألفلاحي كان يشكل القطاع الحيوي في مصر ، بالإضافة إلى تربية الماشية ،ومما ساعد على ازدهار الاقتصاد المصري نهر النيل ،الذي كان له الدور الكبير في الفلاحة والنشاط التجاري ،وبحكم موقعها الاستراتيجي يمتد شرقا على البحر الأحمر وشمالا على البحر الأبيض المتوسط ،مما جعلها تحتل مكانة اقتصادية وتجارية بالغة الأهمية ،فكانت لها علاقات تجارية داخلية وخارجية، وخصوصا توفرها على بنيات أساسية ضرورية لحركة التجارة وهي كثرة الموانئ ،كميناء بولاق وميناء دمياط الإسكندرية مما أهلها لربط علاقات تجارية دولية خاصة فرنسا وانجلترا. أما التجارة الداخلية في أسواق مصر فيذكر الرحالة كثرة وتوفر الأسواق فيها وكثرة تجارها وتنوع السلع والرخص في السعار ،وخاصة أيام خروج الركب ،ومن بين الأسواق سوق الرملة الذي ذكره الرحالة ،كما تطرق إلى الأنشطة الاقتصادية منها اكتراء الجمال للارتحال ،وقد ترتب عن النشاط التجاري ظهور اسر تجارية كبيرة وازدهار الرأسمالية التجارية، وبالتالي تطور وازدهار والاقتصاد المصري ،كما اشتكى الرحالة من الضرائب التي اعتمدها الحكام وولاة مصر كمداخيل أساسية ،حيت أثقلت كاهن الفلاحين والتجار المصرين ،بل وتعدت إلى المغاربة والحجاج مما أثار غضبهم واستنكارهم.

عكست رحلات المغاربة الحياة الدينية والعلمية في مصر خلال القرن 18م ،حيت كانت قطب ثقافي مهم في تلك الفترة ،بل وكان هدف الرحالة من زيارتهم لها للقاء العلماء بها ،وللتواصل معهم والمناظرة والإجازات ،ولكونها تحتوي على الأزهر والذي كان ولا يزال أهم مركز علمي في مصر وفي العالم العربي ،ومن خلال ما دونه الرحالة ان الأزهر ظل أهم المؤسسات العلمية والدينية التي زاروها وأشادوا بها وبدورها العلمي والديني ،وخاصة رواق المغاربة فيه ،فكان

الأزهر يجلب العلماء والطلبة من كل نواحي العالم، ويضم كبار العلماء والمشائخ ،فكانت مصر غنية بالعلماء والمثقفين ،الدين تعددت أوجه نشاطاتهم الفكرية والأدبية والشرعية ،وتنوع العلوم بها خاصة علوم الشرعية ، واهتمام المصريين بتدريس أولادهم علوم القران والحديث في الكتاتيب التي كانت كمرحلة ابتدائية لهم ،ليتحولوا إلى المدارس والمساجد ،حيت العلوم العقلية والنقلية .

وتميز الواقع الديني في مصر، بالتنوع المذهبي والتعايش بين المذاهب الأربعة، وهو ما تعكسه رحالات المغاربة على حرصهم الشديد في لقاء العلماء على اختلاف مذاهبهم والأخذ عنهم، كما تميزت بكثرة الطرق الصوفية فيها، وكثرة المساجد بها، ومن مظاهر الشرك في المجتمع بعض الطقوس والعادات فيما يخص في زيارة الأضرحة واحتفالاتها، وتركيز الرحالة على هذا الموضوع يعكس شخصيتهم التي تنظر إلى الواقع من زاوية دينية صوفية.

الـــخـــاتـــمـة

الخاتمة

تدخل هذه الدراسة ضمن فن الرحلات ،وهي نوع من الأدب الذي يصور فيه الرحالة ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور أثناء رحلته ، واصفا البلدان التي شاهدها ومشاعره اتجاه ما سمع وما رأى عنها ،ومن بين الرحالة نخص بالذكر في دراستنا هذه الرحالة المغاربة الدين زاروا المشرق وخاصة مصر خلال القرن 18م ،من بينهم الرحالة المغربي احمد بن ناصر الدرعي والرحالة الجزائري الحسين الورثيلاني ،و خلال دراستنا لشخصية الرحالة فيما يخص انتماءاتهم الثقافية والاجتماعية، يتضح ان الرحالة ينتمون إلى اسر عريقة وذات مكانة اجتماعية وعلمية ودينية كبيرة والتي كانت من المؤثرات في حياتهم الثقافية ،فيما يخص طريقة المشاهدة والتدوين في رحلاتهم ،والتي كانت من المحفزات على السفر والترحال لطلب العلم وأداء فريضة الحج.

خلال هذه الدراسة توصلت لبعض النتائج فيما يخص صورة مصر خلال القرن 18م في عيون الرحالة، و التي مست جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية والعمرانية، وكانت استنتاجاتي كالتالي :

_ان ما دونه الرحالة عن مصر في تلك الفترة جاء موافقا لما ذكر في المصادر

_ان الرحالة اعتمدوا في وصفهم لديار المصرية على مشاهداتهم والملاحظة والاعتماد على مصادر ورحلات أخرى مثل رحلة العياشي .

_ان الحياة السياسية في مصر من خلال الرحالة ورغم ان هذا الجانب كان قليل، الا بعض الإشارات ،ويرجع ذلك الى شخصية الرحالة في حد ذاتها وهو اهتمامهم بما هو ثقافي ديني علمي ،وغض النظر على ما هو سياسي، ومن خلال ما دونه الرحالة يعكس الحالة السياسية المضطربة التي تتميز بالسيطرة العثمانية على جميع المؤسسات الإدارية والعسكرية ،وحالة الفوضى وعدم

الاستقرار وانعدام الأمن ،ونتيجة لصراعات والتنافس على الحكم ومظاهر الظلم والاستبداد من طرف الحكام ضد الرعية ،والذي فاق ظلمهم إلى الأجانب والحجاج المغاربة ،وفي ظل حالة الفوضى وصراعات داخلية وعدم اهتمام السلاطين العثمانيين بأمور الرعية ،وحركات بعض الحكام المصريين في أواخر القرن 18م ،وضعف الخلافة العثمانية في حد ذاتها ،جعلت مصر محل أطماع الدول الأوربية وخاصة فرنسا التي وجهت حملة بقيادة نابليون بونابرت سنة 1798م .

_ أما الصورة الاجتماعي لمصر التي أنتجها الرحالة المغاربة، ان المجتمع المصري كان يتميز بظاهرة الطبقية والتفاوت وكثرة الأجناس فيه، كما حرص الرحالة على نقل بعض عادات المجتمع المصري واحتفالاته الدينية الروحية ،وبعض الطقوس التي كانوا يمارسونها خلال احتفالاتهم ،مثل احتفال يوم كسر النيل وخروج المحمل واحتفالات المواليد ،وبعض المظاهر السلبية في المجتمع المصرية فيما يخص سلوكيات بعض الفلاحين وظاهرة اللصوصية وغش الباعة وغدرهم ،أما الوضع الصحي فتميزت بسلامة من الأمراض مقارنة بالسنوات الماضية .

_أما فيما ما يخص الجانب المعماري فتميزت مصر بكثرة بنايتها ومدنها ومساجدها ومدارسها ،ومما يوضحها الرحالة اهتمام أهل مصر بعمارة المساجد والتفنن في بناءها وإصلاحها ،مقارنة بأهل المغرب ،إضافة إلى المعالم الاترية الموجودة فيها ،خاصة القاهرة و الاسنكدرية والتاريخ العريق لهذه المدن وعجائبها ، حيت تتبع الرحالة لتاريخه بعضها ،ومن المعالم الأثرية التي تدل على حضارة مصر منذ القديم وجود الأهرامات ،وقد اعتمد الرحالة في وصفهم لهذه المعالم على كتب التاريخ والأخبار مثل السيوطي ،وعلى مشاهداتهم ووصفه الدقيق لهذه المعالم والمنشات .

_ووصفت نصوص الرحلة الجانب الاقتصادي المزدهر في تلك الفترة ،ورغم اقتصارهم على بعض الإشارات التجارية المرتبطة غالبا يركب بركب الحج عند توقفه في بعض القرى او المدن ،فيستنتج من رحلات المغاربة ان النشاط الفلاحي كان يشكل القطاع الحيوي في مصر ، بالإضافة إلى تربية

الماشية ،ومما ساعد على ازدهار الاقتصاد المصري نهر النيل ،الذي كان له الدور الكبير في الفلاحة والنشاط التجاري ،وبحكم موقعها الاستراتيجي يمتد شرقا على البحر الأحمر وشمالا على البحر الأبيض المتوسط ،مما جعلها تحتل مكانة اقتصادية وتجارية بالغة الأهمية ،فكانت لها علاقات تجارية داخلية وخارجية ،وخصوصا توفرها على بنيات أساسية ضرورية لحركة التجارة وهي كثرة الموانئ كميناء بولاق وميناء دمياط الإسكندرية، مما أهلها لربط علاقات تجارية دولية خاصة فرنسا، وانجلترا.

اما التجارة الداخلية في أسواق مصر فيذكر الرحالة كثرة وتوفر الأسواق فيها وكثرة تجارها وتنوع السلع والرخص في الأسعار ،وخاصة أيام خروج الركب ،ومن بين الأسواق سوق الرملة الذي ذكره الرحالة ،كما تطرق الى الأنشطة الاقتصادية منها اكتراء الجمال للارتحال ،وقد ترتب عن النشاط التجاري ظهور اسر تجارية كبيرة وازدهار الرأسمالية التجارية، وبالتالي تطور وازدهار والاقتصاد المصري ،كما اشتكى الرحالة من الضرائب التي اعتمدها الحكام وولاة مصر كمداخيل اساسية ،حيت اثقلت كاهن الفلاحين والتجار المصرين ،بل وتعدت الى المغاربة والحجاج مما اثار غضبهم واستنكارهم .

_عكست رحلات المغاربة الحياة الدينية والعلمية في مصر خلال القرن 18م ،حيت كانت قطب ثقافي مهم في تلك الفترة ،بل وكان هدف الرحالة من زيارتهم لها للقاء العلماء بها ،وللتواصل معهم والمناظرة والاجازات ،ولكونها تحتوي على الازهر والذي كان ولا يزال اهم مركز علمي في مصر وفي العالم العربي ،ومن خلال ما دونه الرحالة ان الأزهر ظل اهم المؤسسات العلمية والدينية التي زاروها وأشادوا بها وبدورها العلمي والديني ،وخاصة رواق المغاربة فيه ،فكان الأزهر يجلب العلماء والطلبة من كل نواحي العالم ،ويضم كبار العلماء والمشائخ ،فكانت مصر غنية بالعلماء والمثقفين ،الدين تعددت أوجه نشاطاتهم الفكرية والأدبية والشرعية ،وتنوع العلوم بها خاصة علوم

الشرعية واهتمام المصريين بتدريس أولادهم علوم القران والحديث في الكتاتيب التي كانت كمرحلة ابتدائية لهم ،ليتحولوا الى المدارس والمساجد ،حيت العلوم العقلية والنقلية .

ـــوتميز الواقع الديني في مصر بالتنوع المذهبي والتعايش بين المذاهب الأربعة، وهو ما تعكسه رحالات المغاربة على حرصهم الشديد في لقاء العلماء على اختلاف مذاهبهم والأخذ عنهم ،كما تميزت بكثرة الطرق الصوفية فيها وكثرة المساجد بها ،ومن مظاهر الشرك في المجتمع بعض الطقوس والعادات فيما يخص في زيارة الأضرحة واحتفالاتها ،وتركيز الرحالة على هذا الموضوع يعكس شخصيتهم التي تنظر الى الواقع من زاوية دينية صوفية .

المصادر

1_القران الكريم بروية ورش عن نافع

2_ابن بطوطة :**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ،ط4 ،دار الكتب العلمية ،بيروت _لبنان ،2007م

3_الجبرتي عبد الرحمان بن حسن :**عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ،تح :عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ،ج1،مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1997م

4_ابن حمادوش الجزائري :**رحلة ابنحمادوش**، تح :أبوالقاسم سعد الله ،دط ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011م

5_ ابن خلدون عبد الرحمان:**مقدمة ابن خلدون** ،تق :عبد الباري محمد الطاهر، ط1 ،دار الغد الجديد ،القاهرة ،2008م

6_الدرعي أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر :**الرحلة الناصرية (1709_1710م)**،تح :عبد الحفيظ ملوكي ،ج1_2،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع ،الإمارات العربية المتحدة ،2001م

7_السيوطي جلال الدين :**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1 ،دار إحياء الكتب العربية ،مصر ،1998م

8- عبد الله بن محمد العياشي :**الرحلة العياشية 1661-1663م** ،تح وتق :سعيد ألفاضلي وسليمان القرشي ،مج1،ج2،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع ،أبو ظبي الإمارات ،2006م .

9_ محمد مخلوف : **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، دار الطباعة للنشر ، د. ت .

10_المسعودي الحسن بن علي:**مروج الذهب ومعادن الجوهر** ،مر :كمال حسن مرعي ،ط1، ج1،المكتبة العصرية ،بيروت لبنان ،2005م

11-المقري :**رحلة المقري إلى المشرق والمغرب** ،تح :محمد بن معمر ، ط1 ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ،منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية قي شمال إفريقيا ،جامعة وهران ،2004م ،ص 62

12_المقري احمد بن محمد :**نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** ،تح :إحسان عباس ،دط ،مج 1،دار صادر ،بيروت _لبنان ،1988م

13_ _____:**روضة الاس العاطرة الأنفاس** ،ط2 ،المطبعة الملكية _الرباط ،1983م

14_الورثيلاني الحسين :**الرحلة الورثيلانية "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**،تح محمد بن أبي شنب ،ج1،ط1،دار الأبحاث ،الجزائر ،2013م

15_ الوزان الحسن بن محمد :**وصف إفريقيا** ،تر :محمد حجي و محمد الأخضر ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت _لبنان ،1983م

المراجع:

1 _ أنساعد سميرة: **الرحلات الجزائرية إلى المشرق دراسة في النشأة والتطور والبيئة** ،دط ،ارتياد الأفاق المركز العربي للأدب الجغرافي ،2008م

2_الأنصاري ناصر :**المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية**، دار الشروق ،ط1،القاهرة ،1997م.

3_ ايقانوف نيقولاي :**الفتح العثماني للأقطار العربية 1516_1574م** ،تر:يوسف عطا الله ،تح:مسعود ضاهر ،ط1 ،دار الفارابي ،بيروت _لبنان ،1988م

4_ الاسكندري عمر وسليم حسن :**تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر** ،دط،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،مصر،2014م.

5_الاسكندري عمر و الميجرا سقدج :**تاريخ مصر إلى الفتح العثماني** ،ط1،مطبعة المعارف ،مصر ،1338هـ

6- محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي:**الدخان بين القديم والحديث** ،دار الفيجاء ،دمشق ،د .ط ،1997م ،ص ص163-186.

7 _ بالحميسي مولاي :**الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**،ط2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981م.

8_بسكر محمد:**أعلام الفكر الجزائري** ،ج1،د ط،دار كردادة للنشر والتوزيع ،2013م

9_بن بريكة البوزيدي الحسني محمد:**موسوعة الطرق الصوفية** ،دط ،ج2،مج 11،دار الحكمة ،الجزائر ،2009م

10_ التيدي المالكي عبد الله :**الأجوبة التيدية في مذهب السادة المالكية** ،ط7 ،المكتبة المحمودية التجارية ،مصر ،د ت.

1 1_ الجراح نوري وآخرون :**الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب والمسلمين** ، ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع ،أبو ظبي ،الإمارات ،2005م

12_ حجي محمد :**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ،دط،المطبعة الوطنية ،الرباط ،1965م

13_الحنفاوي أبي القاسم محمد:**تعريف الخلف برجال السلف**،تح :خير الدين شترة ،ج2،ط1،دار كردادة ،2015م .

14_حنا نللي:**ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (ق16م –ق 18م)** ، تر :رءوف عباس ، دط ،الدار المصرية اللبنانية ،مصر ،2004م

15_ خليل عماد الدين:**من أدب الرحلات**، ب ط ،دار ابن كثير ،2005م

16- الدالي محمد صبري :**التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث** ،دط ،دار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة –مصر ،2012م

17_ ريمون اندريه :**المدن الكبرى في العصر العثماني** ،تر :لطيف فرج ،دار الفكر للدراسات والنشر ،القاهرة ،1991م

18_الزركلي الدين :**الأعلام**،ج7،ط5،دار العلم للملايين ،بيروت _لبنان ،2002م

19_ زيادة نقولا:**الجغرافية والرحلات عند العرب** ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1962م

20_ زيدان جرجي :**مشاهير الشرقفي القرن التاسع عشر** ،ط3،ج2،مطبعة الهلال ،

21_ _____:**مصر العثمانية**،دار هنداوي ،دط،مصر ،2012م

22_زيدان جرجي ومحمد حرب :**مصر العثمانية**، دط ،دار الهلال ،الإسكندرية ،1994م

23_سعد الله أبو عبد القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي** ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1998م

24_سعيدوني ناصر الدين:ورقات جزائرية دارسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت _لبنان ،2000م

25_____: **من الثرات التاريخي والجغرافي في الغرب الإسلامي** ،دط،دار البصائر ،الجزائر ،2012م

26_ السيد محمود :**تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها** ، دط ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،2006م

27_شارف رقية:**الكتابات الجزائرية الحديثة خلال القرن 18م وبداية 19م**،ط1 ،دار الملكية ،الجزائر ،2007م

28_ الشامي صلاح الدين:**الرحلة عين الجغرافيا المبصرة**، ط2، منشاة المعارف للنشر بالإسكندرية ،مطبعة رمضان وأولاده ،مصر ،1999م

29_ الشلق احمد زكريا :**العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516_1916م** ، ط1،مصر العربية للنشر والتوزيع ،2002م

30_ صبري محمد :**تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث** ،ط2،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1996م

31_ الضيقة حسن:**الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة**، ط1،دار المنتخب العربي ،بيروت ،1997م

32_ عاشور سعيد عبد الفتاح:**مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**:دط،دار النهضة العربية ،بيروت _لبنان ،دت.

33_ عبد الرحمان عبد الرحيم عبد الرحيم :**فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني** ، دط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،دط،1990م،

34_ _____:**المغاربة في مصر في العصر العثماني 15_1798م**،ط1 ، المجلة التاريخية المغربية ،تونس ،1982م

35_ عبد المتجلي إبراهيم ناصرة :**الإسكندرية في العصر العثماني الحياة الاقتصادية والاجتماعية** ،تق:لطيفة سالم ،دط ،الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة ،2013م

36_عزي عبد الرحمان :**التواصل ألقيمي في الرحلة الورثيلانية**،دط ،دار الحكمة للنشر والتوزيع ،الابيار _الجزائر ،2011م

37_ عرابي نخلة محمد :**تاريخ العرب الحديث** ،الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ،ط1،القاهرة ،2010م

38_عوف احمد محمد :**الأزهر في ألف عام ابريل سنة 970هـ–ابريل سنة 1970م** ، دط ،مجمع البحوث الإسلامية ،مصر ،1970م .

39_ غرباوي عبد الله:**الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد**، ط1،دار الشروق ،القاهرة ،2006م

40_فهمي علي عمر سميرة :**إمارة الحج في مصر العثمانية 1517_1798م** دط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2001م

41_ فهيم حسين محمد :**أدب الرحلات** ،عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية ،الكويت ،1989م

42_ألقاسمي الحسيني عبد المنعم:**أعلام التصوف في الجزائر** ،ط1،دار الخليل ألقاسمي ،المسيلة _الجزائر ،1427هـ

43- الفيلالي مختار:**رحلة الورثيلاني عرض ودراسة**، دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة [1] الجزائر ،1978م

44_ قنديل فؤاد :**أدب الرحلة في التراث العربي** ،ط1_2 ،مكتبة الدار العربية للكتاب ،القاهرة ،مصر ،2002م

45_ كروم عبد الله:**الرحلات بإقليم توات**،دار دحلب للنشر ،الجزائر ،2007م1

46_ ماكامان محمد: **الرحلات المغربية في القرنين (11. 12 هـ/ 17. 18 م)**، ط1،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط، 2014 م.

47_مانتران روبير :**تاريخ الدولة العثمانية** ،تر:بشير السباعي ،ط1 ،دار الفكر للدراسات والنشر ،القاهرة ،1993م .

48_ماهر سعاد :**الازهر اثر وثقافة** ،دط ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،مصر ،1962م

49_محمد علي ذهني الهام :**مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنيين 16و17م**،إشراف :يونان لبيب رزق ، دط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1991م

50_المحامي محمد فريد بك :**تاريخ الدولة العلية** ،تح :إحسان حقي ، ط1 ،دار النفائس ،بيروت ،1981م

51_ مرحبا محمد عبد الرحمان:**الموجز في تاريخ العلوم عند العرب** ،تح :جميل صليبا ،ط1 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1981م

52_مصطفى الغاشي :**الرحلة المغربيةوالشرق العثماني** ،ط1 ،مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت _لبنان ،2015م

53_مغيث كمال حامد:**مصر في العهد العثماني 1518_1798م المجتمع والتعليم**،تق :رءوف عباس ،ط1،مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ،القاهرة 1998م

54_المنوني محمد:**دليل مخطوطات** ،دط ،دار الكتب الناصرية ،تمكروت ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1985م

55- الموافي ناصر عبد الرزاق:**الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري)**،ط1 ،دار النشر للجامعات المصرية ،مكتبة الوفاء ،1995م ،ص24[1]

56_موسى نصر موسى:**صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية**، دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الإسكندرية ،1998م

57_النجار عامر:**الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها** ،ط5،دار المعارف ،مصر ،د ت.

58_نواب عواطف بنت محمد يوسف :**كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11و12هـ**،دط،دارة الملك عبد العزيز ،الرياض ،2008م

59_ النيسابوري مسلم بن الحجاج:**صحيح مسلم** ،ط1،مج2، 2006

60_ ونتر ميكل :**المجتمع المصري تحت الحكم العثماني**،تر:إبراهيم محمد إبراهيم ،دط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2007م

61_ يحيجلال :**مصر الحديثة 1517_1805م** ،دط ،منشاة المعارف ،الإسكندرية

الرسائل الجامعية:

1_بوشرف صفية و نسمة مكي :**الرحلات المغاربة الى المشرق خلال العهد العثماني (939_1251هـ/1518–1830م)**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

والمعاصر،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،قسم العلوم الإنسانية ،جامعة الدكتور يحي فارس ،المدية ،2015/2014م.

2_ حليس عبد القادر :**المشرق العربي من خلال رحلات المغاربة** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر ،2011م

3_ حسيني الطاهر :**الرحلة الجزائرية في العهد العثماني** ،أطروحة لنيل الدكتوراه في الأدب العربي ،كلية الآداب واللغات ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة 2014/2013،

4_دهان سليمان :**ركب الحج الجزائري في العهد العثماني من خلال نصوص الرحلة 1515–1830م**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم العلوم الانسانية ،2013/2012.

5- ربيعة قريزة : **علماء جزائريين بمصر في الفترة العثمانية القرن11هـ –12هـ / 17م – 18م** مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر 2 بوزريعة ، 2012، ص 116.

6_ روباش جميلة :**أدب الرحلة في المغرب العربي**،رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الادب الجزائري القديم ،كلية الآداب ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة 2015/2014م،

7_زردومي اسماعيل :**فن الرحلة في الأدب المغربي القديم** ،أطروحة دكتوراه دولة في الأدب القديم ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة باتنة ،2005،ص

8_زوبيري وداد :**حملة نابليون بونابرت على مصر1798–1801م الأسباب والنتائج**،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة 2014_2015م

9_شرابي يسمينه :**الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائرية** ،مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي ،كلية الآداب واللغات ،جامعة أكلي محند اوالحاج ،البويرة ،2013/2012م،

10_محمد كمال الدين عز الدين :الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة –دراسة في التاريخ والمؤرخين 784-922هـ/1382-1517م،مذكرة لنيل الدكتوراه في التاريخ ،كلية البنات ،قسم التاريخ ،جامعة عين شمس ،مصر

المقالات :

1_ امرني عمر علوي واخرون :**ادب الرحلة في التواصل الادبي**،سلسلة ندوات 5،جامعة المولى اسماعيل ،كلية الاداب والعلوم الانسانية ،مكناس

_مومني زينة :اهمية العلم الشرعي وثمراته ،رسالة المسجد ،السنة السابعة ،العدد الرابع ،1423هـ/2009م

2- زروقي ازهر حسين: الرحلة في الثراث العربي ودورها في رفد المعرفة الجغرافية ،مجلة اسرمون ،المجلد 6/العدد19 /السنة السادسة ،نيسان 2010م

3_القاسمي محمد رضى الرحمان:**الرحلة وادابها في اللغة العربية** ،مجلة الداعي الشهرية الصادرة من دار العلوم ،2013/1434م،العدد6-7

المعاجم :

1_احدادان زهير وآخرون :**معجم مشاهير المغاربة**، دط ،المؤسسة الجزائرية للطباعة ،1995م

2_ابن منظور جمال الدين: **لسان العرب**، اعداد وتصنيف: يوسف خياط ،دط، دار لسان العرب، بيروت . د ت ، م 1 (1141. 1143) مادة رحل

3_بطرس البستاني :**دائرة المعارف الاسلامية**،مج8،مطبعة المعارف ،ط بيروت ،1884

4_ الحمد محمد بن سعود بن عبد الله:**موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة معجم ببليوغرافي** ،ط1، دار الكتب والوتائق القومية اتناء النشر ،القاهرة ،2008.

5_ الخطيب مصطفى عبد الكريم:**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1997 م

6_صابان سهيل :**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ،دط، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ،2000م

7_نويهض عادل: **معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام الى العصر الحديث**،ط2، مؤسسة نويهض ،بيرت _لبنان ،1982م

الملاحق

الملحق رقم01: مخطوط رحلة الورثيلاني[1]

[1] – نسخة من مخطوط رحلة الورثيلاني

الملحق رقم 02: مخطوط رحلة أحمد بن ناصر الدرعي[11]

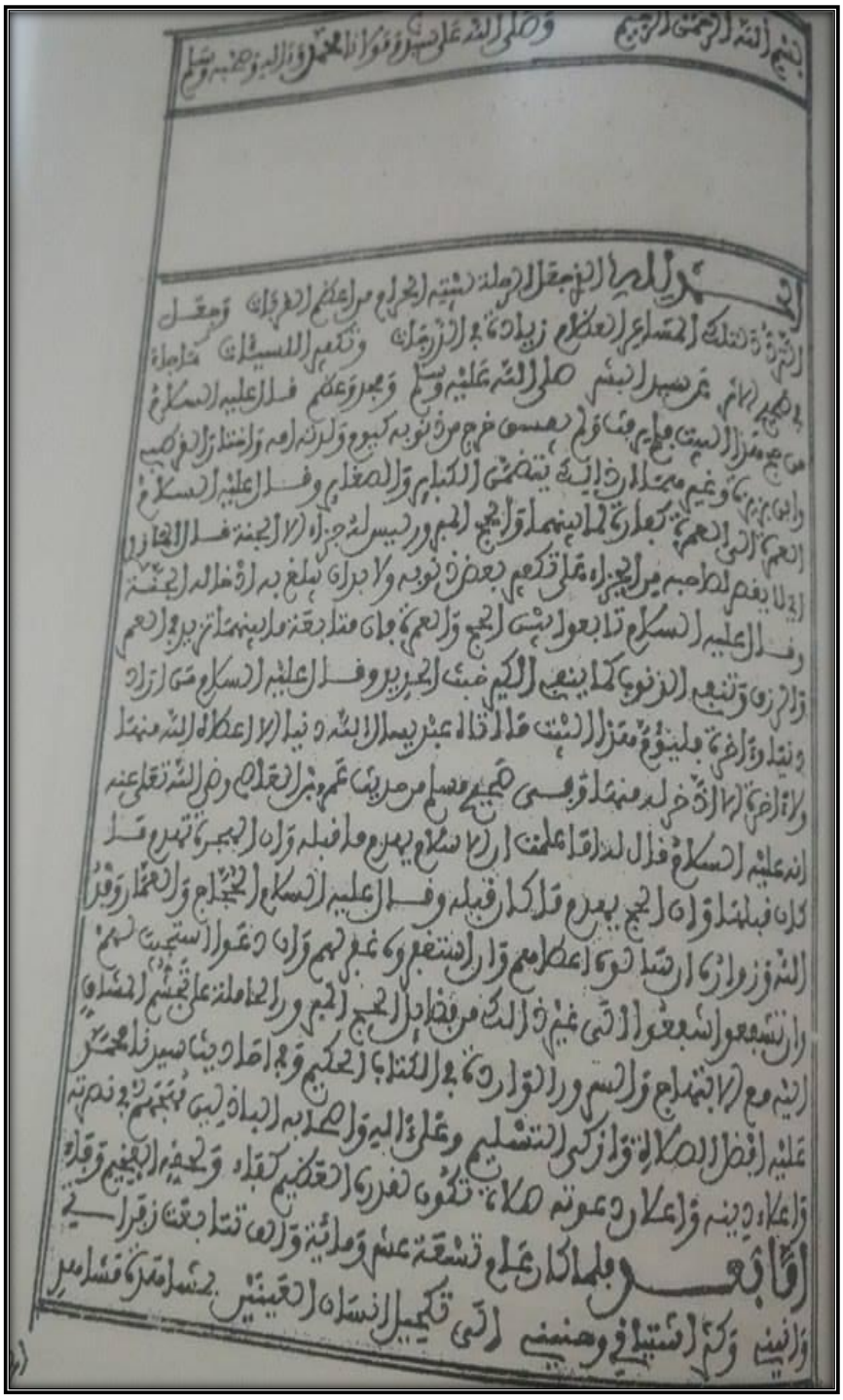

[1]– نسخة من مخطوط رحلة الدرعي

الملحق رقم 03: سبيل كتاب في القرن 18م[11]

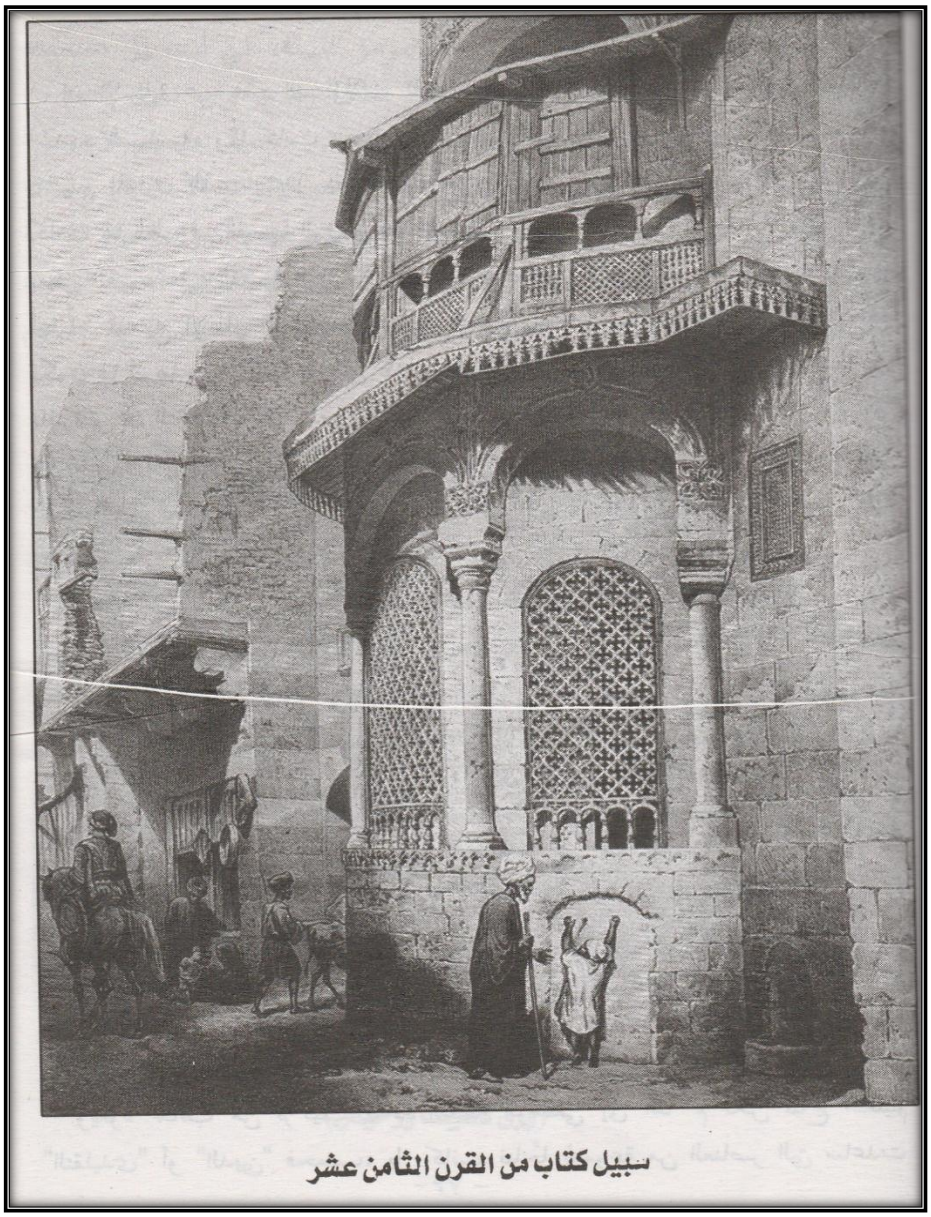

سبيل كتاب من القرن الثامن عشر

[1]- نللي حنا: المرجع السابق.ص9

الملحق رقم 04: الجامع الأزهر من القرن العاشر إلى القرن 18م[11]

[1]– سلمت من طرف الأستاذة

العنوان	الصفحة
البسملة	
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	2
الفصل الأول: التعريف بالرحلة والرحالة	
I–تعريف الرحلة وتطورها وأنواعها وأهميتها	10
✓ تعريف الرحلة لغة	10
✓ الرحلة في القرآن والسنة	11
✓ الرحلة اصطلاحا	13
✓ نشأة وتطور الرحلة عند العرب	14
✓ تعريف أدب الرحلة	20
✓ دوافع الرحلة وأنواعها	21
أهمية الرحلات في التدوين التاريخي	28
II–التعريف بالرحالة الحسين الورثيلاني واحمد بن ناصر الدرعي	31
1–التعريف بالرحالة الحسين الورثيلاني1125هـ/1713م–11هـ/1779م	32
✓ رحلاته ومؤلفاته	36
✓ التعريف بالرحلة «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار"	38
✓ الأهمية العلمية للرحلة الورثيلانية	42
2–التعريف بالرحالة: أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي	44
✓ مؤلفاته	48
✓ الأهمية العلمية للرحلة الناصرية	49

الفصل الثاني: الحياة السياسية والأجتماعية والعمرانية لمصر في القرن 18 من خلال رحلات المغاربة	
I–الوضع السياسي لمصر من خلال رحلات المغاربة في القرن 18م	**52**
✓ مـصر تـحت العهـــد العثماني	**52**
✓ نظام الحكم في مصر خلال القرن 18م كم صوره الرحالتين الدرعي و الورثيلاني	**56**
✓ الحياة السياسية في القرن 18م	**63**
✓ الحملة الفرنسية على مصر (1212–1213هـ/1798_1801م)	**65**
مظاهر الظلم والاستبداد في مصر خلال القرن 18م	**66**
2–الأوضاع الاجتماعية في مصر خلال القرن 18م من خلال رحلات المغاربة	**68**
✓ فئات المجتمع	**69**
✓ وصف الرحالة للمجتمع المصري وعاداتهم	**78**
✓ بعض المظاهر السلبية في المجتمع المصري	**82**
✓ احتفالات المجتمع المصري	**85**
III–العمران والمعالم الأثرية في مصر من خلال الرحالة	**91**
✓ المساجد	**92**
✓ المدن	**93**
✓ المقابر	**96**
✓ مصر القديمة وأثارها	**97**
الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية والعلمية والدينية لمصر في القرن 18 م	
I–الأوضاع الاقتصادية لمصر خلال القرن 18م من خلال الرحالتين الورثيلاني والدرعي	**101**

✓ -الــزراعـــة	101
✓ الـتجــارة	103
✓ العملة والضرائب	109
II-الأوضاع العلمية والدينية لمصر خلال القرن 18م من خلال الرحالتين احمد بن ناصر الدرعي الورثيلاني	112
1-الحياة العلمية في مصر خلال القرن 18 م	112
✓ التعليم في مصر	113
✓ العــلـــوم والعلماء	114
✓ بعض القضايا المتداولة في الرحلتين	127
3-المــعالم الديـــنية	129
✓ الجـــامع الأزهــر	130
✓ التـــــصوف	135
✓ الأضرحة أو المزارات	139
الخاتمة	146
المصادر والمراجع	150
الملاحق	160
فهرس	165